المملكة العربية السعودية
وزارة التعليم العالي
الجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

كلية الشريعة

قسم الفقه

مقرر

تفسير سورة الأنفال

تأليف

المحاضر/ إبراهيم بن محمد السلطان

عضو هيئة التدريس بكلية الملك فهد البحرية بالجبيل

د. ظاهر بن فخري الظاهر

عضو هيئة التدريس بالجامعة الإسلامية بالمدينة المنورة

المقدمة :

بِسۡمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

الحمد لله الذي أنزل على عبده الفرقان ليكون للعالمين نذيراً، والصلاة والسلام على قائد المجاهدين المبعوث رحمة للعالمين وعلى آله وصبحه أجمعين، أما بعد،،،

فقد كانت آيات القرآن الكريم وسوره تتنزَّل شيئاً فشيئاً على رسول الله ﷺ وسلم تتابع أحداث السيرة النبوية، وتُعالج مشاكل العصر، لتربِّي جيلاً مؤمناً مجاهداً، وتُعِدُّ قادة أفذاذا، وتبني دولة مسلمة قوية.

وقد كان من أبرز حوادث السيرة النبوية العظيمة (معركة بدر)، تلك المعركة الفاصلة بين اضطهاد الكفار للمسلمين، وبين التمكين للمسلمين والنصر على الكافرين، والتي بدأت تلفت باهتمام أنظار قريش وغيرهم من داخل وخارج الجزيرة العربية إلى الإسلام والمسلمين. فهي بحق (يوم الفرقان) كما سماها الله ﷻ في سورة الأنفال (آية:٤١).

تلك السورة التي تخصصت في الحديث عن وقائع معركة بدر، وعالجت من خلالها قضايا إيمانية عقدية، ومسائل جهادية تعبدِيَّة، نحتاج إلى أن نقف عليها ونتدبرها لنأخذ منها العبرة والفائدة، ونسلك أسباب النصر التي قررتها، لنجدد أمجاد بدر الكبرى.

سائلين الله ﷻ أن يرزقنا فهم كتابه، والعمل به، إنه هو السميع العليم

د. ظاهر بن فخري الظاهر

كلية الشريعة بالجامعة الإسلامية (المدينة المنورة)

صفحة الموجز ١-١-١

(١) تمهيد عن غزوة بدر على ضوء سورة الأنفال:

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على الأحداث المفصلة عن غزوة بدر، حسب ورودها في سورة الأنفال.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يتعرف الطالب على الأحداث التفصيلية لمعركة بدر.

١-٢ يتعرف الطالب على الآيات من سورة الأنفال التي تحدثت عن وقائع من معركة بدر.

١-٣ يتعرف الطالب على أهم مقدمات السورة.

ج. موجز الدرس:

١- المقدمة:

تحدثت سورة الأنفال بإسهاب عن وقائع معركة بدر؛ ابتداء من خروج النبي ﷺ لأخذ قافلة قريش، وانتهاء بقضية الأسرى، وسيتم التطرق من خلال السورة لوقائع معركة بدر تفضيلا.

٢- ملخص المواضيع:

أ- خروج النبي ﷺ لأخذ قافلة قريش.

ب- توقفه ﷺ لمشاورة أصحابه رضي الله عنهم.

ج- تفصيل وقعة بدر، وآيات النصر التي نزلت على النبي ﷺ والمؤمنين معه.

د- قضية الاختلاف في الغنائم، والاختلاف في الأسرى.

هـ. منزلة وأسماء وفضل وموضوعات ونداءات السورة.

و. بيان أن النصر في معركة (بدر) من عند الله سبحانه وتعالى من عدة أوجه.

صفحة الموجز ١-١-١

تمهيد عن غزوة بدر على ضوء سورة الأنفال:

كم من الأذى لقي الرسول ﷺ والمسلمون من قريش قبل الهجرة، إلى أن أخرجوهم من بلدهم مكة مستولين على مساكنهم وأموالهم بعد أن حاولوا قتل الرسول ﷺ، ولا زالوا معلنين الخصومة على المسلمين: **(وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَن يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيد)** [البروج:٨]، لقد كان المسلمون مظلومين أشد الظلم، ولذا أذن الله ﷻ لهم بقتال قريش: **(الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ إلا أَنْ يَقُولُوا رَبُّنَا اللَّهُ)** [الحج:٣٩]. وقد بدأ الرسول ﷺ قتال قريش، مستهدفاً أخذ أموالهم فقط، قصاصاً منهم وإضعافاً لهم وكان هذا هو هدف غزوة بدر، كما هو هدف ما سبقه. فلقد كان الرسول ﷺ يترقب عيرا تجارية لقريش تقدم من الشام عليها أبو سفيان بن حرب- وهي التي سبق أن خرج لها في جمادى الأولى حتى وصل العُشَيرة وقد فاتته متجهة إلى الشام- في نحو (أربعين) رجلاً، تحمل أموالاً عظيمة.

جاء العين فأخبر النبي ﷺ بقدومها، فحثَّ النبي ﷺ الناس إلى الخروج لأخذها، واستعجلهم. وكان هذا في أول رمضان من السنة (الثانية) للهجرة، فخرج لثمان ليالٍ خلت منه جهة بدر في (بضعة عشر وثلاثمائة) رجل، ثلاثة أرباعهم من الأنصار، معهم (فرسان)؛ أحدهما للزبير بن العوام ﷺ والآخر للمقداد بن عمرو ﷺ (وهو ابن الأسود)، و(سبعون) بعيرا يعتقب الاثنان والثلاثة على البعير الواحد، وتخلَّف كثير من الصحابة عن الخروج. وقد استخلف ﷺ على الصلاة ابن أم مكتوم ﷺ، ولما بلغ (الرَّوحاء) ردَّ أبو لبابة ﷺ واستعمله على المدينة، ووزع القيادات في الجيش؛ فدفع اللواء إلى مصعب ابن عمير ﷺ، وراية كتيبة المهاجرين إلى علي بن أبي طالب ﷺ، وراية الأنصار إلى سعد بن معاذ ﷺ، وجعل على ميمنة الجيش الزبير بن العوام ﷺ، وعلى الميسرة المقداد بن عمرو ﷺ، وعلى المؤخرة قيس بن أبي صعصعة ﷺ. ولما دنا ﷺ من (الصَّفراء) بعث بسبس بن عمرو ﷺ، وعدي بي أبي الزغباء ﷺ يتقدمانه إلى بدر لتحسس أخبار العير.

أما أبو سفيان فإنه منذ دنا من أرض الحجاز وهو يستطلع أخبار الرسول ﷺ، فلما بلغه خروجه يريدهم استأجر ضمضم بن عمرو الغفاري، وبعث إلى مكة يستنجد قريشا.

خرجت قريش سريعا في نحو (ألف) رجل عليهم أبو جهل، معهم جمال كثيرة، (وستون) فرسا، ولم يتخلَّف منهم إلا قليل.

صفحة الموجز ١-١-١

وقد حاول أمية بن خلَف أن يتخلَّف- إذ كان قال له سعد بن معاذ ﷺ بأن النبي ﷺ أخبره بأن المسلمين قاتلوه-، فحرَّضه أبو جهل على الخروج حتى خرج.

وجاء الشيطان في جنده في صورة سراقة بن مالك المدلجي في رجال من بني مُدلج من بني بكر بن كنانة- وطريق قريش إلى المدينة يمر بهم- فزيَّن لقريش طريقهم وقوتهم، وأعلن إجارته لقريش من بني كنانة قائلا: **(لا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ)** [الأنفال:٤٨]، مما أمَّنهم وشجعهم على الخروج والمحاربة.

بعد أن وصل النبي ﷺ وادي (ذَفِرَان)، بلغه خروج قريش لنجدة القافلة، ولم يكن الرسول ﷺ وأصحابه مستعدين لحربٍ، فطمأنه الله ﷻ ووعده بالظَّفَر بالعير أو النصر على الجيش، كما قال تعالى: **(وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ)** [الأنفال:٧]، وأخبر الرسول ﷺ الناس بأمر الجيش واستشارهم، فتكلَّم أبو بكر ﷺ فأحسن، ثم تكلَّم عمر ﷺ فأحسن، وقال المقداد بن عمرو ﷺ: يا رسول الله امض بنا لما أمرك الله، إذاً لا نقول كما قال قوم موسى عليه السلام لموسى: (اذهب أنت وربك فقاتلا)، ولكننا نقاتل عن يمينك وعن شمالك وبين يديك وخلفك. فأشرق لذلك وجه الرسول ﷺ وسرَّه، ودعا لهم بخير، ولكنه كان يريد أن يعرف رأي الأنصار ﷺ، وهم الأكثر؛ لأنهم إنما بايعوه في (العقبة) على النصرة داخل ديارهم، فقام سعد بن معاذ ﷺ فقال: والله لكأنك تريدنا يا رسول الله؟، لقد آمنا بك وصدقناك، وشهدنا أن ما جئت به هو الحق، وأعطيناك عهودنا ومواثيقنا على السمع والطاعة، فامض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق لو استعرضت بنا هذا البحر فخضته لخضناه معك ما تخلَّف منا رجل واحد، وما نكره أن تلقى بنا عدونا غداً، إنا لصُبُر في الحرب صُدُق في اللقاء، ولعل الله يريك منا ما تقر به عينك، فسِر بنا على بركة الله. حينئذ قال النبي ﷺ سيروا وأبشروا، فإن الله وعدنى إحدى الطائفتين، والله لكأني أنظر إلى مصارع القوم .

لقد سُرَّ الرسول ﷺ من عزيمة أصحابه ﷺ، وقد رأى ﷺ جيش قريش في المنام في عدد قليل، قال الله تعالى: **(إِذْ يُرِيكَهُمْ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)** [الأنفال:٤٣]. فسار الرسول ﷺ بأصحابه ﷺ حتى نزلوا بالعدوة (الدُّنيا) من المدينة، وهم لا يزالون يرجون الظفر بالعير، وجاءت قريش فنزلت بالعدوة (القصوى) من المدينة،

صفحة الموجز ١-١-١

واقترب أبو سفيان من بدر، فأحس بالمسلمين فخفض بقافلته نحو الساحل، ماراً أسفل العدوة الدنيا تاركاً بدراً بيساره، وقد ذكر الله ﷻ هذا الإجتماع لهذه الطوائف الثلاث في قوله تعالى: **(إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ)** [الأنفال:٤٢].

أحرز أبو سفيان قافلته، فبعث إلى قريش ليرجعوا فقال أبو جهل: والله لا نرجع حتى نرد بدراً فنقيم عليه ثلاثاً فننحر الجزور ونطعم الطعام ونسقي الخمر وتعزف علينا القيان وتسمع بنا العرب وبمسيرنا وجمعنا فلا يزالون يهابوننا أبدا بعدها. ولهذا وصفهم الله ﷻ في قوله: **(وَلا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ)** [الأنفال:٤٧].

ثم علم رسول الله ﷺ بموقع جيش قريش حولهم حينما وردت روايا لقريش ماء بدر، فأمسك بهما الصحابة ﷺ، وأتوا بهما الرسول ﷺ – وكان قائماً يُصلِّي– فكان الصحابة ﷺ يسألونهما عن أبي سفيان، فقالا: مالنا علم بأبي سفيان، نحن سقاة قريش. فكره الصحابة ﷺ ما قالا وكذبوهما فضربوهما حتى قالا: نحن لأبي سفيان، ولهذا يقول الله تعالى: **(وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ)** [الأنفال:٧]. فلما انصرف ﷺ من صلاته قال: (والذي نفسي بيده لتضربونهما إذا صدقاكم وتتركونهما إذا كذباكم)، ثم سألهما فعرف منهما موقع جيش قريش وعددهم وأعيانهم.

علم الرسول ﷺ بأن قافلة أبي سفيان نجت، وأنه لا بد من ملاقاة جيش قريش؛ إذ الرجوع إلى المدينة هزيمة أمام العرب قاطبة ويشجع على نقل المعركة إلى المدينة ذاتها، ولكن كان فريق من المؤمنين يرون الرجوع إلى المدينة ويجادلون الرسول ﷺ فيه، حتى قال تعالى: **(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۞ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ)** [الأنفال: ٥.٦].

سار الرسول ﷺ بأصحابه ﷺ حتى نزلوا على ماء بدر، وأنزل الله ﷻ تلك الليلة مطراً كان شديداً على المشركين، وكان على المسلمين طَلاً؛ ثبَّت أقدامهم، ونشَّط نفوسهم، كما قال تعالى: **(وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدَامَ)**

صفحة الموجز ١-١-١

[الأنفال:١١]، وبات الصحابة ﷺ ليلة المعركة تلك نائمين، لما ألقى الله ﷻ في قلوبهم من الأمن: **(إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ)** [الأنفال:١١].

جاء جيش قريش إلى بدر فعسكروا أمام المسلمين، واستفتح أبو جهل فقال: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف فأحنه الغداة، ولهذا قال تعالى: **(إِنْ تَسْتَفْتِحُوا فَقَدْ جَاءَكُمْ الْفَتْحُ وَإِنْ تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لكم)** [الأنفال:١٩].

أعدَّ الرسول ﷺ أصحابه ﷺ لخوض المعركة، ثم دخل العريش الذي بُني له هناك، فاستقبل القبلة ورفع يديه يهتف بربه ويقول: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم آتني ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام لا تُعبد في الأرض)، وما زال يلح في الدعاء حتى سقط رداءه، فرده أبو بكر ﷺ على منكبيه، والتزمه من ورائه، وقال: يا نبي الله كفاك مناشدتك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك. ثم أغفى ﷺ إغفاءة ثم انتبه فقال: (أبشر يا أبا بكر، أتاك نصر الله، هذا جبريل آخذ برأس فرسه عليه أداة الحرب)، ولهذا قال الله تعالى: **(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)** [الأنفال:٩].

وحتى تدور الحرب ويقع ما أراده الله ﷻ فقد قلَّلَ الله ﷻ كل فريق في أعين الفريق الآخر، حتى قال ابن مسعود ﷺ لرجل إلى جنبه: تراهم سبعين؟، قال: لا، بل هم مائة.

ويقول بعض المشركين: ما هؤلاء!، غرَّ هؤلاء دينهم، وقال أبو جهل: إنما هم أَكَلة جزور، وحثَّ أصحابه على أخذ المسلمين أسراً، وهذا مصداق قوله تعالى: **(وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولا وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ)** [الأنفال:٤٤].

لكن حينما نشب القتال، كثَّرَ الله ﷻ المسلمين في أعين الكفار، كما قال تعالى: **(قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ)** [آل عمران:١٣].

وأخذ ﷺ قبضة من الحَصْباء فرمى بها المشركين وقال: (شاهت الوجوه)، فما بقي أحد من القوم إلا امتلأت عيناه من الحصباء، قال تعالى: **(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)** [الأنفال:١٧].

ثم أمر الرسول ﷺ أصحابه ﷺ أن يحملوا على المشركين، فدارت المعركة يوم الجمعة (السابع عشر) من رمضان السنة (الثانية) للهجرة.

صفحة الموجز ١-١-١

وألقى الله ﷻ الرُّعب في قلوب المشركين، وكان الملائكة - على رأسهم جبريل عليه السلام- يشاركون المؤمنين في القتل والأسر؛ فبينما رجل من الأنصار أثناء المعركة يشتد في أثر رجل من المشركين أمامه، فخرَّ مستلقيا، فنظر إليه فإذا هو قد خُطم أنفه وشق وجهه كضربة السوط، فاخضرَّ ذلك أجمع، فجاء الأنصاري فحدَّث بذلك رسول الله ﷺ فقال: (صدقتَ، ذلك من مدد السماء الثالثة)، وقد قال الله تعالى: (**إِذْ يُوحِي رَبُّكَ إِلَى الْمَلَائِكَةِ أَنِّي مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا الَّذِينَ آمَنُوا سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ وَاضْرِبُوا مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ**) [الأنفال:١٢].

وحين رأى إبليس جبريل عليه السلام مُقْبلاً إليه، وكانت يده في يد رجل من المشركين انتزعها ورجع وولَّى، فقال الرجل: يا سراقة أتزعم أنك جار لنا؟، فقال ما قص الله ﷻ عنه: (**فَلَمَّا تَرَاءَتْ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) [الأنفال:٤٨].
وانكشف المشركون، فأخذ فريق من المسلمين يطاردونهم ويأسرون منهم، وفريق من الأنصار عليهم سعد بن معاذ رضي الله عنه قاموا على باب العريش يحرسون الرسول ﷺ، وفريق غالبهم من الشباب أكبوا على المغنم يحوزونه.

وقد انتهت المعركة عن قتل (سبعين) رجلاً من المشركين، وأسر (سبعين) أيضاً، واستشهد من المسلمين (أربعة عشر) رجلا.
فلما كان الليل ورجع الناس وقع النزاع بين المسلمين في الغنيمة، واختصموا إلى النبي ﷺ، حيث أراد الذين حازوها أن يختصوا بها، فانتزعها الله ﷻ من أيديهم، وأمر الرسول ﷺ الناس أن يردوا ما في أيديهم من النَّفل، حتى إن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه ألحَّ على الرسول ﷺ أن يهبه السيف الذي سلبه- أي سعد- من سعيد بن العاص بعد أن قتله، فرفض الرسول ﷺ، وقال: (اذهب فاطرحه في القبض)، حتى وجد سعد رضي الله عنه في نفسه.
وحينئذ أنزل الله على نبيه ﷺ: (**يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْأَنْفَالِ قُلْ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**) [الأنفال:١]، فدعا ﷺ سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه، فقال: اذهب فخذ سَلَبك.

صفحة الموجز ١-١-١

ثم قَسَم الرسول ﷺ **الغنائم** على أصحابه حين بلغ (الصَّفراء) في طريق عودته من بدر بعد أن أخرج منها الخُمُس، كما في قوله تعالى: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)** [الأنفال:٤١]. وكان ممن أسهم لهم أناس لم يحضروا القتال بإذنه؛ كعثمان رضي الله عنه، فقد كانت زوجته مريضة فأمره الرسول ﷺ بتمريضها. وفي الطريق قتل الرسول ﷺ اثنين من الأسرى هما: النضر بن الحارث، وعقبة ابن أبي مُعيط؛ لشدة جرمهم بالمسلمين.

فلما قدم الرسول ﷺ المدينة استشار أصحابه في **الأسرى**، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار فعسى الله أن يهديهم للإسلام، فقال ﷺ: (ما ترى يا بن الخطاب)؟، فقال: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكني أرى أن تمكِّنَّا فنضرب أعناقهم؛ فتمكِّن علياً من عقيل فيضرب عنقه، وتمكِّني من فلان- نسيبا لعمر- فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهوى الرسول ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قال عمر رضي الله عنه، فأنزل الله سبحانه وتعالى على نبيه ﷺ يعاتبه وأصحابه رضي الله عنهم ويلومهم ويهددهم العذاب، دون أن يلغي اجتهادهم في حكم الفداء، فقال تعالى: **(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ۞ لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا)** [الأنفال:٦٧.٦٩].

يقول عمر رضي الله عنه: فلما كان من الغد، جئت فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه قاعدين وهما يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني من أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدتُ بكاء بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما؟، فقال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عَرض عليَّ أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة.

بدأ الرسول ﷺ يأخذ **الفداء** من الأسرى، وكان منهم العباس بن عبد المطلب، فقال: إني كنت مسلماً يا رسول الله، وإن القوم استكرهوني، فقال ﷺ: (الله أعلم بإسلامك، فإن تكن كما تقول فالله يجزيك، فافْدِ نفسك وابن أخويك نوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب وحليفك عتبة بن عمرو)، قال: ما ذاك عندي يا رسول الله، فقال ﷺ: (فأين المال الذي دفنت أنت وأم الفضل فقلتَ لها: إن أُصبتُ فهذا المال لبني)؟، قال: والله إن هذا لشيء ما علمه غيري وغيرها. فأدى جميع الفداء ونزل فيه: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [الأنفال:٧٠].

صفحة الواجب ١-١-١

س١: تكلم بإيجاز عن أحداث معركة أحد.

س٢: هات ثلاث آيات من سورة الأنفال تتحدث عن معركة بدر.

س٣: اختلف الصحابة ﷺ في أسرى بدر، فما قول أبي بكر ﷺ وعمر ﷺ في ذلك؟، وماذا اختار ﷺ؟.

صفحة الموجز ١-٢-١

(١) مقدمة عن سورة الأنفال:

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على منزلة السورة وأسماء السورة وفضلها وأهم الموضوعات التي تناولتها.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يتعرف الطالب على منزلة السورة وأسماءها وفضلها.

١-٢ يتعرف الطالب على أهم موضوعات السورة.

١-٣ يتعرف الطالب على أن النصر في معركة بدر إنما كان من عند الله ﷻ.

ج. موجز الدرس:

١- المقدمة:

أن سورة الأنفال من السور المدنية التي نزلت على الرسول ﷺ بعد غزوة بدر وفيها من الكثير الموضوعات التي تهم الطالب العسكري، فهي بحق سورة الجهاد، وسنتطرق هنا لمقدمات مهمة عن السورة.

٢- ملخص المواضيع:

أ – منزلة السورة.

ب –أسماء السورة.

ت –فضل السورة.

ث –النداءات في السورة.

ج –أهم موضوعات السورة.

ح –تأكيد السورة أن النصر ببدر من عند الله ﷻ من أوجه عدَّة.

صفحة الموجز ١-٢-١

مقدمة عن سورة الأنفال:

أ) منزلة السورة:

سورة الأنفال سورة مدنية بأكملها على الصحيح؛ لأنها نزلت بعد غزوة بدر التي كانت في السنة الثانية لهجرة الرسول ﷺ.

ب) أسماء السورة:

سميت سورة (الأنفال)؛ لأنها افتتحت بالسؤال عن الأنفال، وتسمى سورة (بدر)؛ لأنها أفاضت في الحديث عن غزوة بدر الكبرى، وتسمى سورة (الجهاد)؛ لاشتمالها على كثير من الأحكام المتعلقة بالقتال والجهاد.

ج) فضل السورة:

(كان النبي ﷺ يقرأ بسورة الأنفال في الركعتين من صلاة المغرب) [رواه الطبراني بسند صحيح].

ونُقل عن السلف أنهم كانوا يقرؤون بها في الغزو.

د) النداءات في السورة:

وجهت السورة (**ستة**) نداءات للمؤمنين: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ...**)، و(**ثلاثة**) نداءات للنبي ﷺ: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ...**).

هـ) أهم موضوعات السورة:

١) أحكام الجهاد كالغنائم، والأسرى، والمعاهدات: (**وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**) [آية:٣٩]، (**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ مِنْ شَيْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ**) [آية:٤١]، (**وَإِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا**) [آية:٦١]، (**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ**) [آية:٦٧]، (**وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمْ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ**) [آية:٧٢].

٢) مبادئ وخطط العسكرية الإسلامية، حيث بينت عوامل النصر والهزيمة: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُواْ وَاذْكُرُواْ اللّهَ كَثِيراً لَّعَلَّكُمْ تُفْلَحُونَ ۞ وَأَطِيعُواْ اللّهَ وَرَسُولَهُ وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ وَاصْبِرُواْ إِنَّ اللّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ**) [آية:٤٥-٤٦].

صفحة الموجز ١-٢-١

(وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا اسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدْوَّ اللّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لاَ تَعْلَمُونَهُمُ اللّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لاَ تُظْلَمُونَ...) [آية:٦٠].

٣) منهج العقيدة الإسلامية وأصولها؛ فقد بدأت السورة بالأمر بتقوى الله ﷻ، والإخاء بين المسلمين، وطاعة الله ورسوله، والإيمان الصادق الذي يظهر في سلوك المؤمن ومعاملاته، وتعظيم الله ﷻ، التوكل عليه، وإقامة الصلاة، والإنفاق في سبيل الله ﷻ.

وكان **تركيز** السورة على التحذير من فتنة **الدنيا** وزينتها، وأن تكون قضية المسلمين الكبرى هي الدِّين، يجاهدون في سبيله، ويهاجرون لأجله ،متوكلين على الله ﷻ رادِّين إليه الفضل ﷻ.
ولذا نجد أن السورة بدأت بموضوع الخلاف في الغنائم، وأكدت أن النصر إنما هو من عند الله ﷻ من **عدة وجوه منها:**

١) أن بعض الصحابة ﷺ أصلاً كانوا كارهين للقتال ويجادلون فيه، وكلهم يود أن تكون لهم القافلة ولا يلقوا الجيش، قال تعالى: **(كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بِالْحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقًا مِنْ الْمُؤْمِنِينَ لَكَارِهُونَ ۞ يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ بَعْدَ مَا تَبَيَّن)، إلى قوله تعالى: (وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُم)** [آية:٥- ٧].

٢) أن الله ﷻ قد أعْلَم المسلمين قبل المعركة أنهم منتصرون على المشركين لو قاتلوهم، قال تعالى: **(وَإِذْ يَعِدُكُمْ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ)** [آية:٧].

٣) أن الله ﷻ أمَدّ المسلمينَ بالملائكة يقاتلون معهم: **(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنَ الْمَلائِكَةِ مُرْدِفِينَ)** [آية:٩]، ثم قال ﷻ بعد ذلك: **(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** [آية:١٠]؛ وذلك حتى لا يظنون أن النصر من الملائكة.

٤) تأمين قلوب المسلمين بالنعاس: **(إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ)** [آية:١١].

٥) إنزال المطر علي المسلمين؛ ليربط على قلوبهم ويثبت به أقدامهم: **(وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُمْ مِنْ السَّمَاءِ مَاءً لِيُطَهِّرَكُمْ بِهِ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ الشَّيْطَانِ وَلِيَرْبِطَ عَلَى قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الْأَقْدَامَ)** [آية:١١].

صفحة الموجز ١-٢-١

٦) إلقاء الرعب في قلوب الكافرين: **(سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ)** [آية:١٢].

٧) إصابة المشركين بالحصباء جميعهم حين رماهم رسول الله ﷺ: **(وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى)** [آية:١٧].

٨) أن الصحابة رضي الله عنهم كانوا بمكة قلة مستضعفين خائفين، ثم آواهم الله سبحانه وتعالى إلى المدينة وأيدهم بنصره ورزقهم من الطيبات وألَّف بين قلوب المؤمنين: **(وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ تَخَافُونَ أَنْ يَتَخَطَّفَكُمُ النَّاسُ فَآوَاكُمْ وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ)** [آية:٢٦]، وقوله تعالى: **(هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ)** [آية:٦٢.٦٣].

٩) أن الله جل جلاله بتقديره وتيسيره وحكمته هو الذي جمع المسلمين مع المشركين في بدر: **(إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا)** [آية:٤٢].

١٠) تقليل عدد المشركين حين رآهم النبي ﷺ في المنام، مما شجع المسلمين على القتال: **(إِذْ يُرِيكَهُمْ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ)** [آية:٤٣].

١١) تقليل عدد المشركين في أعين المسلمين، وكذلك قلَّلَ عدد المسلمين في أعين المشركين، مما شجع على خوض المعركة: **(وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذْ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ...)** [آية:٤٤].
نعم إن هذا النصر المبين الذي حصل في هذه الغزوة العظيمة قَدَر قدَّره الله جل جلاله من قبل، وهو الذي هيَّأ أسباب الإلتقاء والقتال، ثم أنزل أسباب النصر، وصدق الله سبحانه وتعالى إذ يقول: **(فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ)** [آية:١٧]، فله الحمد في الأوْلَى والآخرة: **(إن يَنْصُرْكُمْ اللَّهُ فَلَا غَالِبَ لَكُمْ وَإِنْ يَخْذُلْكُمْ فَمَنْ ذَا الَّذِي يَنْصُرُكُمْ مِنْ بَعْدِهِ)** [آل عمران:٢٠٠].

صفحة الواجب ١-٢-١

س١: متى نزلت سورة الأنفال؟، وما هي أهم أسماؤها؟.

س٢: ما فضل سورة الأنفال؟.

س٣: كم عدد النداءات للمؤمنين في السورة؟.

س٤: عدد أهم موضوعات السورة.

س٥: أكدت سورة الأنفال من عدة أوجه أن النصر في معركة بدر إنما هو من عند الله ﷻ، عدد ثلاثة أوجه منها، مستشهدا على ما تقول بآية لكل وجه.

صفحة الموجز ١-٣-١

(١) الآيات: (١-٤):

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على الأحكام المتعلقة بالغنائم، ثم يتعرف على صفات أهل الإيمان الموجودة في هذا المقطع.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يستطيع الطالب تلاوة الآيات بطريقة صحيحة، ثم يحفظها غيبا.

١-٢ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

١-٣ أن يعرف الطالب صفات أهل الإيمان.

ج. موجز الدرس:

١ -المقدمة:

تبدأ السورة في الحديث عن غنائم معركة بدر وما حصل للصحابة ﷺ حولها، ثم تعرج الآيات في ذكر صفات أهل الإيمان.

٢ -ملخص المواضيع:

أ - الآيات: (١-٤).

ب -المعاني.

ت -الفوائد.

صفحة الموجز ١-٣-١

الآيات: (٤،١)

بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ

﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْأَنفَالِ ۖ قُلِ ٱلْأَنفَالُ لِلَّهِ وَٱلرَّسُولِ ۖ فَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ وَأَصْلِحُوا۟ ذَاتَ بَيْنِكُمْ ۖ وَأَطِيعُوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥٓ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿١﴾ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ٱلَّذِينَ يُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ﴿٣﴾ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُؤْمِنُونَ حَقًّا ۚ لَّهُمْ دَرَجَٰتٌ عِندَ رَبِّهِمْ وَمَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ ﴿٤﴾ ﴾

أ) المعانـي:

(**يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْأَنْفَالِ**): أي يسألك أصحابك يا محمد ﷺ عن قسمة الغنائم، وعبَّر بالفعل المضارع لاستحضار الحادثة في ذهن القارئ والسامع لشد انتباهه، وصدَّر الكلام بالسؤال للتشويق لمعرفة الجواب.

وسبب نزولها: اختلاف الصحابة ﷺ في غنائم بدر، حيث حازها بعضهم عن بعض، فاختصموا إلى النبي ﷺ، فنزلت الآيات تردها إلى الرسول ﷺ، فردوها، فقسمها النبي ﷺ بالعدل. يقول عبادة بن الصامت ﷺ: فينا أصحاب بدر نزلت، حين اختلفنا في النفل وساءت فيه أخلاقنا، فنزعه الله من أيدينا فجعله إلى رسول الله ﷺ، فقسم رسول الله ﷺ بين المسلمين عن بواء (سواء).

(**قُلْ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**): أي الحكم في الأنفال مختص بالله ﷻ والرسول ﷺ وبه قال **جمهور** المفسرين، **وقيل**: ملكيتها ثم نسخت بآية (٤١)، والأول أرجح.

لكن استفاد منه بعض علماء **المالكية** أن حكم الأنفال خيار للرسول ﷺ ومن بعده من الحكام أن يقسمها على الغانمين، إلا الخمس، وله أن يمنعهم جميعها، مستدلين بفتح مكة وبمنع الأنصار من غنائم حنين. وعطف الرسول ﷺ على لفظ الجلالة، تشريفا له ﷺ.

صفحة الموجز ١-٣-١

(**فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَصْلِحُوا ذَاتَ بَيْنِكُمْ**): اجعلوا بينكم وبين عذابه وقاية بفعل ما أمر وترك ما نهى، ومن ذلك تنفيذ حكمه في الغنائم، وأصلحوا ما اختلفتم فيه من الأمور المشتركة بينكم ومن ذلك الغنائم، فالإصلاح جزء من التقوى.

(**إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ**): القصر حقيقي، والمراد: المؤمنون الكمَّل.

(**وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ**): أي خافت من الله مما يمنعهم من معصيته ويحملهم على التوبة منها: (**وَالَّذِينَ إِذَا فَعَلُواْ فَاحِشَةً أَوْ ظَلَمُواْ أَنْفُسَهُمْ ذَكَرُواْ اللّهَ فَاسْتَغْفَرُواْ لِذُنُوبِهِمْ**) [آل عمران:١٣٥].

(**زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**): أي يقيناً بالله ﷻ ورغبة فيما عنده ورهبة منه.

(**وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ**): أي يعتمدون عليه ﷻ في جلب المنافع ودفع المضار، لاعتقادهم علمه وقدرته على كل شيء، وأنهم يحتاجون إليه في كل حال. وتقديم الجار على المجرور يُفيد حصر توكلهم على الله ﷻ وحده.

(**الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ**): أي يؤدونها على الوجه الأقوم.

(**وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**): أي ينفقون بعض أموالهم في سبل الخير، سواء زكاة أو غيرها، معتقدين أن ذلك هو من فضل الله ﷻ، لأنه الذي رزقهم المال. ولم يحدد أوجه الإنفاق ليعم كل ما شرع الله ﷻ.

(**أُوْلَئِكَ هُمْ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**): أي المؤمنون إيماناً حقاً كاملاً، وهنا مدح لهم بعلو المكانة والمرتبة؛ ولذا أشار إليهم بأسلوب البعيد، ولم يقل: (هؤلاء هم)، كما مدحهم بكمال الإيمان.

(**لَهُمْ دَرَجَاتٌ عِنْدَ رَبِّهِمْ**): أي منازل رفيعة شريفة في الجنة. فجمع الدرجات هنا إشارة إلى ارتفاعها، وتنكير: (**دَرَجَاتٌ**) لإفادة الكثرة. وقوله: (**عِنْدَ رَبِّهِمْ**): إشارة إلى شرفها وأنهم مقربون من الله ﷻ. وتقديم الجار على المجرور: (**عِنْدَ رَبِّهِمْ**) فيه اهتمام بالمتقدِّم، وتشويق للمتأخر.

(**وَمَغْفِرَةٌ**): أي لذنوبهم.

(**وَرِزْقٌ كَرِيمٌ**): هو ما ينالونه من الخير في الجنة. ووصف الرزق بالكريم؛ لأنه غير محدود.

صفحة الموجز ١-٣-١

ب) الفوائد:

١) من أخطر الفتن **فتنة المال والغنى**، فإنها قد تُغفل العبد عن ربه وتُشغله عن طاعته، لكن فتنة الفقر والحاجة قد ترده إلى الله ﷻ، وقد صَدَق قول الرسول ﷺ للصحابة ﷺ: (ما الفقر أخشى عليكم، ولكن أخشى أن تُفتح الدنيا عليكم فتتنافسوها كما تنافسها من قبلكم، فتهلككم كما أهلكتهم).

٢) الصحابة ﷺ رغم أنهم أفضل الأمة، إلا أنهم كغيرهم من البشر ليسوا **بمعصومين** من الخطأ: (كل بني آدم خطَّاء، وخير الخطَّائين التوابون)، ومن نسب **العصمة** إلى أحد من آل البيت فقد ضلَّ.

٣) أن طلب **الغنيمة** جائز؛ ولذا سألها الصحابة ﷺ وأعلنها الرسول ﷺ قبل المعركة تشجيعا لهم، ولم ينكر الله ﷻ عليهم إلا الاختلاف فيها – وهذا مثل من يحج ويتاجر – إنما الممنوع أن يكون قصد العبد المغنم الدنيوي فقط، ولهذا كان جواب الرسول ﷺ حكيما عندما سئل عن؛ الرجل يقاتل للمغنم، والرجل يقاتل ليُرى مكانه، أيُّ ذلك في سبيل الله؟، فقال: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا فهو في سبيل الله).

٤) أهمية **السؤال عن أمور الدين** ورد النزاع إلى الشرع، وهكذا فعل الصحابة ﷺ، فإنهم رجعوا إلى الرسول ﷺ وسألوه. وفي القرآن وبخاصة سورة (البقرة) آيات ذكرت كثيرا من أسئلتهم، مما يدل على حرصهم على معرفة الحق، والبعد عما لا يجوز ولا يحل لهم، قال تعالى: **(فَاسْأَلُواْ أَهْلَ الذِّكْرِ إِن كُنتُمْ لاَ تَعْلَمُونَ)** [النحل:٤٣] [الأنبياء:٧].

٥) كل **شؤون الإنسان** يجب أن تخضع لشرع الله ﷻ، حتى تكتمل عبوديته لله ﷻ، ومن ذلك كسبه المال، يجب أن يكون وفق حكم الله ﷻ ورسوله ﷺ.

٦) **علاج** ما يقع بين المسلمين من **مشاكل** يكون بتذكيرهم بالله ﷻ، وبصفات أهل الإيمان، وبما أعدَّ الله ﷻ لهم من الثواب العظيم في الآخرة، كما فعلت سورة (الأنفال) أمام مشكلة النزاع في غزوة بدر. إنَّ التزام الدِّين والتَّفقُّه فيه هو الضمانة للمجتمع ولأمْنه، وهو الوسيلة الناجحة في حل مشاكله، وما سوى ذلك؛ كالقومية، والوطنية، ونحوها من الروابط المادية المفتعلة أو الجبرية، كلها حلول ضعيفة منقطعة، كما أثبتت ذلك التجارب.

صفحة الموجز ١-٣-١

٧) وجوب الحذر من **خطوات الشيطان** دائما، فإنه إذا عجز أن يَصْرف الإنسان عن العمل الصالح، جاء في آخره فأفسده عليه، بأن يصرفه عن قصده الصحيح وهو مرضاة الله ﷻ، إلى حظوظ الدنيا.

٨) الله ﷻ أعْلم وأحْكم، فقد يكون **الخير فيما يكره الإنسان**، فقد كان خلاف الصحابة سببا لبيان حكم الغنائم: (**فَعَسَى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَيَجْعَلَ اللَّهُ فِيهِ خَيْرًا كَثِيرًا**) [النساء:١٩].

٩) أن **طاعة الرسول** ﷺ هي من طاعة الله ﷻ؛ ولذا قرن الله ﷻ اسم الرسول ﷺ باسمه تعالى في الحكم في الأنفال، وفي وجوب الطاعة.

١٠) وجوب **تقوى الله** ﷻ، وامتثال أمره **وأمر رسوله** ﷺ، والحفاظ على **اجتماع كلمة المسلمين**؛ ولذا اشترط الله ﷻ هذه الأمور في الإيمان، وجعلها علامة على صدق إيمان العبد.

١١) أن **الإيمان الكامل** لا يحصل إلا بصفات **خمس**: (تعظيم الله ﷻ) **و** (تدبر آياته والتأثر بها) **و**(التوكل على الله ﷻ وحده في جلب النفع ودفع الضر) **و**(أداء الصلاة على الوجه الأقوم كما صلَّى الرسول ﷺ) **و**(الإنفاق بالعدل في سبل الخير، رادّاً الفضل إلى الله ﷻ الذي رزقه المال).

١٢) أن **الإيمان اعتقاد** بالقلب **وعمل** بالجوارح، وأن أعمال القلب هي الأصل، وهي الأفضل، ولذلك قدَّم الله ﷻ ذِكْرها، وقد قال رسول الله ﷺ: (ألا وإن في الجسد مضغة إذا صَلحت صلح الجسد كله، وإذا فَسدت فسد الجسد كله: ألا وهي القلب). وإن الميزان والتفاضل عند الله ﷻ بين العباد إنما هو بحسب صلاح اعتقادهم وأعمالهم، كما قال رسول الله ﷺ: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) [رواه مسلم].

١٣) أن **الإيمان يزيد وينقص**، (فيزيد) بمعرفة الله ﷻ ودينه وأدلة الحق وبالطاعة، (وينقص) بالغفلة وبالشُّبَه وبالمعاصي، قال تعالى: (**وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ آيَاتُهُ زَادَتْهُمْ إِيمَانًا**) [الأنفال:٢]، والآيات والأحاديث في هذا كثيرة.

١٤) وجوب **تعاهد القرآن** بالتلاوة والتعلم وحضور **مجالس الذكر**؛ لأن ذلك مما ينمي الإيمان في القلوب، فتزْكو النَّفْس.

صفحة الموجز ١-٣-١

١٥) أن **الجنة درجات** بعضها فوق بعض، فالناس فيها متفاوتون **(هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ)** [آل عمران:١٦٣]، وفي [الصحيحين] عن أبي سعيد الخدري ﷺ أن رسول الله ﷺ قال: (إن أهل الجنة ليتراءون أهل الغرف من فوقهم، كما تتراءون الكوكب الغابر من الأفق من المشرق أو المغرب، لتفاضل ما بينهم. قالوا: يا رسول الله ﷺ تلك منازل الأنبياء لا يبلغها غيرهم؟، قال: والذي نفسي بيده رجال آمنوا بالله وصدَّقوا المرسلين).

صفحة الواجب ١-٣-١

س١: ما سبب نزول قوله تعالى: (يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْأَنْفَالِ)؟.

س٢: ما صفات أهل الإيمان التي نصت عليها الآيات؟.

س٣: ما معنى: (وجلت قلوبهم)؟، ولماذا خصَّ القلب بالوجل؟.

س٤: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات.

صفحة الموجز ١-٤-١

(١) الآيات (٥-٨)

أ. مقدمة:

أعد هذا الدرس ليتعرف الطالب على الوقائع والأحداث التي حصلت قبل معركة بدر.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يستطيع الطالب تلاوة الآيات بطريقة صحيحة ليحفظها غيبا.

١-٢ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

١-٣ يتعرف الطالب على الأحداث التي حصلت قبل المعركة، ونِعم الله ﷻ على المؤمنين في ذلك.

١-٤ أن يدرك الطالب عظمة الله ﷻ ونصره لعباده المؤمنين.

ج. موجز الدرس:

١. المقدمة:

بعد أن وصف الله ﷻ عباده المؤمنين، تأتي هذه الآيات واصفة لحال المؤمنين قبل معركة بدر وما هم عليه من الخوف، ثم تعرج الآيات مبينة بشرى الله ﷻ لعباده المؤمنين بالتغلب على أعدائهم.

٢. ملخص المواضيع:

أ -الآيات: (٥-٨).

ب -المعاني.

ت -الفوائد.

صفحة الموجز ١-٤-١

الآيات: (٥ . ٨)

﴿كَمَآ أَخۡرَجَكَ رَبُّكَ مِنۢ بَيۡتِكَ بِٱلۡحَقِّ وَإِنَّ فَرِيقٗا مِّنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ لَكَٰرِهُونَ ۝٥ يُجَٰدِلُونَكَ فِي ٱلۡحَقِّ بَعۡدَ مَا تَبَيَّنَ كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى ٱلۡمَوۡتِ وَهُمۡ يَنظُرُونَ ۝٦ وَإِذۡ يَعِدُكُمُ ٱللَّهُ إِحۡدَى ٱلطَّآئِفَتَيۡنِ أَنَّهَا لَكُمۡ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيۡرَ ذَاتِ ٱلشَّوۡكَةِ تَكُونُ لَكُمۡ وَيُرِيدُ ٱللَّهُ أَن يُحِقَّ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَيَقۡطَعَ دَابِرَ ٱلۡكَٰفِرِينَ ۝٧ لِيُحِقَّ ٱلۡحَقَّ وَيُبۡطِلَ ٱلۡبَٰطِلَ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨﴾

أ) المعاني:

(**كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ**): أي يجب على المؤمنين أن يردُّوا الغنائم ليحكم الله ﷻ ورسوله ﷺ فيها، كما أن الفضل لله ﷻ، فهو الذي يسر خروج نبيه بالمؤمنين إلى بدر وخوض المعركة، رغم كراهية بعض المؤمنين لذلك، أو المعنى: أن الخير للمؤمنين أن يردوا الغنائم وإن كرهوا ذلك، كما أن الخير كان في الخروج للقتال بالرغم من كُرْه فريق من المؤمنين لذلك.

(**بِالْحَقِّ**): أي بالدِّين الذي لا شُبْهَةَ فيه، أو بالعدل والإصلاح، لا بالظلم والإفساد.

وسبب النزول: توقفه ﷺ ومشاورته لأصحابه ﷺ لما علم ﷺ بنجاة العير، وخروج جيش قريش لملاقاته.

(**يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ**): أي في القتال، وأنهم على غير استعداد ليرجع بهم.

(**بَعْدَمَا تَبَيَّنَ**): أي بعدما اتضح أن القتال هو الرأي الصواب اللازم، أو أنه أمر لله ﷻ ولرسوله ﷺ، أو بعدما تبين وعد الله ﷻ وأن لهم إحدى الطائفتين.

(**كَأَنَّمَا يُسَاقُونَ إِلَى الْمَوْتِ وَهُمْ يَنظُرُونَ**): أي موقنون بالهزيمة في المعركة، كحال الذين يقادون أحياء ليُقتلون لا يشكُّون في الموت.

صفحة الموجز ١-٤-١

(**إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ**): أي العِير أو النَّفير، ولم يحدد إحداها تشجيعاً لهم على المسير إلى القتال، وإبعادا لهم عن الفشل والجبن.

(**غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ**): المراد العِير، ومعنى الشوكة: السلاح والقوة، ولم يقل: (وتودون أن العير لكم)، أو: (غير النفير لكم)، ليبين أن كُرههم للنفير هو لخوف القتل.

(**يُحِقَّ الحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ**): أي ليظهر ﷻ ويثبت الحق؛ بلقائكم لذات السلاح وانتصاركم وقتلهم وأسرهم وأخذ الغنيمة. و(**بِكَلِمَاتِهِ**): أي أوامره ﷻ التي أمركم بها أن تحاربوا ذات الشوكة، وبوعده لكم بالنَّصر والظَّفَر.

(**وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ**): أي يستأصلهم حتى آخرهم بالقتل أو الأسر والإذلال، ولم يقل: (يقطع الكفر)، إيماءً إلى بقائه إلى قيام الساعة.

(**لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ**): تأكيد، أي يثبت ويظهر الإسلام ويمحق الشرك. أو: يبرهن بنصرة المؤمنين على أن ما هم عليه هو الحق، والعكس ما كان عليه الكفار، ببرهان محسوس بعد البرهان النظري، لتكون مثلاً ودرساً للاحقين. وفيه إشارة إلى أن سبب النصر، هو كونهم على الحق، لا لكثرة عَدَد ولا عِدَّة.

(**الْمُجْرِمُونَ**): أي المشركون، فهم يكرهوا أن يظهر الإسلام، ويكرهوا أن يبطل الكفر.

ب) الفوائد:

١) وجوب **الانقياد لشرع الله** ﷻ ولو خالف هوى النفس وكرهته؛ لأن في ذلك الخير، خصوصا أذا تبَّين أن ذلك مما أمر الله ﷻ به ورضيه: (**وَعَسى أَنْ تَكْرَهُوا شَيْئًا وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ...**) [البقرة:٢١٦].

٢) أن **كراهة الموت ومشقة العمل** الصالح ليست من النفاق، ولكن الأعمال والعبادات تتفاوت في صعوبتها، والمؤمنون يتفاوتون في قدراتهم وفي إيمانهم، وكلما عَلا الإيمان استحْلى المشقة في سبيله؛ ولذا لم يقع الجدال كل الصحابة ﷺ ولا من أكابرهم.

صفحة الموجز ١-٤-١

٣) أهمية **الرفق مع الناس** في مجال الدعوة إلى الله ﷻ، بأن يراعي الداعي طبيعتهم البشرية الضعيفة، فإن الإنسان قد يرتكب المخالفة ويتثاقل عن الطاعة، مع صحة اعتقاده وإيمانه.

٤) مشروعية **الشورى** وفتح باب الرأي بين القائد والجيش، وأن يأخذ أولى الآراء بالحق.

٥) ذم **الجدال والاختلاف** بعد معرفة ووضوح الحق، أما قبل تبين الراجح من الآراء، فلا لوم على أحد من المختلِفين، فمن حقِّ كل إنسان أن يُعبِّر عن رأيه، فإذا تبَّين الدليل الصواب، لم يجز تركه.

٦) جواز **أخذ تجارة الكفار** في حالة الحرب معهم، وذلك من الجهاد لإعلاء كلمة الله ﷻ.

٧) ما **شاء الله** ﷻ كائن لا محالة، لكن **للإنسان مشيئة** هي تابعة لمشيئة الله ﷻ، ولهذا نَسَب الله ﷻ إخراج الرسول ﷺ لبدر إلى نفسه ﷻ، ولذا تحقق ما وعد الله ﷻ به المؤمنين، وتحقق ما يريده الله ﷻ من القتال وقمع الكفار، ولم يتحقَّق ما يودُّه المسلمون من العِير والسلامة من الجيش.

٨) أن **هدف الجهاد** هو نصرة الحق ودحر الباطل: **(لِيُحِقَّ الْحَقَّ وَيُبْطِلَ الْبَاطِلَ وَلَوْ كَرِهَ الْمُجْرِمُونَ)** [الأنفال:٨].

٩) يجب على المسلمين **العودة إلى الله ﷻ وتطبيق شرعه** لينصرهم الله ﷻ، فإن من أعظم **أسباب النصر** التمسك بدين الله ﷻ فهو الحق، كما أن من أعظم **أسباب الهزيمة** الكُفْر والفساد فهما الباطل. وأن الله ﷻ يثبِّت الحق ويزيل الباطل، ولو كره الكافرون واجتهدوا في منعه **(بَلْ نَقْذِفُ بِالْحَقِّ عَلَى الْبَاطِلِ فَيَدْمَغُهُ فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ)** [الأنبياء:١٨].

١٠) أن من **ترك شيئا لله ﷻ** عوَّضه الله ﷻ خيرا منه، ومن **قدَّم حقَّ الله ﷻ** ورِضاه على حظِّ نفسه ورضاه أرضاه الله ﷻ، ومن **حفظ الله ﷻ** في دِينه حفظه الله ﷻ في دُنْياه؛ ولهذا فإن هؤلاء المؤمنين من أهل بدر لما فاتتهم العير بأموالها- فلم يرجعوا بل قاتلوا الكفار رغم أنهم غير مستعدين عند الخروج- جمع الله ﷻ لهم بين النصر وبين الغنيمة، وذلك أعظم مما فاتهم من العير، وهكذا كان ما أراده الله ﷻ لهم خيرا لهم مما أرادوه لأنفسهم.

١١) **إثبات الألوهية لله ﷻ وصدق الرسالة** المحمدية، ومن **دلائل ذلك:** ما وعد الله ﷻ به من النصر أو الغنيمة قبل بدر لرسوله ﷺ، فتحقق ذلك ولله الحمد.

صفحة الواجب ١-٤-١

س١: وردت كلمة: (الحق) في المقطع السابق عدة مرات، فما الفرق بين: (كَمَا أَخْرَجَكَ رَبُّكَ مِنْ بَيْتِكَ بالحق)، و (يُجَادِلُونَكَ فِي الْحَقِّ)؟.

س٢: ما معنى: (إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ)، (غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ)؟.

س٣: أشارت الآيات أن المسلمين سينتصرون في معركة بدر قبل وقوع المعركة، اذكر نص الآية في ذلك.

س٤: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات.

صفحة الموجز ١-٥-١

(١) الآيات: (٩-١٤)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على المبشرات التي ظهرت قبل معركة بدر؛ لتطمئن بها قلوب المؤمنين.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يستطيع الطالب تلاوة الآيات بطريقة صحيحة ليحفظها بعد ذلك غيبا.

١-٢ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

١-٣ أن يعلم الطالب عظمة الله ﷻ وأنه قريب مجيب.

١-٤ أن يعلم الطالب أن جنود الله ﷻ كُثُر لا يعلمهم إلا هو ﷻ.

١-٥ أن يعرف الطالب نعم الله ﷻ على المؤمنين في بدر عند المعركة.

ج. موجز الدرس:

١. المقدمة:

تأتي هذه الآيات متممة لمبشرات النصر في معركة بدر بعد أن استجاب الله ﷻ دعاء نبيه ﷺ.

٢. ملخص المواضيع:

أ – الآيات: (٩-١٤).

ب – علاقة الآيات بما قبلها.

ت – المعاني.

ث – الفوائد.

صفحة الموجز ١-٥-١

الآيات: (٩. ١٤)

﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ إِذْ يُغَشِّيكُمُ ٱلنُّعَاسَ أَمَنَةً مِّنْهُ وَيُنَزِّلُ عَلَيْكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً لِّيُطَهِّرَكُم بِهِۦ وَيُذْهِبَ عَنكُمْ رِجْزَ ٱلشَّيْطَٰنِ وَلِيَرْبِطَ عَلَىٰ قُلُوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ ٱلْأَقْدَامَ ﴿١١﴾ إِذْ يُوحِى رَبُّكَ إِلَى ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ أَنِّى مَعَكُمْ فَثَبِّتُوا۟ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ۚ سَأُلْقِى فِى قُلُوبِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلرُّعْبَ فَٱضْرِبُوا۟ فَوْقَ ٱلْأَعْنَاقِ وَٱضْرِبُوا۟ مِنْهُمْ كُلَّ بَنَانٍ ﴿١٢﴾ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ شَآقُّوا۟ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ ۚ وَمَن يُشَاقِقِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَإِنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿١٣﴾ ذَٰلِكُمْ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلْكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ﴿١٤﴾﴾

أ) علاقة الآيات بما قبلها:

الآيات السابقة تذكِّر المؤمنين بنعم الله ﷻ عليهم قبل خوض معركة بدر، وهذه الآيات تعدد نعم الله ﷻ عليهم وقت المعركة بعدما دعى ﷺ.

ب) المعاني:

(**إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ**): أي اذكروا إذ تدعون الله ﷻ أن ينصركم، واستعمل صيغة المضارع لاستحضار صورة الحادثة.

(**مُرْدِفِينَ**): أي يتبع بعضهم بعضا، **وقيل**: متبَعين بعدد آخر، **وقيل**: المعنى منجدين لكم. **قيل** عدد الملائكة: (ألفا)، **وقيل**: (ثلاثة)، **وقيل**: (ثلاثة) ثم أُكملوا (خمسة).

صفحة الموجز ١-٥-١

وسبب نزول الآية: دعاء النبي ﷺ ليلة لما رأى قلة المسلمين وكثرة المشركين، فقد استقبل ﷺ القبلة وعليه رداؤه، يدعو ويقول: (اللهم أنجز لي ما وعدتني، اللهم إن تهلك هذه العصابة من أهل الإسلام فلا تُعبد في الأرض أبدا). وما زال يستغيث ويدعو حتى سقط رداؤه عن منكبه ﷺ، فأتاه أبو بكر رضي الله عنه فأخذ ردائه فرده، وقال: يا نبي الله، كفاك مُنَاشدتُك ربك، فإنه سينجز لك ما وعدك، فنزلت الآية [رواه أحمد].

(**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى**): أي ما جعل الله ﷻ الإمداد بالملائكة إلا لتُسرُّوا به.

(**وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ**): أي ليس النصر من عند أحد غير الله ﷻ، فهو الناصر الحقيقي، وليس الملائكة إلا سبب من الأسباب.

(**إِذْ يُغَشِّيكُمْ النُّعَاسَ أَمَنَةً مِنْهُ**): أي النوم ليلة المعركة لما جعل في قلوبهم من الأمن، وقيل: كان النعاس أثناء القتال ،كما حصل للرسول ﷺ من الغفوة في العريش، وكما وقع في غزوة أحد.
أخرج [أبو يعلى والبيهقي في دلائل النبوة] عن علي رضي الله عنه قال: ما كان فينا فارس يوم بدر غير المقداد، ولقد رأيتنا وما فينا إلا نائم، إلا رسول الله ﷺ يصلي تحت شجرة ويبكي حتى أصبح.

(**رِجْزَ الشَّيْطَانِ**): أي كيده ووسوسته بالخوف والحزن والفشل.

وسبب النزول: عن ابن عباس رضي الله عنه قال: (غلب المشركون في أول أمرهم على الماء؛ فضمئ المسلمون، وصلُّوا محدثين، وكان بينهم رمال. فألقى الشيطان في قلوبهم الحزن، وقال: أتزعمون أن فيكم نبيا، وأنكم أولياء، وتصلون مجنبين محدثين، فأنزل الله ﷻ الماء؛ فسال عليهم الوادي، فشربوا وتطهروا، وثبتت أقدامهم، وذهبت وسوسة الشيطان) [رواه ابن المنذر من طريق ابن جرير الطبري].

(**فَاضْرِبُوا فَوْقَ الْأَعْنَاقِ**): أي اضربوا الرِّقاب أو أعلاها أو الرؤوس، **قيل:** هو أمر للملائكة **وقيل:** للمؤمنين.

صفحة الموجز ١-٥-١

(**كُلَّ بَنَانٍ**): أطراف الأصابع، إما بقطعها أو بقطع الأيدي والأرجل؛ لأن قطعها تعطيل للعضو الفعال في القتال. [أخرج ابن أبي حاتم عن الربيع بن أنس ﷺ] قال: (كان الناس يوم بدر يعرفون قتلى الملائكة ممن قتلوهم، بضرب على الأعناق، وعلى البنان مثل سمة النار قد احترق به).

(**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**): أي رعبهم وقتلهم، بسبب أنهم خالفوا الله ورسوله ﷺ.

(**فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**): هذا تهديد، أي: سيعذبه عذاباً شديداً.

(**ذَلِكُمْ فَذُوقُوهُ**): اسم الإشارة (ذلك) يعود على العقاب الصارم القوي الذي ذاقوا آلامه، وعبَّر (بالذوق) ليُعلم أن ما أصاب المشركين ليس إلا شيء قليل؛ كمن يذوق الطعام، وسيعرف الكثير منه في الآخرة.

ج) الفوائد:

١) أهمية **الدعاء** في تحقيق النصر، وأنه لا يعارض الإيمان بالقدر، ولهذا استغاث الرسول ﷺ والمؤمنون يوم بدر، رغم أن الله ﷻ وعدهم بالنصر.

٢) مشروعية **الأخذ بالأسباب** من غير تعلُّق بها، بل يعلِّق قلبه بالله ﷻ في تحقيق النتيجة، ولهذا قال ﷻ عن تأييد المؤمنين: (**وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [الأنفال:١٠].

٣) من **لطف الله** ﷻ ورحمته بعبده وتكريمه له، أن **ييسر له طاعته** بأسباب داخلية أو خارجية. وهكذا يسَّر الله ﷻ للمؤمنين هذا العمل الجهادي الكبير ببدر والذي له ما بعده من الفتوح الإسلامية، ولو شاء لقطع دابر الكافرين بدون ذلك: (**وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**) [الأنفال:١٠].

٤) تذكُّر **المُنْعم** ﷻ عند حدوث النِّعم، ولهذا عدَّد الله ﷻ جملة من نعمه على المؤمنين ببدر، وأكَّد أنه وحده المتفضِّل عليهم بذلك.

صفحة الموجز ١-٥-١

٥) الإيمان **بالملائكة** وحبهم للمؤمنين، وأن من أعمالهم القتال مع المؤمنين بقدر ما يحصل به تثبيتهم، وأنهم مطيعون لأمر ربهم ﷻ مفتقِرون لمعِيَّته وعونه، كغيرهم من الخلق.

٦) **النُّعاس** في القتال خير ورحمة بالمؤمنين، يُذهب عن قلوبهم الجبن والفزع.

٧) إثبات **الطهورية لماء المطر**، فيشرع الوضوء والغسل منه وإزالة النجاسات.

٨) أثر **الطهارة البدنية الحسية** في الطهارة المعنوية من أرجاس الشيطان، وقد أخبر الرسول ﷺ عن فضل الوضوء وأثره في تحاتِّ الذنوب التي اكتسبتها الأعضاء.

٩) أثر **المطر** في استبشار النفوس وقوة العزيمة: **(فَإِذَا أَصَابَ بِهِ مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ)** [الروم:٤٨].

١٠) **القلب** محل الأمن والخوف، فصلاحه أو فساده صلاح للجسد أو فساد، وبقية الأعضاء تتأثر بما يعتريه وما يجيش به.

١١) **الكفر والمعاصي** سبب الخوف والقلق، كما أن **الإيمان والطاعة** سبب الأمن، كما قال تعالى: **(سَأُلْقِي فِي قُلُوبِ الَّذِينَ كَفَرُوا الرُّعْبَ ... ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ)** [الأنفال:١٢- ١٣]، **(الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُوْلَئِكَ لَهُمْ الْأَمْنُ)** [الأنعام:٨٢].

١٢) من **جنود الله** ﷻ العظيمة **(الرُّعْب)**، يلقيه الله ﷻ في قلب العبد، فلا يغني عنه كثرة ولا عُدَّة. فلقد قذف الله ﷻ الرعب في قلوب المشركين يوم بدر، وألقى الله ﷻ الرعب حول مكان أصحاب الكهف، فلم يقتر منهم أحد طيلة (٣٠٩) سنة، وجعله الله ﷻ سلاحا ربانيا للمسلمين، كما قال رسول الله ﷺ: (نُصرت بالرعب مسيرة شهر)، **(وَلِلَّهِ جُنُودُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ)** [الفتح:٤]، **(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)** [المدثر:٣١] .

صفحة الموجز ١-٥-١

١٣) التوكل على الله ﷻ في جميع الأمور، وفي تحقيق التقدم والنصر على الكافرين. فيعتقد العبد أن النصر والنجاح والخير إنما هو بيد الله ﷻ، ويتقرب إلى الله ﷻ ويطيعه ليحققها له، ويسأله إياها، ثم لا يحتقر نفسه، بل يستعمل ما عنده من الأسباب، فإن مُلك كل شيء بيد الله ﷻ، حتى قلوب الأعداء قادر أن يجعلهم أصدقاء: (**عَسَى اللَّهُ أَنْ يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُمْ مِنْهُمْ مَوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ**) [الممتحنة:٧].

١٤) أهمية ارتفاع **الروح المعنوية**، وهي الجانب النفسي للمجاهد في تحقيق النصر بإذن الله ﷻ.

١٥) من **عصى الرسول** ﷺ أو **سخِر** من سنته، فقد عصى الله ﷻ وسخر من شرْعه، ولهذا قَرَن الله ﷻ بين مشاقته ومشاقة رسوله ﷺ مباشرة فقال: (**ذَلِكَ بِأَنَّهُمْ شَاقُّوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَمَنْ يُشَاقِقْ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَإِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ**) [الأنفال:١٣].

صفحة الواجب ١-٥-١

س١: ما معنى: رجز الشيطان/ كل بنان/ مردفين؟.

س٢: عدد ثلاثة من النعم التي أنعم الله ﷻ بها على المؤمنين في بدر أثناء المعركة.

س٣: ما سبب نزول قوله تعالى: (إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ...)؟.

س٤: ما فوائد نزول المطر على المسلمين ببدر؟.

س٥: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات؟.

صفحة الموجز ١-٦-١

(١) الآيات: (١٥-١٩)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على أهمية مواجهة الأعداء في أرض المعركة، وخطر التولي والفرار من المعركة، وليعلم وأن النصر من عند الله ﷻ.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يستطيع الطالب تلاوة الآيات بطريقة صحيحة ليحفظها بعد ذلك غيبا.

١-٢ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

١-٣ أن يعلم الطالب خطورة التولي عن أرض المعركة.

١-٤ أن يعلم الطالب أن الله ﷻ هو الذي أيد عباده وسدد رميهم في معركة بدر.

ج. موجز الدرس:

١ - المقدمة:

تأتي هذه الآيات مبينة خطورة التولي عن أرض المعركة، وجواز خداع العدو، ثم يصف الله ﷻ حال المؤمنين وأنه هو الذي سدد رميهم على عدوهم، ثم رد على مشركي قريش الذين ظنوا أنهم سينتصرون على رسول الله ﷺ ومن معه من المؤمنين ﷺ، حتى أنهم استفتحوا في ذلك؛ فطلبوا النصر من الله ﷻ على نبيه ﷺ؟!.

٢ - ملخص المواضيع:

أ -الآيات: (١٥-١٩).

ب -المعاني.

ت -الفوائد.

صفحة الموجز ١-٦-١

الآيات: (١٥. ١٩)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ وَمَن يُوَلِّهِمۡ يَوۡمَئِذٖ دُبُرَهُۥٓ إِلَّا مُتَحَرِّفٗا لِّقِتَالٍ أَوۡ مُتَحَيِّزًا إِلَىٰ فِئَةٖ فَقَدۡ بَآءَ بِغَضَبٖ مِّنَ ٱللَّهِ وَمَأۡوَىٰهُ جَهَنَّمُۖ وَبِئۡسَ ٱلۡمَصِيرُ ١٦ فَلَمۡ تَقۡتُلُوهُمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمۡۚ وَمَا رَمَيۡتَ إِذۡ رَمَيۡتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰۚ وَلِيُبۡلِيَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡهُ بَلَآءً حَسَنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ١٧ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٨ إِن تَسۡتَفۡتِحُواْ فَقَدۡ جَآءَكُمُ ٱلۡفَتۡحُۖ وَإِن تَنتَهُواْ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَعُودُواْ نَعُدۡ وَلَن تُغۡنِيَ عَنكُمۡ فِئَتُكُمۡ شَيۡـٔٗا وَلَوۡ كَثُرَتۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ١٩﴾

أ) المعاني:

(**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ**): هذا **أول نداء** للمؤمنين في السورة، فبعد أن رُدَّ حكم الأنفال إلى الله ﷻ والرسول ﷺ، وأن على المسلمين أن يشتغلوا بالأفضل وهو تحقيق الإيمان، ويرضوا بحكم الله ﷻ فهو خير لهم، وما لهم لا يرضون والنصر إنما هو من عند الله العزيز الحكيم. بيَّن هنا الحكم في قتالهم للمشركين ببدر، وأنه لا خيار لهم في تركه والمجادلة فيه ما دام قد وقع الإلتقاء.

(**زَحْفًا**): أي سائرين لقتالكم مجتمعين. وعبَّر بالزحف . الاندفاع على الإلية كفعل الصبي . لأنهم يمشون دفعة واحدة ببطئ.

(**فَلَا تُوَلُّوهُمْ الْأَدْبَارَ**): أي لا تفِرُّوا. واستعمل هذا التعبير (الدُّبر) لتقبيح الفِرار. مع التنبيه بأن الآية مقيَّدة بآية عدد الضعف عند جمهور العلماء، وستأتي في السورة عند الآية: (٦٦).

(**إِلَّا مُتَحَرِّفًا لِقِتَالٍ**): أي منعطفاً لتدبير مكيدة قتالية، أو تزود للقتال.

صفحة الموجز ١-٦-١

(**أَوْ مُتَحَيِّزًا إِلَى فِئَةٍ**): أي منضماً إلى جماعة من المسلمين ليساعدهم أو ليساعدوه في القتال.
(**فَقَدْ بَاءَ**): أي رجع متلبساً.

(**فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ قَتَلَهُمْ**): أي لم تقتلوهم بمجرد قوتكم، ولكن الله ﷻ قتلهم بتأييده لكم، أو: قتلهم بأيديكم، فلو لم يقدِّركم عليهم ما قتلتموهم. وهذه الجملة (كالتعليل) للسابقة، أي: كيف تفرون والله ﷻ هو المتولي للأمر والمتكفل بهزيمتهم.

(**وَمَا رَمَيْتَ**): أي الرمي المصيب للكفار جميعا؛ لأنه رمي غير المعهود المعتاد.

(**وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**): أي حين قذفت بالحصباء الرمي المعهود، ولكن الله ﷻ رمى رمياً مصيباً للكفار جميعا، وهو الرمي الذي حصل في بدر على الراجح.

(**وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا**): أي ليختبرهم باستعمالهم في الجهاد، فينالوا ثوابه ويحققوا البراءة من الكفار والتوكل على الله ﷻ والمحبة له، ويزدادوا معرفة بفضله وقدرته، وشكرا له ﷻ، وإلا فهو ﷻ كافٍ في هزيمة الكفار وهو على كل شيء قدير.

(**ذَلِكُمْ**): أي هذا الإمداد والتأييد لكم.

(**وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ**): وإضافة إليه فإن الله ﷻ يُضعف دائما قوة الكافرين، وهذا فيه بشارة للمستقبل.
(**إِنْ تَسْتَفْتِحُوا**): أي تطلبوا الفتح والنصر على محمد ﷺ، وهو الحكم والفصل أو النصر: (**رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا...**) [الأعراف:٨٩]، أي: احكم بيننا، وهذا فيه تهكم بالمشركين، كقوله تعالى: (**فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ**) [الإنشقاق:٢٤]، وقوله: (**ذُقْ إِنَّكَ أَنتَ الْعَزِيزُ الْكَرِيمُ**) [الدخان:٤٩].
روي أن أبا جهل قال حين التقى القوم: اللهم أقطعنا للرحم وآتانا بما لا نعرف، فأحنه الغداة.
وروي أنه قال: اللهم انصر أعز الفئتين وأكرم الفريقين.
ولذا **سمَّى** الله ﷻ يوم بدر (**يوم الفرقان**)، أي التفريق بين الحق والباطل.

(**وَإِنْ تَنتَهُوا**): أي تكفوا عن الكفر، أو محاربة الإسلام.

صفحة الموجز ١-٦-١

(**وَإِنْ تَعُودُواْ نَعُدْ**): أي إن تعودوا لقتال النبي ﷺ، نعُد بتسليط المؤمنين عليكم وهزيمتكم.

(**وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ**): أي لن تدفع عنكم جماعتكم شيئا من العذاب.

(**وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ**): أي ينصرهم ويؤيدهم.

الفوائد:

١) تحريم **التولِّي يوم الزَّحف**، وأنه كبيرة من الكبائر، فقد شدد الله ﷻ عقوبته.

ففي [الصحيحين] عن أبي هريرة رضي الله عنه أن رسول الله ﷺ قال: (اجتنبوا السبع الموبقات.، قالوا: يا رسول الله وما هن؟، قال: الشرك بالله، والسِّحْر، وقتل النفس التي حرم الله إلا بالحق، وأكل الربا، وأكل مال اليتيم، والتولي يوم الزحف، وقذف المحصنات الغافلات المؤمنات).

٢) ليس من التولي المحرم **التَّحَرُّف** للقتال، كالخديعة بالتولي، وكذا **التَّحَيُّز** إلى فئة من المسلمين للقتال.

٣) مشروعية **الخديعة والتمويه** على العدو لهزيمته أو اتقاء خطره، قال رسول الله ﷺ: (الحرب خدعة) [رواه مسلم]. وكان رسول الله ﷺ إذا أراد غزو جهة ورَّى بغيرها.

٤) **الله** ﷻ **يغْضَب** كما أنه **يرضى**، ومن **صفاته** السمع والعلم، كل ذلك حقيقة تليق به سبحانه وتعالى: (**لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ**) [الشورى:١١].

٥) **النَّصر من الله** ﷻ، وإنما جهاد المؤمنين سبب لذلك، كما قال تعالى: (**وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَكِنَّ اللَّهَ رَمَى**) [الأنفال:١٧]، وكما في قوله تعالى: **قَاتِلُوهُمْ يُعَذِّبْهُمْ اللَّهُ بِأَيْدِيكُمْ وَيُخْزِهِمْ وَيَنْصُرْكُمْ عَلَيْهِمْ**) [التوبة:١٤]، فيجب التوكل على الله ﷻ وعدم احتقار الأسباب وتعطيلها، فإن الله سبحانه وتعالى ينفع بها إذا شاء.

٦) **صِدق رسالة الرسول** ﷺ بما أيده الله ﷻ به من المعجزات والنصر.

صفحة الموجز ١-٦-١

٧) الإنسان ليس **مجبرا** على أفعاله، بل له **مشيئة**، فتنسب إليه أفعاله ويُجازى عليها، وإنما الذي نفاه الله ﷻ في الآيات هو الفعل بلا عون من الله ﷻ، وكذا ما زاد عن قدرتهم المعهودة: **(وَمَا تَشَاؤُونَ إِلَّا أَن يَشَاء اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ)** [التكوير:٢٩]، **(وَمَا تَوْفِيقِي إِلَّا بِاللَّهِ)** [هود:٨٨].

٨) **الجهاد إكرام** من الله ﷻ للمؤمنين وتفضل عليهم، فهو ﷻ كافٍ في إهلاك الكافرين، ولكن ليستعمل المؤمنين في ذلك فينالوا ثواب الجهاد: **(وَلِيُبْلِيَ الْمُؤْمِنِينَ مِنْهُ بَلَاءً حَسَنًا)** [الأنفال:١٧]، فثواب الجهاد فضل منه وإكرام؛ لأنه الذي أعانهم وأيدهم، وإلا لم يفعلوا شيئا.

٩) من **يحارب الله ﷻ ورسوله ﷺ وأولياءه**، فإنه مكتوب عليه الهزيمة والوهن، وإن طال إمهال الله ﷻ له، فليستبشر المؤمنون والمظلومون: **(ذَلِكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ مُوهِنُ كَيْدِ الْكَافِرِينَ)** [الأنفال:١٨].

١٠) قد يوجد من **أهل الباطل** من يستميت في الدفاع عن باطله، ولكن الحق واضح.

١١) **كفار قريش** يعرفون الله ﷻ ويُخلصون له في الشدة – ولذا استفتحوا في بدر – ولكنهم يشركون بالله ﷻ في عبادته، فلم تنفعهم أعمالهم وعبادتهم ما داموا يشركون بالله ﷻ، وهذا يُنبه إلى **خطر الشرك** في المسلمين اليوم؛ كالطواف بالقبور والذبح للأولياء، كما يُنبه إلى شدة **شرك المتأخرين** الذين لا يرجعون إلى الله ﷻ في رخاء ولا شِدَّة.

١٢) **حِلم الله ﷻ** وسعة رحمته، إذ يدعو الكفار إلى الإسلام، فلا يؤاخذوا بعده بما سبق، أو المسالمة فيسالمهم المسلمون : **(وَإِنْ تَنتَهُوا فَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)** [الأنفال:١٩].

١٣) **سنة الله ﷻ** أن **ينصر المؤمنين** ولو كانوا أقلَّ من أعدائهم، فإذا حدث العكس فإنما ذلك لإخلالهم بالإيمان بالله ﷻ. ولهذا قال ﷻ للكفار: **(وَإِنْ تَعُودُوا نَعُدْ وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)** [الأنفال:١٩]، وقال تعالى: **(فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمْ الْغَالِبُونَ)** [المائدة:٥٦]، وقال: **(كَم مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ)** [البقرة:٢٤٩].

صفحة الواجب ١-٦-١

س١: ما معنى: (فلا تولوهم الأدبار)/ (وأن الله موهن كيد الكافرين)/ زحفا؟.

س٢: ما حكم التولي يوم الزحف؟، دلل على ما تقول.

س٣: متى يجوز الفرار من أرض المعركة؟.

س٤: في المقطع آية تدل على جرأة المشركين على الله ﷻ، فما هي؟.

س٥: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات.

صفحة الموجز ١-٧-١

(١) الآيات: (٢٠-٢٥)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على الآيات من ٢٠-٢٥ ويتدبر معانيها ويتعرف على الفوائد المستخلصة منها .

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يستطيع الطالب تلاوة الآيات بطريقة صحيحة ليتم حفظها بعد ذلك بسهولة ويسر.

١-٢ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

١-٣ أن يعلم الطالب أن أمر الله ﷻ وأمر رسوله ﷺ مقدَّم على كل شيء.

١-٤ أن يحذر الطالب من مسالك أهل الضلال والزيغ والعناد.

ج. موجز الدرس:

٣ - المقدمة:

تأتي هذه الآيات داعية أهل الإيمان لطاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ، ثم وصفت حال الكفار وأنهم شر الدواب ولا يستفيدوا من سماع الحق، ثم عادت الآيات تؤكِّد على أمر الاستجابة لله ﷻ وللرسول ﷺ، ثم حذرت من اتباع الفتن والسير ورائها.

٤ - ملخص المواضيع:

أ- الآيات: (٢٠-٢٥).

ب- مناسبة الآيات لما قبلها.

ج- المعاني.

د- الفوائد.

صفحة الموجز ١-٧-١

الآيات: (٢٠. ٢٥)

﴿ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَوَلَّوۡاْ عَنۡهُ وَأَنتُمۡ تَسۡمَعُونَ ٢٠ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ قَالُواْ سَمِعۡنَا وَهُمۡ لَا يَسۡمَعُونَ ٢١ ۞ إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلصُّمُّ ٱلۡبُكۡمُ ٱلَّذِينَ لَا يَعۡقِلُونَ ٢٢ وَلَوۡ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمۡ خَيۡرٗا لَّأَسۡمَعَهُمۡۖ وَلَوۡ أَسۡمَعَهُمۡ لَتَوَلَّواْ وَّهُم مُّعۡرِضُونَ ٢٣ يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱسۡتَجِيبُواْ لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمۡ لِمَا يُحۡيِيكُمۡۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَحُولُ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَقَلۡبِهِۦ وَأَنَّهُۥٓ إِلَيۡهِ تُحۡشَرُونَ ٢٤ وَٱتَّقُواْ فِتۡنَةٗ لَّا تُصِيبَنَّ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْ مِنكُمۡ خَآصَّةٗۖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٢٥ ﴾

أ) مناسبة الآيات لما قبلها:

في النداء السابق حذَّر الله ﷻ المؤمنين من الفرار من الزحف، وفي هذين النداءين دعوة لطاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ، والأمر بالاستجابة لهما، فيكون ذلك من باب العام بعد الخاص.

ب) المعاني:

(**يا أيها الَّذِينَ آمَنُوا أَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ**): بعد أن بيَّن الله ﷻ نعمته على المؤمنين بنصرهم ببدر، دعاهم الله ﷻ إلى شكر هذه النعمة بطاعته وطاعة رسوله ﷺ، وهذا هوا مقتضى الإيمان بالله ﷻ الذي كان سبب النصر ببدر.

(**وَلا تَوَلَّوْا عَنْهُ**): لم يقل: (عنهما) مع أنه قال: (الله ورسوله)؛ لأن طاعة الله ﷻ طاعة للرسول ﷺ.

(**وَأَنْتُمْ تَسْمَعُونَ**): أي تسمعون آيات الله ﷻ تتلى عليكم وما فيها من الحق.

صفحة الموجز ١-٧-١

(**وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ**): أي لا تكونوا كاليهود والمشركين والمنافقين الذين قالوا إنهم (سمعوا) آيات الله ﷻ بآذانهم ولكنهم (لم يسمعوها) سماع فَهْم بقلوبهم، أو لا يستجيبون، فهم كالذي لم يسمع.
والسماع بمعنى الاستجابة، كقوله: (سمع الله لمن حمده) أي: استجاب له.

(**إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ**): أي إن أسوأ في حكم الله ﷻ، و(الدواب): ما دبَّ على الأرض. وهذه إشارة إلى أنه ليس لهم من الحياة إلا حياة الأبدان، وقد جعلهم ﷻ شر من البهائم؛ لأنهم يضرون غيرهم، والبهائم لا تضر غيرها بل ربما تنفع.

(**الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ**): أي الكفار لا يسمعون الحق ولا يسألون عنه، ولا ينطقون به ولا يفهمونه، فلا ينتفعون بالسمع والنطق والعقل، كفاقد ذلك. وقد **نزلت** في قوم من بني عبد الدار قالوا: نحن صُمٌّ بُكْمٌ عما جاء به محمد ﷺ، وقد خرجوا لقتاله مع أبي جهل.

(**وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا**): أي ميلاً إلى الحق. لكنه لم يعلم فيهم ذلك، حيث كان تقديره ﷻ السابق أنهم لا يؤمنون.

(**لَأَسْمَعَهُمْ**): سماع **القلوب** فعرفوا الحق من الباطل، أما **سماع** الآذان فقد أسمعهم وأقام عليهم الحجة.
وقيل: لأسمعهم كلام الموتى، فقد **روي** أنهم اشترطوا على الرسول ﷺ أن يسمعهم كلام بعض موتاهم؛ فقد كانوا يقولون للنبي ﷺ: (أحيي لنا قُصيَّاً، فإنه شيخ مبارك، يشهد لك بالنبوة فنصدقك).

(**وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ**): أي ولو أفهمهم فعرفوا الحق من الباطل، أو أسمعهم كلام الموتى. وفيه تسلية للرسول ﷺ حتى لا تذهب نفسه حسرات، يظن نفسه مقصرا في تبليغهم، وفي الحقيقة أن الله ﷻ قدَّر عليهم أنهم لا يهتدون.

(**اسْتَجِيبُوا**): أي سارعوا إلى الطاعة برضا.

صفحة الموجز ١-٧-١

(**لِمَا يُحْيِيكُمْ**): وهو الإسلام؛ لأن به حياة القلوب: (**أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا**) [الأنعام:١٢٢]، وبه سعادة الدارين، **وقيل**: المراد الجهاد؛ لأنه دفع للكفار عن قتل المسلمين، ولهذا قال الله تعالى: (**وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ**) [البقرة:١٧٩]، وأن الشهيد حي عند الله تعالى: (**وَلَا تَحْسَبَنَّ الَّذِينَ قُتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ أَمْوَاتًا**) [آل عمران:١٦٩]، **وقيل**: العلم، **وقيل**: الطاعة فهي حياة طيبة.

(**يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ**): أي يملك قلب المرء من دونه فيُميته، ويَهْديه ويُزيغه ويؤمِّنه ويُخيفه. ولهذا كان يقول ﷺ: (يا مقلب القلوب ثبِّت قلبي على دينك)، ويعْلَم بنَّيته وسرائره حيث أنه قريب من قلبه، كما قال تعالى: (**وَنَحْنُ أَقْرَبُ إِلَيْهِ مِنْ حَبْلِ الْوَرِيدِ**) [ق:١٦]. **وقيل**: المعنى يمنع المرء من الإيمان إذا ردَّ الحق أول مرة: (**فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ**) [الصف:٥].

(**وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ**): أي تُجمعون يوم القيامة للحساب والجزاء بعد البعث، أي أنه قادر عليكم في الدنيا والآخرة، فلا تخالفوا أمره ﷻ وأمر رسوله ﷺ.

(**وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً**): أي احذروا مصيبة وعذاب لا تختص بالمباشر للظلم، بل تشمل الصالح الذي لم ينكر الظلم، فقد قال الله تعالى: (**وَمَا كَانَ رَبُّكَ لِيُهْلِكَ الْقُرَى بِظُلْمٍ وَأَهْلُهَا مُصْلِحُونَ**) [هود:١١٧]، وقال تعالى: (**وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ**) [الشورى:٣٠]، فغير الظالم هنا مصاب بذنْب السُّكُوت عن المنكر، أو بذنْب آخر، غير سبب نزول الفتنة، فلقد شملته: (**وَلَا يَظْلِمُ رَبُّكَ أَحَدًا**) [الكهف:٤٩]. **وفيه** حث على الجهاد؛ لأنه من الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، بل أعظم المعروف الإسلام، وأشد المنكر الكفر.

ج) الفوائد:

١) وجوب **طاعة الله** ﷻ **وطاعة رسوله** ﷺ، وأن طاعة الرسول ﷺ من طاعة الله ﷻ، وأن من ادَّعى الاكتفاء بالقرآن عن الحديث فقوله باطل، مخالف للقرآن الذي أمر بطاعة الرسول ﷺ، وقال ﷺ: (من أطاعني فقد أطاع الله، ومن يعصني فقد عصى الله) [رواه مسلم].

صفحة الموجز ١-٧-١

٢) الإيمان ليس مجرد دعوى، ولكنه قول يتبعه عمل، قال تعالى: **(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)** [الأنفال:٢١]، **والعلم** الذي لا يعمل به صاحبه هو كالعدم، ولذا وصف الله ﷻ صاحبه بأنه كالذي لا يسمع، ووصفه بأنه أصمٌّ أبْكَم لا يعقل شيئا: **(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لَا يَعْقِلُونَ)** [الأنفال:٢٢]. فالقياس الصحيح للناس هو بأعمالهم لا بأقوالهم ودعاواهم، فكثيرا ما يخالف القول العمل.

٣) التحذير من **الكذب**: **(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ قَالُوا سَمِعْنَا وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)** [الأنفال:٢١].

٤) أنعم الله ﷻ على الإنسان **بالسمع والنطق والعقل**، لمعرفة الحق ولزومه، فلا تُعطَّل عن ذلك، ولا تستعمل في الباطل، ولذا ذم الله ﷻ من لا ينتفعون بها وسمَّاهم شرّ الدواب.

٥) الكافر شر الخلق؛ لأنه يملك وسائل معرفة الحق فلا يهتدي بها، ويعلم المنعم بها فيشاقَّه: **(أُولَئِكَ كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ)** [الأعراف:١٧٩].

٦) العلم بالدين وفهمه، تكريم من الله ﷻ للعبد وإرادة خير به وعلامة توفيقه، قال تعالى: **(وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ)** [الأنفال:٢٣]، وقال رسول الله ﷺ: (من يرد الله به خيرا يُفَقِّهْه في الدِّين).

٧) المؤمن الفَطِن هو الذي يحزن لفوات العمل الصالح، من صلاة أو غيرها من فرص الخير، وإن كان له عذر؛ كأن جَهِل الوقت أو لم يسمع الأذان بسبب نوم أو نحوه، لأن فوات العمل الصالح حرمان من الخير وإن سلم العبد من العقوبة، فهو نوع من المصيبة: **(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)** [الشورى:٣٠]. ولهذا جعل الله ﷻ حرمان العبد من سماع منادي الخير سببه عدم صلاح العبد، فقال تعالى: **(وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ)** [الأنفال:٢٣]. فالتوبة التوبة، فإنما حرمان الخير بسبب ذنوبنا، ولو طهرت قلوبنا ما شبعنا من ذكر الله ﷻ وعباداته.

٨) عدم سماع العبد للهدى والحق ليس عذرا له، إذا علم بوجوده وأمكنه سماعه، ولكنه أعْرض عنه **(وَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ)** [الأنفال:٢١]، **(وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ)** [الأنفال:٢٣]، **(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ)** [فصلت:٢٦].

صفحة الموجز ١-٧-١

٩) الهداية درجات: أولها إيجاد مادتها بإنزال الوحي وإقامة الأدلة والآيات، وتهيئة العبد وتمكينه للاهتداء والانتفاع بذلك بما سخر الله ﷻ له من السمع والبصر والعقل والقدرة، وإبلاغ الهدى إلى الإنسان وبيانه له، وتفهيمه إياه. وكل هذه المراحل من الهداية تقع للمؤمن والكافر، قال تعالى: **(الَّذِي أُنزِلَ فِيهِ الْقُرْآنُ هُدًى لِلنَّاسِ)** [البقرة:١٨٥]، **(وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَاهُمْ فَاسْتَحَبُّوا الْعَمَى عَلَى الْهُدَى)** [فصلت:١٧]، **(وَهَدَيْنَاهُ النَّجْدَيْنِ)** [البلد:١٠] أي بيَّنْا له طريقا الخير والشر. **وتسمى** هذه الدرجة (هداية البيان). أما الدرجة **الثانية** فهي (هداية التوفيق)، أي التوفيق لقبول الهدى والعمل بها، وهذه لا تكون إلا للمؤمن، فهو المهتدي المطلق، ولا يوصف بها الشخص لمجرد تمام علمه بالحق، وإلا لوُصف بها إبليس أعاذنا الله ﷻ منه، قال تعالى: **(وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ)** وقال: **(ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ)** [البقرة:٢].

١٠) القَدَر نافذ لا محالة. والإيمان والكفر مقدَّران سَلَفا من الله ﷻ، فلابد أن يقعان، لا جبراً على الإنسان، ولكن بمشيئته التي وهبها الله ﷻ إياها، ولهذا قال الله تعالى: **(وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوا وَهُمْ مُعْرِضُونَ)** [الأنفال:٢٣]، فلأن الله ﷻ قدَّر أنهم لا يهتدون، فَسَيَتَولَّون معرضين باختيارهم. وكما قال رسول الله ﷺ: (إن العبد ليعمل بعمل أهل الجنة، حتى ما يكون بينه وبينها إلا ذراع، فيسبق عليه الكتاب، فيعمل بعمل أهل النار فيدخلها...)، وكلٌّ مُيَسَّر لما خُلِق له، فالله ﷻ حين قدَّر أفعال العبد وعاقبته، جعله مهيَّئا ميسَّراً لحصول القَدَر، فمن أراد الله ﷻ به الكفر لم يجعل فيه ميلاً إلى الحق واستيعاباً له: **(وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ)**، وهذا التيسير – وهو غير الجبر بلا شك– هو سر الله ﷻ في خلقه؛ لأنه من أفعال الله ﷻ التي لا يُدْرك كيفيَّتها أحد من الناس.

١١) أن **الحياة السعيدة** في الدنيا والآخرة هي في الإسلام وطاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ، وأن الكفر موت للقلب، وأن حياة القلب وموته أخطر من شأن البدن.

صفحة الموجز ١-٧-١

١٢) الحث على **المبادرة والمسارعة إلى طاعة الله ﷻ ورسوله ﷺ**، وعدم التسويف في أعمال الخير، فإن المسارعة علامة التعظيم وصدق محبته واسترضائه، ولأن العبد قد يسوِّف ويتهاون ويحُول الله ﷻ بينه وبين عزيمة قلبه، فيصرفه عن العمل ويُنسيه ويُشغله ويُكسله ويُفقِده القُدْرة، ولهذا قال الله تعالى: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اسْتَجِيبُوا لِلَّهِ وَلِلرَّسُولِ إِذَا دَعَاكُمْ لِمَا يُحْيِيكُمْ وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ)**[الأنفال:٢٤].

١٣) الإنسان ملك لله ﷻ لا يخفى على الله ﷻ شيء من أمره ولا يعجزه في شيء، حتى في خطرات قلبه: **(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ)** [الأنفال:٢٤]، فيجب تقوى الله ﷻ والحذر من معاصيه والالتجاء إليه والتوكل عليه وحده وسؤاله الهداية والتثبيت، كما قال رسول الله ﷺ: (يا مُقلِّب القلوب، ثبِّت قلبي على دينك)، ولهذا كان أعظم الدعاء دعاء (الفاتحة) الذي يكرره المسلم كل حين: **(وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۞ اهْدِنَا الصِّرَاطَ الْمُسْتَقِيمَ)**.

١٤) التحذير من **ترك الجهاد والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر**، فإن ترك ذلك سبب للفتن العامة: **(وَاتَّقُوا فِتْنَةً لَا تُصِيبَنَّ الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْكُمْ خَاصَّةً)** [الأنفال:٢٥]، وعن أبي بكر ﷺ قال: إني سمعت رسول الله ﷺ يقول: (إن الناس إذا رأوا الظالم فلم يأخذوا على يديه، أوشك الله أن يعمهم بعقاب من عنده) [رواه أحمد وأبو داود والترمذي وابن ماجه بأسانيد صحيحة]، ولذا شبَّه الرسول ﷺ الناس براكبي السفينة وشبَّه العصاة بمن يريدون خرقها – ثم قال: (فإن تركوهم وما أرادوا، هلكوا وهلكوا جميعا، وإن أخذوا على أيديهم، نجوا ونجوا جميعا) [رواه البخاري].

وقد حاسب الله ﷻ الساكتين في قصة (الإفك)؛ لأنهم لم يستنْكروه: **(وَلَوْلَا إِذْ سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا)** [النور:١٦]، وقال تعالى: **(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللَّهِ يُكْفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلَا تَقْعُدُوا مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُوا فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِثْلُهُمْ)** [النساء:١٤٠].

صفحة الواجب ١-٧-١

س١: ما مناسبة النداءين في المقطع: (يا أيها الذين آمنوا) للنداء في المقطع السابق؟.

س٢: لماذا وصف الله الكافر بـ (شر الدواب)؟.

س٣: ما معنى: الدواب/ استجيبوا/ لم يحييكم؟.

س٤: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات.

صفحة الموجز ١-٨-١

(١) الآيات: (٢٦-٢٩)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على نعمة الله ﷻ على عباده المؤمنين وتذكيرهم بها، بعد أن نصرهم في معركة بدر، ويحذِّر من الخيانة وفتنة الدنيا، ويبين أهمية التقوى.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يستطيع الطالب تلاوة الآيات دون أخطاء ليحفظها غيبا بعد ذلك.

١-٢ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

١-٣ أن يتعرف الطالب على نعم الله ﷻ، وأهمها نعمة الإسلام والأمن.

١-٤ أن يعلم الطالب أهمية شكر النعم.

١-٥ أن يحذر الطالب من الخيانة . خيانة الله ﷻ وخيانة الرسول ﷺ . ويحذر من فتنة الدنيا.

ج. موجز الدرس:

١ - المقدمة:

تأتي هذه الآيات لتذكر المؤمنين بنعمة الله ﷻ عليهم في مكة بعد أن نصرهم على عدوهم فقد كانوا مستضعفين، ثم تنهاهم عن خيانة الله ﷻ وخيانة الرسول ﷺ، وتحذِّرهم من فتنة الأموال والأولاد.

٢ - ملخص المواضيع:

أ - الآيات: (٢٦-٢٩).

ب -المعاني.

ت -الفوائد.

صفحة الموجز ١-٨-١

الآيات: (٢٦. ٢٩)

﴿وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ تَخَافُونَ أَن يَتَخَطَّفَكُمُ ٱلنَّاسُ فَـَٔاوَىٰكُمۡ وَأَيَّدَكُم بِنَصۡرِهِۦ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٢٦ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ٢٧ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ٢٨ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِن تَتَّقُواْ ٱللَّهَ يَجۡعَل لَّكُمۡ فُرۡقَانٗا وَيُكَفِّرۡ عَنكُمۡ سَيِّـَٔاتِكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۗ وَٱللَّهُ ذُو ٱلۡفَضۡلِ ٱلۡعَظِيمِ ٢٩﴾

١) المعاني:

(**وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ فِي الْأَرْضِ**): أي في مكة قبل الهجرة، فالخطاب للمهاجرين.

(**يَتَخَطَّفَكُمْ النَّاسُ**): أي مشركو قريش، أو الفرس والروم، أي يأخذوكم قتلاً وأسرا بسرعة، واستعمال كلمة: (خطف) إشارة إلى ضعفهم وقلتهم بالنسبة إلى الأعداء.

(**فَآوَاكُمْ**): أي إلى المدينة لتأمنوا.

(**وَأَيَّدَكُمْ بِنَصْرِهِ وَرَزَقَكُمْ مِنْ الطَّيِّبَاتِ**): أي نصركم ببدر وأكسبكم الغنائم، فهذا **تعليل** للأمر بالطاعة لله ﷻ ولرسوله ﷺ، **وفيه** ترغيب في الجهاد والمغنم، حيث عد الغنيمة من أحسن وأطيب المكاسب، وهكذا كل مكسب فيه إعزاز لدين الله ﷻ وإضعاف للباطل.

(**لَا تَخُونُوا اللَّهَ وَالرَّسُولَ**): أي لا تخالفوا أمر الله ﷻ ورسوله ﷺ، أو لا تنقضوا حقه عليكم. فأصل الخيانة النقض.

صفحة الموجز ١-٨-١

(**وَتَخُونُوا أَمَانَاتِكُمْ**): أي حقوق الناس عندكم، أو هي الدِّين كله: (**إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنسَانُ إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا**) [الأحزاب:٧٢].

(**وَأَنْتُمْ تَعْلَمُونَ**): أي وأنتم تعلمون لم استأمنكم، **أو**: وأنتم تعلمون أنها خيانة، **أو**: تعلمون وجوب أدائها وتحريم خيانتها.

سبب النزول: نزلت في قصة ﷺ أبي لبابة، عندما أرسله الرسول ﷺ لبني قريضة بعد نقضهم العهد، فلما وصلهم جاءوا إليه بالصبيان والنساء يبكون، وسألوه ماذا يُفعل بهم لو نزلوا على حكم محمد ﷺ، فأشار إلى رقبته ـ كناية أنه سيقتلهم ـ ثم رجع وربط نفسه بسارية المسجد [رواه سعيد بن منصور في سننه].

(**أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ**): أي اختبار لكم، هل تشكرون الله ﷻ عليها فتطيعوه، أم تنشغلون بها عن طاعة الله ﷻ وعن الجهاد.

(**وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**): أي ابتغوا ما عند الله ﷻ في الآخرة من الثواب العظيم، فعليكم بطاعة الله ﷻ، لا تُلهكم أموالكم وأولادكم عنها.

(**إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ**): هذا ترغيب في التقوى؛ لأنها جماع الخير وأساس الطاعة لله ﷻ ولرسوله ﷺ، وقد أمر الله ﷻ بها في أول السورة، وهنا بيَّن ثوابها.

(**فُرْقَانًا**): أي معرفة وبصيرة تفرِّقون بها بين الحق والباطل والضار والنافع، ولذا سمى الله ﷻ القرآن فرقانا، **وقيل**: أي مخرجا، لقوله تعالى: (**وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجًا**) [الطلاق:٢]، والبصيرة السليمة تُخرج من الباطل ومن نتائجه.

(**وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ**): أي يستر عيوبكم وأخطاءكم و يعفو عن ذنوبكم، **قيل**: الأول (التكفير) للصغائر، والآخر (المغفرة) للكبائر، **وقيل**: المعنى ما تقدم وما تأخر. أو لعله رفع عقوبة الدنيا، ورفع عقوبة الآخرة.

صفحة الموجز ١-٨-١

ب) الفوائد:

١) من **أسباب الشكر لله** ﷻ تذكر حال فقْد النعمة السابق، ولهذا ذكَّر الله ﷻ المؤمنين بعد انتصارهم بما كانوا عليه قبل الهجرة من قِلَّة وضعف وخوف: **(وَاذْكُرُوا إِذْ أَنْتُمْ قَلِيلٌ مُسْتَضْعَفُونَ...)** [الأنفال:٢٦].

٢) **بدأ الإسلام غريبا**، وكان أهله قلة مستضعفين خائفين، فلم يصرفهم ذلك عن دينهم بل صبروا وجاهدوا وأمَّلوا، **فجاء الله ﷻ لهم بالنصر والخير**، وهكذا كل من اتقى وصبر: **(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لَا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا)** [آل عمران:١٢٠].

٣) وجوب **الوفاء بحقوق الناس** فإن الدين المعاملة، ومن ذلك أمانة ومسئولية **العمل الوظيفي**: **(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ)** [المائدة:١]، وقال رسول الله ﷺ: (كلكم راعٍ، وكلكم مسئول عن رعيته، والرجل راع في بيته ومسئول عن رعيته)، ومن الأمانات الأسرار، والعُهُد العسكرية، قال تعالى: **(وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ)** [النساء:١٠٢].

٤) **الابتلاء** قد يكون بالنعم والرخاء، بل هي أشد، فقد تُنسي العبد ربه، بخلاف الشدائد.

٥) وجوب **تقديم محبة الله ﷻ ومحبة الرسول** ﷺ على محبة المال والولد، وإيثار أجر الآخرة على متاع الدنيا: **(وَاعْلَمُوا أَنَّمَا أَمْوَالُكُمْ وَأَوْلَادُكُمْ فِتْنَةٌ وَأَنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ)** [الأنفال:٢٨].

٦) فضل **تقوى الله** ﷻ وأنها من أسباب تحصيل العلم النافع وبركته: **(إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا)** [الأنفال:٢٩] ، **(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ)** [البقرة:٢٨٢]، والعكس في **المعاصي** فإنها تُعمي عن معرفة الله ﷻ ومعرفة دينه، وتُعمي العبد عن معرفة ما ينفعه ويسعده، قال تعالى: **(وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَأَسْمَعَهُمْ)** [الأنفال:٢٣].

٧) أن مما **يُرجِّح رأي عالم** على عالم؛ علو إيمانه وتقواه وورعه وخشيته من الله ﷻ، لأن الأتقى أبصر بالحق وأحرى بالتوفيق إلى الصواب.

٨) من **أعظم المكفرات**: تقوى الله ﷻ والخوف منه، وحريٌّ بمن استخفَّ بالله ﷻ واستهان بالذنب أن لا يغفر الله ﷻ له، أو لا يوفقه لتوبة منه: **(إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانًا وَيُكَفِّرْ عَنكُمْ سَيِّئَاتِكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ)** [الأنفال:٢٩].

صفحة الواجب ١-٨-١

س١: ما معنى: فآواكم/ فرقاناً/ تخونوا أماناتكم؟.

س٢: لماذا ذَكَر الله ﷻ أن الأموال والأولاد فتنة، بعدما ذكر آية النهي عن خيانة الله ﷻ والرسول ﷺ؟.

س٣: ما سبب نزول قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَخُونُواْ اللّهَ وَالرَّسُولَ وَتَخُونُواْ أَمَانَاتِكُمْ وَأَنتُمْ تَعْلَمُونَ)؟.

س٤: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات.

صفحة الموجز ١-٩-١

(١) الآيات: (٣٠-٣٥)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على صفات الكفار المعاندين الذين حاربوا النبي ﷺ في مكة، ويتعرف على بعض أفعالهم في حرب الإسلام قبل الهجرة النبوية.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يستطيع الطالب تلاوة الآيات بطريقة صحيحة ليحفظها بعد ذلك.

١-٢ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

١-٣ أن يتعرف الطالب على مكر الكفار وحقدهم على دين الله ﷻ.

١-٤ أن يعلم الطالب أن الله ﷻ قادر على رد كيد الكافرين وإهانتهم وتعذيبهم.

١-٥ أن يعلم فضل الاستغفار وأن فيه أمن من عذاب الله ﷻ.

ج. موجز الدرس:

١. المقدمة:

بعد أن حذرت الآيات السابقة عباد الله المؤمنين من اتخاذ سبيل الخائنين، جاءت هذه الآيات واصفة حال الكافرين من كيد ومكر بنبي الله ﷻ، ثم تطاولهم بصدهم وإنكارهم للحق، ثم بين الله ﷻ أنه قادر على تعذيبهم بسبب عنادهم وصدهم عن سبيل الله ﷻ، وما منعه من ذلك إلا وجوده ﷺبينهم، كذلك رد دعواهم أنهم أولياء للبيت الحرام، ووصف عبادتهم بالعبث.

٢. ملخص المواضيع:

أ – الآيات.

ب –مناسبة الآيات لما قبلها.

ت –المعاني.

ث –الفوائد.

صفحة الموجز ١-٩-١

الآيات: (٣٠. ٣٥)

﴿وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثْبِتُوكَ أَوْ يَقْتُلُوكَ أَوْ يُخْرِجُوكَ ۚ وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ ٱللَّهُ ۖ وَٱللَّهُ خَيْرُ ٱلْمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ وَإِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُنَا قَالُواْ قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَآءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَٰذَآ ۙ إِنْ هَٰذَآ إِلَّآ أَسَٰطِيرُ ٱلْأَوَّلِينَ ﴿٣١﴾ وَإِذْ قَالُواْ ٱللَّهُمَّ إِن كَانَ هَٰذَا هُوَ ٱلْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ أَوِ ٱئْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٣٢﴾ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنتَ فِيهِمْ ۚ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ مُعَذِّبَهُمْ وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿٣٣﴾ وَمَا لَهُمْ أَلَّا يُعَذِّبَهُمُ ٱللَّهُ وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ وَمَا كَانُوٓاْ أَوْلِيَآءَهُۥٓ ۚ إِنْ أَوْلِيَآؤُهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُتَّقُونَ وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٤﴾ وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِندَ ٱلْبَيْتِ إِلَّا مُكَآءً وَتَصْدِيَةً ۚ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٥﴾﴾

أ) مناسبة الآيات لما قبلها:

بعد أن ذكَّر الله ﷻ المؤمنين بنعمه عليهم في مكة، ذكَّر هنا نبيه ﷺ بنعمه عليه في مكة.

ب) المعاني:

(**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا**): أي يحتالون، فالمكْر التدبير للإيقاع بالشخص خِفية، والمقصود تآمر قريش بالنبي ﷺ لقتله بعد أن اجتمعوا في دار الندوة فتشاوروا في حبسه أو إخراجه أو قتله، فانتهوا إلى القتل يشترك فيه فرد من كل قبيلة، حتى تعجز بنو هاشم عن قتالهم فيرضوا بدِيَة الرسول ﷺ، وفي هذا إظهار لنعمة النصر ببدر، **وفيه** وما بعده بيان لحقيقة العدو في بدر حيث استحق المحاربة والهزيمة.

(**لِيُثْبِتُوكَ**): أي يحبسوك، أو: يوثقوك.

صفحة الموجز ١-٩-١

(**أَوْ يُخْرِجُوكَ**): أي من مكة، وذكره أخيرا؛ لأنه أخطر الآراء حيث ينضم إلى غيرهم، فيظهر عليهم، ولأنه أسهل تنفيذا عليهم، ولذا كان هو الذي وقع.

(**وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ**): أي يُخفون المكايد للنبي ﷺ، والله ﷻ يُخفي ما أعدَّ لهم ليأتيَهم بغتة، فهو جزاء لهم على مكرهم.

(**خَيْرُ الْمَاكِرِينَ**): أي أكبر وأسرع مكرا. وهذه صفة فعل لله ﷻ - كالغضب والرضا - تليق بجلاله دون مشابهة للخلق. **وقيل**: إنما سُمِّي فعله مكراً (مُشاكلة لَفظيَّة) لفعلهم، أي: يتفق اللفظ ويختلف المعنى، كقوله تعالى: (**وَجَزَاءُ سَيِّئَةٍ سَيِّئَةٌ مِثْلُهَا**) [الشورى:٤٠]، ولا يجوز وصف الله ﷻ بالمكر؛ لأن فيه إيهام الذَّم.

(**قَدْ سَمِعْنَا**): أي القرآن، سماع معرفة.

(**لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا**): قالوه تَعنُّتا، وإلا فالتحدِّي قائم، ويروى أن الآية تشير إلى موقف النضر بن الحارث، حيث كان يجلس مكان الرسول ﷺ إذا قام، فيحدث قريشاً بأخبار الرومان وغيرهم، زاعماً أن ذلك خير مما يقوله محمد ﷺ، ثم اشترى جارية جميلة لتغنِّي للناس وتصرفهم عن الإسلام. وقد ﷺ أُسر يوم بد فأُمر بقتله.

(**أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ**): أي مأخوذ من كتب الأوَّلين؛ كاليهود والنصارى: (**وَقَالُوا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ اكْتَتَبَهَا فَهِيَ تُمْلَى عَلَيْهِ بُكْرَةً وَأَصِيلًا**) [الفرقان:٥]، **والأساطير** جمع (أسطورة)، وهي الشيء المكتوب، والمراد هنا كتب المتقدمين؛ كالتوراة والإنجيل وقصص الماضين.

(**وَإِذْ قَالُواْ اللَّهُمَّ إِن كَانَ هَذَا**): أي القرآن، مبالغة في إنكار صدقه. أخرج [البخاري] عن أنس ﷺ قال: قال أبو جهل: اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فنزلت الآية: (**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ**).

(**وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**): أي لم يُجب الله ﷻ سؤالهم بنزول العذاب؛ لأن الرسول ﷺ بينهم، وقد قضت سنة الله ﷻ أن لا يُعذب أمة ونبيهم بين أظهرهم. **والمراد** هنا عذاب الدنيا المستأصل لهم.

صفحة الموجز ١-٩-١

(**وَهُمْ يَسْتَغْفِرُونَ**): المراد كفار قريش، **قيل**: كانوا يقولون في الطواف غفرانك، **وقيل**: المعنى لن يعذبهم الله ﷻ وهم ما زالوا يرجعون إلى الله ﷻ ويسلمون الواحد تلو الآخر، **وقيل**: المعنى لن يعذبهم الله ﷻ لو يستغفرون ويسلمون، فالإسلام يَجبُّ ما قبله، وكل نبي دعا قومه: (**وَاسْتَغْفِرُواْ رَبَّكُمْ ثُمَّ تُوبُواْ إِلَيْهِ**) [هود:٩٠]. **وقيل**: المراد المسلمون، أي لن يعذب الله ﷻ الكفار ما دام فيهم من يستغفر من المسلمين، فلما هاجروا عنهم عذبهم ببدر.

(**وَهُمْ يَصُدُّونَ عَنِ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ**): أي يمنعون المسلمين عنه، فقد أخرجوهم من مكة، واستمروا على ذلك حتى أنهم ومنعوهم من دخول المسجد الحرام إلى السنة السابعة من الهجرة.

(**وَمَا كَانُواْ أَوْلِيَاءهُ**): أي أهله المستحقين للقيام عليه وعمارته: (**مَا كَانَ لِلْمُشْرِكِينَ أَن يَعْمُرُواْ مَسَاجِدَ اللهِ**) [التوبة:١٧].

(**وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ**): أي لا يعلمون أنه لا ولاية لهم على البيت، **أو**: لا يعلمون أن المتقين هم أولياء الله ﷻ.

(**مُكَاء وَتَصْدِيَةً**): أي صفيرا وتصفيقا، أو تصفيقا وصياحا. **روي** أن قريشا كانوا يطوفون عُراة يصفِّرون ويصفِّقون، **وقيل**: كانوا يعارضون الرسول ﷺ وهو يطوف، فيسخرون منه ويصفِّرون ويصفِّقون، **وقيل**: يفعلونه حتى لا يُسمع القرآن: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَسْمَعُوا لِهَذَا الْقُرْآنِ وَالْغَوْا فِيهِ لَعَلَّكُمْ تَغْلِبُونَ**) [فصلت:٢٦].

(**فَذُوقُواْ الْعَذَابَ**): أي بالدنيا بالقتل والأسر، وفي الآخرة بدخول جهنم، وهذا العذاب بسبب الكفر الاعتقادي والعملي.

ج) الفوائد:

١) أهمية تذكر حادثة **الهجرة النبوية** وما فيها من العبر: (**وَإِذْ يَمْكُرُ بِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا...**) [الأنفال:٣٠]؛ ولذا يُؤرِّخ بها المسلمون تاريخهم كله، وهذا بحق معجزة ربانية لمحمد ﷺ.

صفحة الموجز ١-٩-١

٢) لا بد من الصبر وتوطين النفس على أن **أمانة الدِّين وإبلاغ الدعوة وكلمة الحق، أمور ثقيلة،** في طريقها عوائق وشياطين إنسية وجنيه منذ القِدم - وإن كانت عواقبها كريمة - حتى لقد بلغ الأمر أن دبَّر المشركون المؤامرة لقتل الرسول ﷺ فأنجاه الله ﷻ منهم بعد أخرجوه من بلده، يقول الله تعالى: **(إِنَّا سَنُلْقِي عَلَيْكَ قَوْلًا ثَقِيلًا)** [المزمل:٥] ويقول تعالى: **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَنْ يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ)** [الأحزاب:٧٢].

ويقول الرسول ﷺ: (حُفَّت الجنة بالمكاره، وحُفَّت النار بالشهوات)، **وتأمل** كيف تعرض كل نبي للأذى والمؤامرة، قال تعالى: **(وَهَمَّتْ كُلُّ أُمَّةٍ بِرَسُولِهِمْ لِيَأْخُذُوهُ وَجَادَلُوا بِالْبَاطِلِ لِيُدْحِضُوا بِهِ الْحَقَّ)** [غافر:٥].

٣) **قريش** التي حاربها الرسول ﷺ ببدر **هم المعتدون** أصلا، فقد تآمروا لقتل النبي ﷺ، ثم أخرجوه، وهم يصدون المسلمين عن المسجد الحرام الذي جعله الله ﷻ للناس سواء. فقد كانت قريش متميزة دائما بالإساءة والأذى للنبي ﷺ.

٤) **الكفر** لا يرى للمسلمين حُريَّة، ولا يسمح للحق أن يُدعى إليه، بل ولا أن يُقام في الأرض؛ يعتقل الألسنة التي تقول الحق، ويزهق أرواح أصحابها: **(أَرَأَيْتَ الَّذِي يَنْهَى ۞ عَبْدًا إِذَا صَلَّى)** [العلق:٩،١٠]، **(وَلَنْ تَرْضَى عَنْكَ الْيَهُودُ وَلَا النَّصَارَى حَتَّى تَتَّبِعَ مِلَّتَهُمْ)** [البقرة:١٢٠]، **(وَمَا نَقَمُوا مِنْهُمْ إِلَّا أَنْ يُؤْمِنُوا بِاللَّهِ الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ)** [البروج:٨]، **والعجب** أن يتهموا الإسلام بعدم الحرية، يعنون أن يكون مثلهم في إباحة الفساد والمظالم والعبودية للخلق!!.

٥) **الله ﷻ حافظ أولياءه** مهما دبَّر الأعداء، ومهما كانت قوتهم وتسلطهم: **(وَيَمْكُرُونَ وَيَمْكُرُ اللَّهُ وَاللَّهُ خَيْرُ الْمَاكِرِينَ)** [الأنفال:٣٠].

٦) إثبات **فعل المكر لله** ﷻ على وجه يليق بجلاله، وهو غير الخيانة، أي الإخلاف للوعد والمعاهدة فإن الله ﷻ منزَّه عنها.

صفحة الموجز ١-٩-١

٧) القرآن معجزة تحدَّى الله ﷻ به الناس، ومن هنا ادَّعى بعضهم أنهم يستطيعون أن يأتوا بمثله، وهيهات!!: **(قُلْ لَئِنْ اجْتَمَعَتْ الْإِنسُ وَالْجِنُّ عَلَى أَنْ يَأْتُوا بِمِثْلِ هَذَا الْقُرْآنِ لَا يَأْتُونَ بِمِثْلِهِ وَلَوْ كَانَ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ ظَهِيرًا)** [الإسراء:٨٨].

٨) من أساليب أعداء الإسلام في محاربة الدعوة **الغزو الفكري**؛ بتحسين باطلهم، وتهوين شأن الإسلام، وزرع الشُّبَه الكاذبة حوله: **(وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا قَالُوا قَدْ سَمِعْنَا لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ)** [الأنفال:٣١]، وكذلك التشويش، وخلط الحقائق، حتى لا يتميز الصواب من الخطأ.

٩) تميزت الأمة الإسلامية بكتاب محفوظ بحفظ الله ﷻ، بعكس الأمم السابقة من اليهود والنصارى، إذ لو كانت كتبهم محفوظة، لما صحَّ للمشركين حجَّة للاحتجاج به على القرآن وطعنه بتلك الكتب، التي هي بلا شك كتب محرَّفة باطلة.

١٠) لا يُستغرب أن من أهل الباطل من يستميت في الدفاع عن باطله، ربما ليخدع غيره، ولكن الحق واضح بالدليل: **(قَالُوا اللَّهُمَّ إِنْ كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِنْدِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِنْ السَّمَاءِ أَوْ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)** [الأنفال:٣٢]، وفي هذا تنبيه للغافلين من أهل الحق الكسالى، الذين لم يأخذوا الكتاب بقوة، فصدق فيهم قول أمير المؤمنين عمر ﷺ: (إلى الله أشكو ضعف الأمين، وقوة الفاجر).

١١) وقاحة أهل الباطل وجرأتهم على الله ﷻ وعلى كتابه وعلى نبيه ﷺ، وكذبهم صراحة؛ بادعائهم فعل ما لا يستطيعوا فعله، وقد تحداهم الله ﷻ بأن يأتوا بسورة فلم يستطيعوا، وهذا ما فعله قبلهم فرعون مع موسى عليه السلام حيث قال: **(إِنِّي أَخَافُ أَن يُبَدِّلَ دِينَكُمْ أَوْ أَن يُظْهِرَ فِي لْأَرْضِ الْفَسَادَ)** [غافر:٢٦]، وكما قالوا عن نبي الله لوط عليه السلام: **(إِنَّهُمْ أُنَاسٌ يَتَطَهَّرُونَ)** الأعراف:٨٢].

١٢) أهل الباطل لا **حجة لهم**، وإنما هم جَدَليون معاندون عقيموا الحِوار، حتى أنهم يدَّعون ما لا يستطيعون: **(لَوْ نَشَاءُ لَقُلْنَا مِثْلَ هَذَا)** [الأنفال:٣١]، وحتى دعوا على أنفسهم بأشد الهلاك والعذاب، إن كان الإسلام حقا!!.

صفحة الموجز ١-٩-١

فأين هذا من منطق العقل: (اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك، فاهدنا إليك)، ولكنهم لا يملكون حجة عقلية صحيحة يبتون بها مذهبهم، وهذا يؤكد معقولية الإسلام وصدقه، فلو كان عندهم حجة لبادروا يردّون بها الإسلام، ولأتوا بمثل القرآن.

١٣) أنه **لا يكفي توحيد الربوبية** حتى يوحِّد الإنسان ربه ﷻ بالعبادة، وأن **الشِّرك** مُحبط للعمل؛ ولذا لم ينفع كفار قريش اعترافهم بالله ﷻ ودعاؤهم إياه، وهكذا من أشبههم ممن ينتسب إلى الإسلام، ولكنه يتقرَّب بالدعاء أو الذبح للأولياء.

١٤) **توقير الله ﷻ لرسوله ﷺ**، فقد جعله الله ﷻ رحمة للعالمين جميعا، قال الله عز وجل: **(وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ)** [الأنفال:٣٣]، مما يُوجب توقيره ومحبته واتباعه ﷺ.

١٥) فضل **الاستغفار والدُّعاء** وأنه من أسباب دفع العقوبات، حتى عن الكفار، قال الله تعالى: **(فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلْكِ دَعَوُا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ فَلَمَّا نَجَّاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ)** [العنكبوت:٦٥].

١٦) **قد يرحم الله ﷻ الكافر** ويُنجيه من عذاب الدنيا بعمل صالح منه أو بشفاعة من صالح، ولكن الله ﷻ له بالمرصاد في الآخرة.

١٧) عظمة **شأن المسجد الحرام** عند الله ﷻ، وعظم جريمة من يمنع مسلما بغير حق من زيارته.

١٨) **العِمارة** الأهم **لبيوت الله ﷻ**، هي بالإيمان والتوحيد والعبادة الصحيحة التي شرعها الله ﷻ ورسوله ﷺ، ولهذا لم يلتفت الله ﷻ إلى عِمارة قريش للبيت الحرام بجانب شركهم: **(وَمَا كَانُوا أَوْلِيَاءَهُ)** [الأنفال:٣٤] ومثل هذا **الأعمال الإنسانية** التي يقوم بها النصارى وأمثالهم، ولذا قال موسى عليه السلام لفرعون: **(وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَيَّ أَنْ عَبَّدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ)** [الشعراء:٢٢].

١٩) أحق الناس **بالحكم في الأرض** والوَلاية على أرض **الحَرَم**، هم المسلمون المتَّقون: **(أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ)** [الأنبياء:١٠٥].

صفحة الموجز ١-٩-١

٢٠) من **المقاييس** الصحيحة **لمعرفة الدِّين الحق**؛ النظر في كيفية العبادات، وحقيقة ذكر الله ﷻ فيها، ولهذا قال تعالى: **(وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً)** [الأنفال:٣٥]، وبمثل هذا ينظر العاقل إلى العبادة عند أصحاب الأديان والمذاهب المختلفة، ليُدرك أن عبادتهم مجرَّد تمثيل لا روح فيه – كما في طقوس النصرانية واليهودية والهندوسية والسيخية وغيرها – ويُدرك أن الدِّين الحق هو الإسلام لا غير.

٢١) الدِّين ليس مجرَّد أشكال وطقوس، بل هو عبودية لله ﷻ، نابعة من القلب حسب ما شرع الله ﷻ، لا حسب الهوى والرأي، ولذا ذم الله ﷻ صلاة المشركين بأنها مجرد حركات لاهية: **(وَمَا كَانَ صَلَاتُهُمْ عِنْدَ الْبَيْتِ إِلَّا مُكَاءً وَتَصْدِيَةً)** [الأنفال:٣٥].

صفحة الواجب ١-٩-١

س١: ما معنى: ليثبتوك/ أساطير الأولين/ قد سمعنا؟.

س٢: ما معنى المكر؟، وهل المكر صفة من صفات الله ﷻ؟.

س٣: من الذي قال: (اللهُمَّ إِن كَانَ هَذَا هُوَ الْحَقَّ مِنْ عِندِكَ فَأَمْطِرْ عَلَيْنَا حِجَارَةً مِّنَ السَّمَاء أَوِ ائْتِنَا بِعَذَابٍ أَلِيمٍ)؟.

س٤: لماذا لم يعذب الله ﷻ المشركين بعدما طلبوا ذلك؟.

س٥: تكلَّم عن فضل الاستغفار في الإسلام.

س٦: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات.

صفحة الموجز ١-١٠-١

(١) الآيات: (٣٦-٤٠)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على حال الكفار، وأن كل ما يقومون به مردود عليهم، وكذلك تحريض الله ﷻ لعباده المؤمنين لمواجهة الشرك وأهله.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يستطيع الطالب تلاوة الآيات بطرقة صحيحة ليتمكن من حفظها بعد ذلك.

١-٢ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

١-٣ أن يعلم الطالب أن أموال الكفار التي أنفقوها لمحاربة الدين هي حسرة عليهم.

١-٤ أن يعلم الطالب أن حِلم الله ﷻ واسع، وباب التوبة مفتوح.

١-٥ أن يعرف الطالب حكم محاربة الشرك وأهله.

ج. موجز الدرس:

١. المقدمة:

تواصل الآيات الحديث عن كفار قريش، وأن الله ﷻ سيجعل ما ينفقون حسرة على قلوبهم، وسوف يُهزمون. ثم فتح لهم باب التوبة والرجوع عما هم عليه، ثم حرَّض الله ﷻ عباده المؤمنين على مواجهة المشركين حتى يكون الدين كله لله ﷻ.

٢. ملخص المواضيع:

أ – الآيات: (٣٦-٤٠).

ب – المعاني.

ت – الفوائد.

صفحة الموجز ١-١٠-١

الآيات: (٣٦.٤٠)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمۡوَٰلَهُمۡ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيۡهِمۡ حَسۡرَةٗ ثُمَّ يُغۡلَبُونَۗ وَٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ جَهَنَّمَ يُحۡشَرُونَ ٣٦ لِيَمِيزَ ٱللَّهُ ٱلۡخَبِيثَ مِنَ ٱلطَّيِّبِ وَيَجۡعَلَ ٱلۡخَبِيثَ بَعۡضَهُۥ عَلَىٰ بَعۡضٖ فَيَرۡكُمَهُۥ جَمِيعٗا فَيَجۡعَلَهُۥ فِي جَهَنَّمَۚ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡخَٰسِرُونَ ٣٧ قُل لِّلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِن يَنتَهُواْ يُغۡفَرۡ لَهُم مَّا قَدۡ سَلَفَ وَإِن يَعُودُواْ فَقَدۡ مَضَتۡ سُنَّتُ ٱلۡأَوَّلِينَ ٣٨ وَقَٰتِلُوهُمۡ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتۡنَةٞ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِۚ فَإِنِ ٱنتَهَوۡاْ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣٩ وَإِن تَوَلَّوۡاْ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّ ٱللَّهَ مَوۡلَىٰكُمۡۚ نِعۡمَ ٱلۡمَوۡلَىٰ وَنِعۡمَ ٱلنَّصِيرُ ٤٠﴾

أ) المعاني:

سبب النزول: نزلت الآية: (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّه**...) في المطعمين يوم بدر، وكانوا (١٢) رجلا، وكان كل واحد منهم يُطعم (عشرة) من الإبل كل يوم.

(**ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً**): أي ندامة، حيث لم يحصل مقصودهم منها، ولم ينالوا منها في الآخرة ثوابا، بل خسارة وعذابا. ومن ذلك: ما أنفقه المشركون من أموال عظيمة على جيش بدر.

(**لِيَمِيزَ اللَّهُ الْخَبِيثَ**): أي ليكشف الخبيث من الناس، ومن المال، ومن المناهج والأعمال.

(**فَيَرْكُمَهُ**): أي يجمع الخبيث من الناس- أي الكفار- في النار، **وقيل**: يضم إليهم أموالهم التي أنفقوا لحرب المسلمين، كما قال تعالى: (**وَالَّذِينَ يَكْنِزُونَ الذَّهَبَ وَالْفِضَّةَ**)، إلى قوله تعالى: (**جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ هَذَا مَا كَنَزْتُمْ لِأَنفُسِكُمْ**) [التوبة:٣٥،٣٤].

صفحة الموجز ١-١٠-١

(**إِنْ يَنتَهُوا**): أي يكفوا عن الكفر ومحاربة المسلمين، في [الصحيح] عن ابن مسعود ﷺ مرفوعا: (الإسلام يجَبُّ ما قبله والتوبة تجب ما قبلها)، فلما بين الله ﷻ مصِير الكافرين المصرِّين على الكفر، ناسب أن يبين عاقبة من أقلع عن الكفر وتاب.

(**فَقَدْ مَضَتْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ**): أي سبقت بإهلاك الكافرين.

(**حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ**): أي صد عن الإسلام ورِدَّة، **وقيل**: كفر.

(**وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**): أي ما يُدان له من النظام يكون كله لسلطان الله ﷻ، يعني مجرد الاعتقاد: (**لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ**) [البقرة:٢٥٦]. **أو المراد**: تمكين كل الناس من الدخول في الدين، فيصبح عندئذٍ الدين كله لله ﷻ. **أو المراد**: ما يَدين به المخاطبون وغيرهم من أهل الجزيرة، وفي الحديث: (لا يجتمع دينان في جزيرة العرب).

(**فَإِنْ انتَهَوْا**): أي كفُّوا عن الصَّدِّ عن سبيل الله ﷻ ومحاربة المسلمين، فهي غير الانتهاء في الآية التي قبلها، ولذا وعد هناك بالمغفرة، لكن هنا قال: (**فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ**).

(**وَإِن تَوَلَّوْاْ فَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ مَوْلاَكُمْ**): أي عن أعرضوا عن الإيمان، وأصروا عل الكفر ومعادة النبي ﷺ، ومحاربة المسلمين، فإن الله ﷻ سينصركم عليهم.

ب) الفوائد:

١) الدُّنيا ليست مقياسا تاما **للصلاح والفساد**، فقد يمد الله ﷻ الكفار بالمال ويوسع لهم: (**إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ**) [الأنفال:٣٦]، ويقول الله عز وجل: (**كُلًّا نُمِدُّ هَؤُلَاءِ وَهَؤُلَاءِ مِنْ عَطَاءِ رَبِّكَ وَمَا كَانَ عَطَاءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا**) [الإسراء:٢٠].

٢) الله ﷻ مُبطل كيد الظالمين والكافرين والمفسدين، رغم ما يبذلون ويخططون، إلا أنهم لا يُوفَّقون، وانظر ما يبذله المنصِّرون ثم تخيب آمالهم، وبالعكس ترى الداعية المسلم الفقير يُستجاب له وينفع الله ﷻ به، لما يملكه من حقائق وفكر معقول، وصدق الله تعالى: (**إن الَّذِينَ كَفَرُوا يُنْفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّوا عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ فَسَيُنفِقُونَهَا ثُمَّ تَكُونُ عَلَيْهِمْ حَسْرَةً ثُمَّ يُغْلَبُونَ**) [الأنفال:٣٦].

صفحة الموجز ١-١٠-١

٣) أن **المال** الطيب هو الذي يُستعان به في الخير، وأن المال المستعان به في الشر والصد عن الخير هو مال خبيث، ولهذا سمى الله ﷻ أموال المشركين المنفقة في بدر ضد الإسلام والمسلمين أموالاً خبيثة.

٤) من **تحسير الله** ﷻ **للكافرين** والظالمين وزيادة العذاب عليهم في الآخرة، أن الله ﷻ **يقرنهم في النار بأموالهم** التي أنفقوها ضد الإسلام، زيادة في تحزينهم وليعذَّبوا بها، كما يقرن المشرك بصنمه في النار: **(إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ)** [الأنبياء:٩٨]، **(احْشُرُوا الَّذِينَ ظَلَمُوا وَأَزْوَاجَهُمْ وَمَا كَانُوا يَعْبُدُونَ)** [الصافات:٢٢]، ويقول ﷻ عن تعذيب مانع الزكاة بماله في النار: **(يَوْمَ يُحْمَى عَلَيْهَا فِي نَارِ جَهَنَّمَ فَتُكْوَى بِهَا جِبَاهُهُمْ وَجُنُوبُهُمْ وَظُهُورُهُمْ)** [التوبة:٣٥].

٥) أن **باب التَّوبة** من أي ذنب مفتوح ميسَّر حتى من الشِّرك، وأن الإسلام يَجُبُّ ما قبله، وهذا من سِعة رحمة الله ﷻ وعظيم مغفرته، وهو من يُسر الإسلام وسماحته وحبه الخير للعالمين.

٦) **مشروعية الجهاد** ما دام للكفر سلطان في الأرض، حتى يَدين الناس لحكم الإسلام، وأن من دواعي مشروعية الجهاد الدفاع عن الدِّين وعن النفس وعن الحرية. فمن **الدِّفاع عن الدِّين** منع الصَّدِّ عنه؛ كمن يُثير الشُّبهة ضده، أو يدعو إلى الكفر، أو يُكره أحدا عليه، أو يعمل السحر والكهانة مما يصرف الناس عن الحق: **(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** [الأنفال:٣٩].

٧) **الكَفُّ عن الكافر المسالم** للإسلام والمسلمين، ولذا قال ﷻ بعد أن أمر بقتال الكفار: **(فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** [الأنفال:٣٩]، ولو أراد الانتهاء عن الكفر لقال تعالى: **(فَإِنْ انتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** كما في سورة [البقرة:١٩٢].
والأدلة على الكف عن المسالمين كثيرة، مثل قوله تعالى: **(لا يَنْهَاكُمْ اللَّهُ عَنْ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ)** [الممتحنة:٨].

٨) الحث على **التوكل على الله** ﷻ، وبخاصة في تحقيق التَّقدم والنَّصر على أعداء الدِّين: **(وَإِنْ تَوَلَّوْا فَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ مَوْلَاكُمْ نِعْمَ الْمَوْلَى وَنِعْمَ النَّصِيرُ)** [الأنفال:٤٠].

صفحة الواجب ١-١٠-١

س١: ما سبب نزول قوله تعالى: (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ يُنفِقُونَ أَمْوَالَهُمْ لِيَصُدُّواْ عَن سَبِيلِ اللّه...)؟.

س٢: في المقطع آية فيها بُشرى لكل كافر يتوب ويدخل الإسلام، فما هي الآية؟.

س٣: ما هدف الجهاد في الإسلام؟.

س٤: ما معنى: (فقد مضت سنة الأولين)/ فيركمه/ مولاكم؟.

س٥: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات.

صفحة الموجز ١-١١-١

(١) تمهيد عن علاقة الجزء الأول بالثاني.

(٢) الآيات: (٤١-٤٤)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على علاقة الجزء الأول من السورة بالجزء الثاني، ويتعرف على أحكام الغنيمة وتقسيمها، وعلى وصف لمعركة بدر وما وقع فيها من أحداث.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ يستطيع الطالب الربط الطالب بين أجزاء السورة.

١-٢ يتعرف الطالب على الآيات تلاوة.

١-٣ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

١-4 أن يتعرف الطالب على أحكام الغنيمة وكيفية تقسيم الخُمُس.

١-5 أن يؤمن الطالب بقضية القضاء والقدر.

١-6 أن يعلم الطالب بعض الأحكام المتعلقة بالرؤيا.

١-7 أن يعلم الطالب حقيقة المعجزات الإلهية.

ج. موجز الدرس:

١- المقدمة:

في هذه الآيات جاء الحديث حول تقسيم الغنيمة وكيف نقسم الخُمُس فيها، ثم تأتي واصفة حال المعركة ومواقع الجيش و القافلة وأن لقائهم كان بتقدير من الله ﷻ، ثم بشر الله ﷻ نبيه ﷺ في المنام ببشرى النصر على أعدائه، ثم بشر المؤمنين برؤية الكفار وهم قليلو العَدد والعُدة لتطمئن قلوبهم.

٢- ملخص المواضيع:

أ – تمهيد عن علاقة الجزء الأول من السورة بالجزء الثاني.

ب – الآيات: (٤١-٤٤).

ت – المعاني.

ث – الفوائد.

صفحة الموجز ١-١١-١

تمهيد عن علاقة الجزء الأول من السورة بالجزء الثاني:

الحمد لله الذي أنزل على عبده الكتاب ليكون للعالمين نذيرا، وصلى الله وسلم على هذا النذير الأمين، وعلى صحبه المجاهدين الصابرين، ومن تبعهم بإحسان إلى يوم الدين، أما بعد:

فهذا هو **الجزء الثاني من سورة الأنفال** ـ سورة الجهاد والإعداد للمستقبل المنتصر ـ تذكَّر بانتصار بدر، وتعرض لمشاهد من حياة الرعيل الأول (**مُّحَمَّدٌ رَّسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاء عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاء بَيْنَهُمْ**) [الفتح:٢٩]، (**رِجَالٌ صَدَقُوا مَا عَاهَدُوا اللَّهَ عَلَيْهِ**) [الأحزاب:٢٣].

وكما عشنا مع **جزئها الأول** وهو يُجدد بناء الإيمان في قلوب المؤمنين، فيعاتبهم على الخلاف في الأنفال، ويلومهم على الجدال في القتال، ويوجههم لما ينبغي أن يتصفوا به من صفات المؤمنين، ويذكرهم بما أنعم الله ﷻ عليهم من أسباب النصر ببدر، ويدعوهم بنداء الإيمان إلى الشجاعة والطاعة والاستجابة والوفاء والتقوى. ويذم أعداءهم من كفار مكة ويهددهم.

فالآن نحن مع الجزء الأخير من تلك السورة العظيمة حيث:

يثنّي الله ﷻ ما قرره في الجزء الأول من المبادئ والتوجيهات (لذا كان القرآن مثاني).

فيبدأ بحكم الغنيمة الذي قرره في أول السورة أنه لله ﷻ والرسول ﷺ، ثم **يُذكِّر** المؤمنين بما تفضل الله ﷻ به عليهم ببدر من أسباب النصر الربانية العجيبة. **ويُوجِّه** المؤمنين إلى الأخذ بأسباب النصر من الثبات والذكر والطاعة والاجتماع والصبر والتوكل، ثم **يَعْرض** لمشاهد من عذاب الكفار الدنيوي والبرزخي والأخروي. **ويدعو** إلى إعداد القوة لإرهابهم حتى يستسلموا، وإلى الحزْم مع أسراهم حتى تنكسر شوكتهم. ثم **يختم** السورة بذكر المهاجرين والأنصار: (**أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا**) [الأنفال:٧٤]، **مبيِّنا** حقيقة الولاء والبراء والأحكام المتعلقة بذلك.

فهذا الجزء يبدو متميزا في الجانب (العسكري)، كما كان الجزء الأول متميزا في الجانب (العقدي).

فإلى آيات ومقاطع هذا الجزء المتخصص نتدبرها ونسير معها حَلَقَة حَلَقَة، حتى نزداد يقينا: (**إِنَّ اللّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) [الأنفال:٧٥].

صفحة الموجز ١-١١-١

الآيات: (٤١ .٤٤)

﴿وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمۡتُم مِّن شَيۡءٖ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَٱبۡنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمۡ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلۡنَا عَلَىٰ عَبۡدِنَا يَوۡمَ ٱلۡفُرۡقَانِ يَوۡمَ ٱلۡتَقَى ٱلۡجَمۡعَانِۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٌ ٤١ إِذۡ أَنتُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُم بِٱلۡعُدۡوَةِ ٱلۡقُصۡوَىٰ وَٱلرَّكۡبُ أَسۡفَلَ مِنكُمۡۚ وَلَوۡ تَوَاعَدتُّمۡ لَٱخۡتَلَفۡتُمۡ فِي ٱلۡمِيعَٰدِۙ وَلَٰكِن لِّيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗا لِّيَهۡلِكَ مَنۡ هَلَكَ عَنۢ بَيِّنَةٖ وَيَحۡيَىٰ مَنۡ حَيَّ عَنۢ بَيِّنَةٖۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَسَمِيعٌ عَلِيمٌ ٤٢ إِذۡ يُرِيكَهُمُ ٱللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلٗاۖ وَلَوۡ أَرَىٰكَهُمۡ كَثِيرٗا لَّفَشِلۡتُمۡ وَلَتَنَٰزَعۡتُمۡ فِي ٱلۡأَمۡرِ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ سَلَّمَۗ إِنَّهُۥ عَلِيمُۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ٤٣ وَإِذۡ يُرِيكُمُوهُمۡ إِذِ ٱلۡتَقَيۡتُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِكُمۡ قَلِيلٗا وَيُقَلِّلُكُمۡ فِيٓ أَعۡيُنِهِمۡ لِيَقۡضِيَ ٱللَّهُ أَمۡرٗا كَانَ مَفۡعُولٗاۗ وَإِلَى ٱللَّهِ تُرۡجَعُ ٱلۡأُمُورُ ٤٤﴾

أ) مناسبة الآيات للتي قبلها:

لما أمر الله ﷻ بقتال الكفار المحاربين: **(وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لاَ تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلّه)** [الأنفال:٣٩]، وكان القتال مظنة الحصول على الغنيمة، بيّن هنا كيفية قسمة الغنيمة.

وهذا هو **الجواب التفصيلي** لسؤالهم عن الأنفال المذكور في أول السورة.

صفحة الموجز ١-١١-١

ب) المعاني:

(**وَاعْلَمُوا أَنَّمَا غَنِمْتُمْ من شئ**): أي اعلموا أيها المؤمنون أن الحكم فيما ظفرتم به من أموال عدوكم من الكفار المحاربين، قليلا كان أو كثيرا. وهذا هو **الجواب** التفصيلي لسؤالهم عن قسمة غنائم بدر المذكور في أول السورة: (**يَسْأَلُونَكَ عَنْ الْأَنْفَالِ قُلْ الْأَنْفَالُ لِلَّهِ وَالرَّسُولِ**) [الأنفال:١].

(**فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وابن السبيل**): أي خُمُس الغنيمة يصرف للمصالح العامَّة (نسبها إلى الله ﷻ؛ لأنها عامة ليست ملكاً خاصاً لأحد من الناس)، ولرسول الله ﷺ، وأقاربه، ولليتامى المحتاجين (الذين فقدوا آبائهم ولم يبلغوا)، وغيرهم من الفقراء، وللمسافر المحتاج إلى المال (سماه ابن السبيل أي ابن الطريق لملازمته له بالسفر وانقطاعه فيه عن أهله).

(**إِنْ كُنتُمْ آمَنْتُمْ بِاللَّهِ وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا يَوْمَ الْفُرْقَانِ يَوْمَ الْتَقَى الْجَمْعَانِ**): أي اقبلوا هذا الحكم إن كنتم صادقين في إيمانكم بالله ﷻ وبرسوله ﷺ فيما أُنزل عليه من الآيات وأسباب النصر (كالملائكة والمطر) يوم بدر، الذي ميَّز الله ﷻ فيه الحق وأهله من الباطل وأهله، حين التقى جمع المسلمين بجمع المشركين فنصر الله ﷻ جمع الإسلام القليل على جمع الكفر الكثير، ولذا ختم الله ﷻ الآية بذكر قدرته التامة فقال: (**وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ**) [الأنفال:٤١].

(**إِذْ أَنْتُمْ بِالْعُدْوَةِ الدُّنْيَا وَهُمْ بِالْعُدْوَةِ الْقُصْوَى وَالرَّكْبُ أَسْفَلَ مِنْكُمْ**): أي اذكروا يوم بدر حين كنتم على ضفة وادي بدر القريبة من المدينة، وعدوكم نازل بالضفة القصوى، وركب أبي سفيان في عير التجارة القادمة من الشام لقريش – والذي خرجتم لطلبه – بمكان قريب أسفل منكم جهة ساحل البحر الأحمر.

(**وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ وَلَكِنْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا**): أي ولو حاولتم أن تضعوا موعداً لهذا اللقاء بهذا الوصف (أو لغرض الحرب)، لاختلفتم في الميعاد، ولكن الله ﷻ جمعكم (القادم من الشام، والخارج من المدينة، والقادم من مكة) على غير ميعاد، ليُنفذ أمراً مقدَّراً كان لابد منفذاً من وقوع الحرب وانتصار المسلمين.

(**لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ**): أي ليُقتل من قُتل من المشركين ببدر وقد تبَّين أنه مات على الباطل، ويعيش من سَلِم منهم وقد تبَّين له الحق من الباطل وانقطع عذره.

صفحة الموجز ١-١١-١

أو ليكون كفر من كفر عن علم وبصيرة بأنه على باطل، فلا يبقى له عذر عند الله ﷻ، وليدخل في الإسلام من يدخل متبيناً أنه على الحق، بسبب ما رأى من نصر الله ﷻ للمسلمين على المشركين، فيزداد المؤمن إيمانا وثباتا.

(**إِذْ يُرِيكَهُمُ اللَّهُ فِي مَنَامِكَ قَلِيلًا**): أي واذكر يا نبي الله ﷺ، حينما أراك الله ﷻ في المنام جيش العدو في عدد قليل، ليكون أجْرأ للمسلمين على حربهم حين تخبرهم بتلك الرُّؤيا، (وقد صدَّق الله ﷻ لهم هذه الرؤيا حين التقوا على أرض المعركة -كما سيأتي -).

(**وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ**): وتلك الرؤيا نعمة عظيمة من الله ﷻ، فلو أرى الله ﷻ نبيه ﷺ كثرة عدوهم (كما هم الواقع)، لجبن أصحابه عن ملاقاتهم، ولتنازعوا في أمر القتال الذي لم يستعدوا له، وإنما كان خروجهم لأخذ القافلة، ولكن الله ﷻ سَلَّم ووقى من هذا الفشل وهذا الاختلاف. فإنه ﷻ العليم بسرائر القلوب البشرية، ومقاصدها، وما فيها من قوة وشجاعة وضعف وجُبْن.

(**وَإِذْ يُرِيكُمُوهُمْ إِذِ الْتَقَيْتُمْ فِي أَعْيُنِكُمْ قَلِيلًا وَيُقَلِّلُكُمْ فِي أَعْيُنِهِمْ لِيَقْضِيَ اللَّهُ أَمْرًا كَانَ مَفْعُولًا**): أي واذكروا حينما التقيتم على أرض المعركة فقلَّلهم الله ﷻ في أنظاركم فاجترأتم عليهم، وقلَّلكم الله ﷻ في أنظارهم فلم يحترسوا منكم؛ ليحقق الله ﷻ أمراً قدَّره لابد من إنفاذه، بنصر أوليائه، وإذلال أعدائه، وإعلاء كلمته، وتصديق وعده. قال ابن مسعود ﷺ: لقد قُلِّلوا في أعيننا حتى قلت لرجل إلى جانبي: أتراهم سبعين، قال: بل مائة. فأسرنا رجل منهم، فقلنا له: كم أنتم؟، قال: ألف.

(**وَإِلَى اللَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ**): أي تدبير الأمور كلها إلى الله ﷻ، ما شاء نفذ وكان، وما لم يشأ لم يكن، ومصير أمور الخلق في الآخرة إلى الله ﷻ، يحكم فيها بحكمه العادل، ويجازي كلاً بما يستحق.

ج) الفوائد:

١) حِل **الغنائم**، وهي: أموال الكفار المحاربين المأخوذة منهم قهراً بقتال. وتشمل: السلاح، والأرض، والأسرى، وغير ذلك مما ينتفع به من أموالهم. وأن أربعة أخماسها للغانمين، حيث نسبه الله ﷻ إليهم بقوله: (**غَنِمْتُمْ**)، وأخذ منهم الخُمُس فقط. وهذا ينطبق على من شهد المعركة من أهل القتال لقصد القتال ولو لم يقاتل. لكن من مات قبل تمام الاستيلاء على الغنيمة، فلا حقّ له ولا لورثته فيها.

صفحة الموجز ١-١١-١

ويرى كثير من علماء **المالكية** أن القسمة للغانمين على التخيير للإمام، فله صرفها في غير الغانمين، **مستدلين** على ذلك بفعل الرسول ﷺ في (حُنين)، حيث أعطى غير الغانمين ومنع الأنصار، وأعطى بعض الغانمين أكثر من بعض. وبعدم قسمته أرضاً ولا مالاً على المجاهدين يوم فتح مكة. كل ذلك مراعاة للمصالح العامة للإسلام والمسلمين.

٢) خُمُس الغنيمة يصرف في المصالح العامة للمسلمين، ولقرابة الرسول ﷺ؛ من بني هاشم وبني عبد المطلب (لأن الصدقة لا تحل لهم خاصة)، ولليتامى المحتاجين حتى يبلغوا، وللفقراء، وللمسافرين المحتاجين لما يوصلهم إلى ديارهم أو غيرها من حاجاتهم، ولو كان لهم مال في بلادهم، لكن ليس بأيديهم.
ويرى **مالك**- رحمه الله – أن الخُمُس يرجع إلى اجتهاد الإمام، وله أني يعطي الغزاة منه (كما هو الحكم في قسمة الفيء المذكور في الحشر آية: ٧ ولفظهما واحد)، قال القرطبي- رحمه الله -: وبهذا قال الخلفاء الأربعة وبه عملوا، وعليه يدل قوله :(ما لِي مما أفاء الله عليكم إلا الخُمُس، والخُمُس مردود عليكم)، فإنه ﷺ لم يقسم أخماسا ولا أثلاثا، وإنما المذكور في الآية هنا للتنبيه للأهمية، كقوله تعالى: **(يَسْأَلُونَكَ مَاذَا يُنفِقُونَ قُلْ مَا أَنفَقْتُمْ مِنْ خَيْرٍ فَلِلْوَالِدَيْنِ وَالْأَقْرَبِينَ وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ وَمَا تَفْعَلُوا مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ اللَّهَ بِهِ عَلِيمٌ)** [البقرة:٢١٥]، ومما **يُرجِّح** هذا القول أن الله ﷻ جعل نفسه قسِيما للمستحقين الخمس.

٣) التكافل الاجتماعي العظيم في الإسلام، وبخاصة للأيتام الذين فقدوا الكافل الحاني، وكذلك غيرهم من الفقراء، ومن تَعْرض لهم الحاجة وإن كانوا في الأصل ذوي غنى، كالمسافر الغريب المنقطع لا مال معه.

٤) الإيمان اعتقاد وعمل، وليس مجرد دعوى قلبية يخالفها الشرع، أو عبادات قاصرة فقط، ولا تراه يلتزم بأمر الله ﷻ؛ لذا جعل الله ﷻ التزام شرعه في الغنيمة دليلاً على صدق الإيمان به ﷻ وبرسوله ﷺ.

صفحة الموجز ١-١١-١

٥) أهمية التركيز في **الدعوة** على ما **يحقق الإيمان ويُقوِّيه**، لأن الإيمان هو الطاقة الموجهة لسلوك العبد، الدافعة له إلى طاعة أمر الله ﷻ وتحكيم شرعه. ولذا فإن الله ﷻ حين قرر حكم الغنائم، ذكَّر المخاطَبين بالإيمان، الذي يقتضي منهم التصديق والامتثال، ثم ذكَّرهم بعجيب قدرته ﷻ، وما أحدث لهم من أسباب النصر المعجزة .

٦) إثبات **صفة العلو** المكاني لله ﷻ؛ لقوله تعالى: **(وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا)** [الأنفال:٤١]، والإنزال إنما يكون من الأعلى إلى الأسفل، والأدلة في هذا كثيرة ولله الحمد، كقوله ﷻ: **(الرَّحْمنُ عَلَى الْعَرْشِ اسْتَوَى)** [طه:٥]، وقوله ﷻ: **(إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ)** [فاطر:١٠]، فبئس قول الجاحدين الزاعمين أن الله ﷻ حَالٌّ في مخلوقاته، أو أن المخلوقات هي عَين الخالق لا غيره: **(كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ)** [الكهف:٥].

٧) عدم **الغلو في حق الرسول** ﷺ (وغيره من باب أولى)، فإنما هو عبد من عباد الله ﷻ وبشر من البشر، لا يُدْعى ولا يُحْلَفْ به ولا يُصْرف له شئ من أنواع العبادة، ولا يُرفع فوق منزلته التي أنزله الله (عبد الله ورسوله)، وهو القائل ﷺ: (لا تُطْروني كما أطرت النصارى عيسى ابن مريم، فإنما أنا عبد، فقولوا: عبدالله ورسوله).

٨) شرف **مقام العبودية لله** ﷻ، فكلما كان الإنسان أعبد وأتقى لله ﷻ، كان أكرم وأرقى عنده، ولهذا شرَّف الله ﷻ نبيه ﷺ هنا فوصفه بذلك: **(وَمَا أَنزَلْنَا عَلَى عَبْدِنَا)** [الأنفال:٤١]، ومثل هذا كثير في القرآن الكريم، كقوله ﷻ: **(سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِهِ لَيْلًا)** [الإسراء:١]، وقوله: **(وَأَنَّهُ لَمَّا قَامَ عَبْدُ اللَّهِ يَدْعُوهُ كَادُوا يَكُونُونَ عَلَيْهِ لِبَدًا)** [الجن:١٩].

٩) عظمة **أحداث معركة بدر**، وأهمية التذكير بها واستقرائها لأخذ العبر منها، فإنها من أيام الله ﷻ التي فرَّق فيها بين الحق والباطل، بما أظهر فيها من آيات القدرة والنصرة لعباده المؤمنين، والنكال بأعدائه الكافرين المتكبرين.

صفحة الموجز ١-١١-١

١٠) عظمة **قُدْرة الله** ﷻ **وعجيب تدبيره**، حيث جمع المسلمين وجيش قريش وعير تجارتهم في مواقع متقاربة جداً، دون علم بعضهم ببعض، ودون ميعاد مسبق: **(وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ)** [الأنفال:٤٢]، فهذا اللقاء في هذا المكان والزمان بهذا الوصف – وإن وقع صِدْفة لتلك الطوائف لم تتفق عليه – ولكنه بالنسبة لله ﷻ قَدَر سابق لا صِدْفة فيه، وأمر مفعول لا بُدَّ، مما يدل على أن مشيئة العبد تابعة لمشيئة الله ﷻ، يُصرِّفها الله ﷻ لتوافق مشيئته وقضاءه، كما قال تعالى: **(وَمَا تَشَاءُونَ إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ)** [التكوير:٢٩]، وقوله: (كل ميسر لما خُلِقَ له).

١١) تمام **عدل الله** ﷻ، فلا يُعاقب على جهْل، بل يُقيم البينة على العبد، ثم إذا أبى فإما أن يهلكه أو يمهله: **(لِيَهْلِكَ مَنْ هَلَكَ عَنْ بَيِّنَةٍ وَيَحْيَا مَنْ حَيَّ عَنْ بَيِّنَةٍ)** [الأنفال:٤٢]. وهكذا ينبغي أن يكون منهج عباد الله المؤمنين العدل، وبيان الحق، والحرص على إقناع المدعو، وإزالة الشبه والأعذار التي تصده عن قبول الحق، وسلوك الخير.

١٢) **الكفر** هلاك وشقاء، **والإيمان** حياة وسعادة، كما قال تعالى: **(أَوَمَنْ كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَاهُ وَجَعَلْنَا لَهُ نُورًا يَمْشِي بِهِ فِي النَّاسِ كَمَنْ مَثَلُهُ فِي الظُّلُمَاتِ لَيْسَ بِخَارِجٍ مِنْهَا)** [الأنعام:٢٢]، يُشعر بحياة الإيمان حقاً، لمن كان قبلُ على الكفر والضلال ثم اعتنق الإسلام واستقام.

١٣) إثبات **صفة السمع والعلم** لله ﷻ على ما يليق بجلاله، فهو السامع لكل الأصوات المحيط بكل اللغات، العالم بكل شيء من شؤون العبد وخطرات قلبه وخفايا نياته وكوامن أخلاقه. وفي هذا دعوة عظيمة للعبد أن يراقب الله في كل أموره ، ويتجنب محارمه مهما كان غائبا عن الناس، وأن يخلص نيته لله ﷻ: **(إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ)** [الأنفال:٤٣].

١٤) **الرؤيا** من جند الله ﷻ، فقد تكون من أسباب النصر، يُثبِّت الله ﷻ بها المؤمنين، كما في رؤيا النبي ﷺ جيش المشركين ببدر قبل اللقاء في عدد قليل. وهم كذلك قليل في حساب الله ﷻ: **(كَمْ مِنْ فِئَةٍ قَلِيلَةٍ غَلَبَتْ فِئَةً كَثِيرَةً بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)** [البقرة:٢٤٩] وقال ﷻ: **(وَلَنْ تُغْنِيَ عَنكُمْ فِئَتُكُمْ شَيْئًا وَلَوْ كَثُرَتْ وَأَنَّ اللَّهَ مَعَ الْمُؤْمِنِينَ)** [الأنفال:١٩] وقال: **(قُلْ لَا يَسْتَوِي الْخَبِيثُ وَالطَّيِّبُ وَلَوْ أَعْجَبَكَ كَثْرَةُ الْخَبِيثِ)** [المائدة:١٠٠].

صفحة الموجز ١-١١-١

١٥) أهمية ارتفاع **الروح المعنوية** في تحقيق النصر، بإذن الله ﷻ، والحذر من الجبن والخلاف وما يسببهما. فإن الفشل والتنازع طريق الهزيمة وخسران المعركة كما قال تعالى: **(وَلاَ تَنَازَعُواْ فَتَفْشَلُواْ وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)** [الأنفال٤٦]، أي: قوتكم .

١٦) من جند الله ﷻ **التَّعْمِية على الأنظار** حتى يتحقق النصر للمؤمنين، ذلك بأن البَصَر بيد الله ﷻ يتحكَّم فيه كيف يشاء. ولذا لم يَرَ المسلمون ببدر عدد المشركين (ألفا)، كما لم يَرَ المشركون عدد المسلمين (ثلاثمائة). وبالتعمية أيضاً نصر الله ﷻ نبيه ﷺ في الهجرة، فلم تَرَه عيون المشركين وهو يخرج من بينهم مهاجراً، ويَمرّ من بينهم يَذرّ التراب عليهم ويتلوا: **(وَجَعَلْنَا مِن بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سَدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سَدًّا فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لاَ يُبْصِرُونَ)** [يس:٩]، وحين وصلوا إليه وصاحبه في الغار يطلبونه وينقبون عنه أعماهم الله ﷻ عن رؤيته: **(وَمَا يَعْلَمُ جُنُودَ رَبِّكَ إِلَّا هُوَ)** [المدثر:٣١]، فلا نخاف إلا من الله ﷻ ولا نرجوا أحداً سواه.

١٧) من **أسباب الهزيمة،** عدم الاحتراس من العدو، كما وقع لجيش المشركين ببدر، حيث قلَّلَ الله ﷻ عدد المسلمين في أنظارهم، فاستهانوا بهم، لكن المسلمين كانوا على حيطة وحذر؛ لأنهم لم يستعدوا أصلاً للقاء الجيش، وكان عددهم قليلاً.

١٨) **نصر الله تعالى لأوليائه** أمر مقدر نافذ، وإنما يتأخَّر لأجله المحدود في قضاء الله ﷻ لحكمة وبأسباب يعلمها الله ﷻ. ومن عجيب تنفيذ الله ﷻ لقَدَره بنصر المؤمنين، تقليله كل طائفة في عين الأخرى عندما التقتا على أرض المعركة. وقد ذكر الله ﷻ في سورة [آل عمران:١٣]: **(قَدْ كَانَ لَكُمْ آيَةٌ فِي فِئَتَيْنِ الْتَقَتَا فِئَةٌ تُقَاتِلُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَأُخْرَى كَافِرَةٌ يَرَوْنَهُمْ مِثْلَيْهِمْ رَأْيَ الْعَيْنِ وَاللَّهُ يُؤَيِّدُ بِنَصْرِهِ مَنْ يَشَاءُ)**، **قيل:** إن الله ﷻ قد جعل (الكفار) يوم بدر يرون المسلمين (مثلي) عدد الكفار حين وقع الالتحام بالقتال، وكان قد قلَّلِهم في أعينهم قبل ليقع القتال. أو أن التكثير بسبب ما أغاثهم به من الملائكة: **(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِأَلْفٍ مِنْ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ)** [الأنفال:٩]. **وقيل:** المراد (المسلمون) يرون الكفار أول الأمر (مثلي) عدد المسلمين ليتوجهوا ويستغيثوا بالله ﷻ ثم قلَّ لهم الله ﷺ في أنظارهم.

صفحة الموجز ١-١١-١

يقول ابن مسعود ﷺ في **الجمع** بين آية (آل عمران)، وآية (الأنفال): (هذا يوم بدر، وقد نظرنا إلى المشركين فرأيناهم يضعفون علينا، ثم نظرنا إليهم فما رأيناهم يزيدون علينا رجلا واحدا).

١٩) التوكل على الله ﷻ؛ لأن تصريف الأمور راجع إليه. كما قال ﷻ: **(وَمَا النَّصْرُ إِلاَّ مِنْ عِندِ اللّهِ)** [الأنفال:١٠]، فلنفتقر إلى الله ﷻ مهما كان لدينا من قوة، ولا نستغني عنه ﷻ، ولنحرص على طاعة الله ﷻ ونحذر معصيته، ليحقق لنا ما وعدنا من النصر والحفظ: **(إِن تَنصُرُوا اللَّهَ يَنصُرْكُمْ)** [محمد:٧]، وقد قال رسول الله ﷺ: (احفظ الله يحفظك)، ولنعتز بالله ﷻ على كل عدو محادٍّ لله ﷻ: **(وَمَن يَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ فَ ِإنَّ اللهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ)** [الأنفال:٤٩].

٢٠) رد الفضل إلى الله ﷻ **فيما تحقق للمسلمين في بدر** من النصر – الذي هو نصر لكل الأجيال المسلمة، كما قال نبينا ﷺ وهو يدعو ليلة معركة بدر: (اللهم إن تهلك هذه العصابة لا تعبد في الأرض) – فإن الله ﷻ هو الذي أنزل عليهم أسباب النصر من الملائكة وغيرهم، وجمعهم بالجيش على غير ميعاد: **(وَلَوْ تَوَاعَدتُّمْ لَاخْتَلَفْتُمْ فِي الْمِيعَادِ)** [الأنفال:٤٢]، ورفع معنويات الجيش بالرؤيا، والتَّعْمِية: **(وَلَوْ أَرَاكَهُمْ كَثِيرًا لَفَشِلْتُمْ وَلَتَنَازَعْتُمْ فِي الْأَمْرِ وَلَكِنَّ اللَّهَ سَلَّمَ)** [الأنفال:٤٣]، بل كان المسلمون كارهين للقاء الجيش راغبين في القافلة، ولكن خِيرة الله ﷻ لهم كانت خَيراً: **(وَعَسَى أَنْ تَكْرَهُو شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ)** [البقرة:٢١٦]، فعوَّضهم الله ﷻ عن القافلة بالغنائم، وزادهم كسْر شوكة الكفر، وقتل قادته وأكابره.

صفحة الواجب ١-١١-١

س١: ما مناسبة الآيات للتي قبلها؟.

س٢: كيف توزع الغنيمة؟.

س٣: ما معنى: (فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)؟.

س٤: ما علاقة قوله تعالى: (وَاعْلَمُواْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ فَأَنَّ لِلّهِ خُمُسَهُ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَابْنِ السَّبِيلِ)، بأول السورة: (يَسْأَلُونَكَ عَنِ الأَنفَالِ قُلِ الأَنفَالُ لِلّهِ وَالرَّسُولِ)؟.

س٥: ذكر الله ﷻ في الآيات رؤيتين، فما الفرق بينهما؟.

س٦: كيف تصف لنا موقع الجيشن في بدر على ضوء المقطع السابق.

س٧: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات؟.

صفحة الموجز ١-١٢-١

(١) الآيات (٤٥-٤٩)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على أسباب النصر بإذن الله ﷻ، ودور الشيطان الرجيم في معركة بدر، وكيف أنه خذل المشركين في أحرج الأوقات، وكذلك موقف المنافقين من المعركة.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يستطيع الطالب تلاوة الآيات بطريقة صحيحة ليحفظها بعد ذلك.

١-٢ أن يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

١-٣ أن يتعرف الطالب على أهمية الثبات عند مواجهة العدو.

١-٤ أن يحذر الطالب من صفتي الكِبر والرِّياء وأنها من صفات الكفار والمنافقين.

١-٥ أن يحذر الطالب من ألاعيب الشيطان.

١-٦ أن يعرف الطالب دور الشيطان في معركة بدر وموقف المنافقين.

ج. موجز الدرس:

١ -المقدمة:

تأتي هذه الآيات حاثة المؤمنين على الثبات أمام العدو، وطاعة الله ﷻ وطاعة رسوله ﷺ، وتحذر من حال الكفار الذين بطروا وخرجوا مرئاة للناس، ثم تذكر حال الكفار عندما غرهم الشيطان وأغواهم ثم خذلهم يوم أن تبرأ منهم في أحرج وقت، ثم تختم بذكر حال المنافقين وموقفهم السلبي من المؤمنين.

٢ -ملخص المواضيع:

أ - الآيات: (٤٥-٤٩).

ب -مناسبة الآيات للتي قبلها.

ت -موضوع الآيات.

ث -المعاني.

ج -الفوائد.

صفحة الموجز ١-١٢-١

الآيات (٤٥ . ٤٩)

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمۡ فِئَةً فَٱثۡبُتُواْ وَٱذۡكُرُواْ ٱللَّهَ كَثِيرًا لَّعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ﴿٤٥﴾ وَأَطِيعُواْ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ وَلَا تَنَٰزَعُواْ فَتَفۡشَلُواْ وَتَذۡهَبَ رِيحُكُمۡۖ وَٱصۡبِرُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٤٦﴾ وَلَا تَكُونُواْ كَٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِم بَطَرًا وَرِئَآءَ ٱلنَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ وَٱللَّهُ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٌ ﴿٤٧﴾ وَإِذۡ زَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ أَعۡمَٰلَهُمۡ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمُ ٱلۡيَوۡمَ مِنَ ٱلنَّاسِ وَإِنِّي جَارٞ لَّكُمۡۖ فَلَمَّا تَرَٰٓءَتِ ٱلۡفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيٓءٞ مِّنكُمۡ إِنِّيٓ أَرَىٰ مَا لَا تَرَوۡنَ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَۚ وَٱللَّهُ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ﴿٤٨﴾ إِذۡ يَقُولُ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٌ غَرَّ هَٰٓؤُلَآءِ دِينُهُمۡۗ وَمَن يَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِ فَإِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٤٩﴾﴾

أ) مناسبة الآيات للتي قبلها:

بعد أن ذكَّر الله ﷻ المؤمنين بما نصرهم به في بدر؛ من إنزال الملائكة، والمطر، والتَّقْليل في المنام، وفي الأعين، جاء هنا يبين لهم **الأسباب والأعمال** التي يحققون بها **النصر** بإذن الله ﷻ.

ب) موضوع الآيات:

عوامل النصر وأسبابه وهي (ستة)، ودور الشيطان في معركة بدر، وموقف المنافقين من المعركة.

صفحة الموجز ١-١٢-١

ج) المعاني:

(يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمْ فِئَةً فَاثْبُتُوا): هذا هو النداء السادس والأخير للمؤمنين، والمراد: يا من اتصفتم بالإيمان الذي يحمل أهله على الطاعة والجهاد، إذا التقيتم في الحرب بطائفة قليلة أو كثيرة تقاتلكم، فاصمدوا لقتالها ولا تفرُّوا ولا تجبنوا.

وهنا لم يستخدم لفظ: (ولا تفروا)؛ لئلا يذكرهم بالفرار، فتسوِّل لهم نفوسهم، ولأنه يكون طلبا للأدنى عن الأعلى، ولذا يُمدح الشخص بالثبات ورباطة الجأش لا بعدم الفرار، ولأن الثبات شامل لثبات القدم وثبات القلب، وقد سبق النهي عن التولي عن الزحف. مع **التنبيه** أنه يُراعى في الثَّبات آية الضِّعف وستأتي في آية: (٦٦)، كذلك يُراعى جواز التَّحرُّف والتَّحيُّز كما ورد في آية: (١٦).

(وَاذْكُرُوا اللَّهَ كَثِيرًا لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ): أي أكثروا من ذكر الله ﷻ بالقلب واللسان وذلك بالتكبير والتهليل والدعاء والقرآن والصلاة، وبتعظيم الله ﷻ ورجائه ومعرفة أن النصر من عنده وحده ﷻ. فبذلك تفوزوا بالنصر في الدنيا والآخرة بالشهادة.

(وَأَطِيعُوا اللَّهَ وَرَسُولَهُ): أي امتثلوا أمرهما واجتنوا نهيهما.

(وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ):أي لا تتخاصموا، فتجْبنوا عن ملاقاة عدوكم، وتزول قوتكم وعزيمتكم، فلا يهابكم عدوكم.

(وَاصْبِرُوا إِنَّ اللَّهَ مَعَ الصَّابِرِينَ): أي تحمَّلوا ما يصيبكم في ملاقاة عدوكم من آلام ومصائب، دون تَسَخُّطٍ أو جَزَع، فإن الله ﷻ مع الصابرين؛ يُعينهم ويُنجيهم ويُثيبهم بغير حساب. فالصبر غير الثبات، كما قال تعالى: **(قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا)** [البقرة:٢٥٠]، وأخَّر (الصَّبْر)؛ لأنه إذا ثبت أمام عدوه نالوا منه، فاحتاج إلى الصَّبْر.

(وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّه): أي لا تكونوا أيها المؤمنون كحال كفار قريش الذين خرجوا من مكة للحرب ببدر، متكبرين قاصدين أن يراهم الناس وتتسامع بهم العرب، وليصدوا الناس عن الإسلام، إذا رأى الناس هزيمة أتباعه.

صفحة الموجز ١-١٢-١

وهذا الوصف تجده في كلام أبي جهل حين أرسل إليه أبو سفيان بعد أن أحرز العير بأن يرجعوا لأنهم ما خرجوا إلا لإنقاذها، فقال له أبو جهل: (والله لا نرجع حتى نرد بدراً، فنقيم ثلاثا، فننحر الجزور، ونطعم الطعام، ونسقي الخمر، وتعزف علينا القيان، وتسمع بنا العرب فلا يزالون يهابوننا أبداً). وعطف الفعل: (يَصُدُّونَ) على الاسم: (**بَطَرًا وَرِئَاءَ النَّاسِ**)؛ لأن (البطر) و(المراءاة) متمكنان فيهم، كتعلق الاسم بمسمَّاه، وليس صدهم عن سبيل الله ﷻ في معركة بدر فقط، بل إنهم يصدون عن سبيل الله ﷻ كلما أمكنهم، (والاسم) يدل على التمكين والاستمرار. ويدل (الفعل) على الحدوث والتجدد.

(**وَاللَّهُ بِمَا يَعْمَلُونَ مُحِيطٌ**): أي عليم بأفعالهم ودعاواهم، فلم يغب عن علمه شيء منها، وقد رصد لها فأفشلها فانقلبت عليهم ذلا وفضيحة أمام الناس، وحقق الله ﷻ العزة للإسلام، فزاد دخول الناس فيه.

(**وَإِذْ زَيَّنَ لَهُمْ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ وَقَالَ لَا غَالِبَ لَكُمْ الْيَوْمَ مِنْ النَّاسِ وَإِنِّي جَارٌ لَكُمْ**): واذكر حين حسَّن لهم الشيطان في نظرهم أعمالهم؛ بأنهم حماة الحرب، وخدَمة ضيوف الرحمن، يقاتلون بحق من فرّق جماعتهم، وقطّع أرحامهم، وسفّه عقولهم، وقد غرّهم الشيطان بعدد جيشهم وقوته، فأطمعهم بالمسلمين قائلا: لن يغلبكم اليوم أحد من الناس، وأعلمهم أنه ناصر ومعين لهم، وأنهم في جواره وحمايته. **رُوي** أن قريشا كان بينها وبين بني كنانة خلاف في تخاصم من يأتوهم من ورائهم، فجاءهم إبليس في جند من الشيطان ومعه رايته في صورة سراقة بن مالك بن جعشم، سيد بني مدلج ابن بكر بن كنانة، وقال لقريش: لا غالب لكم اليوم من الناس وإني جار لكم.

(**فَلَمَّا تَرَاءَتْ الْفِئَتَانِ نَكَصَ عَلَى عَقِبَيْهِ وَقَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ إِنِّي أَرَى مَا لَا تَرَوْنَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ وَاللَّهُ شَدِيدُ الْعِقَابِ**): أي فلما تقابل الجيشان، وورّط إبليس قريشا في الحرب، وقد رأى إبليس الملائكة تتنزل وتصطف للقتال مع المسلمين، خاف ورجع متقهقرا، وتخلى عن قريش قائلا: إني أتبرؤ من عهدكم ومن عملكم، فإني أرى جندا من ملائكة الله ﷻ، الذين لا طاقة لأحد بقتالهم، أنتم لا ترونهم. إني أخاف الله ﷻ أن يهلكني ويعجّل عذابي في الدنيا، إن عذاب الله ﷻ شديد لا طاقة لي به. **رُوي** أن جبريل عليه السلام، أقبل على إبليس وكانت يده في يد الحارث بن هشام يُحدّثه ويُمنّيه، فانتزع إبليس يده منه وتراجع وولى هاربا، فقال له الحارث: يا سراقة ألست تزعم أنك جار لنا، فقال: (**إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكُمْ**).

صفحة الموجز ١-١٢-١

(**إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ غَرَّ هَؤُلَاءِ دِينُهُمْ**): أي اذكر ما قاله المنافقون، مظهرو الإسلام مبطنو الكفر، وما قاله أصحاب القلوب المصابة بالشك، من مسلمين أو يهود، مستبعدين أن تنتصر جيوش المسلمين القليل على جيش الكفار الكثير عدداً أمامه، فقالوا: لقد خدع هؤلاء المسلمين دينهم بما وعدهم به من نصر الله ﷻ.

(**وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَإِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**): أي لا صحة لما توقعه المنافقون ومرضى القلوب من عدم انتصار المسلمين؛ لأن المسلمين يتوكلون على الله ﷻ، ومن يتوكل على الله ﷻ ولا يستغنى عنه بحول ولا قوة ولا أجناد يوفقه الله ﷻ وينصره؛ لأن الله ﷻ غالب محقق لما أراد، حكيم يصرف الأمور على أحسن وأنسب ما يكون، فهو أهل أن يَكِل العبد تدبير أموره إليه.

د) الفوائد:

١) الإيمان ليس مجرد اعتقاد أو دعوى كلامية، بل هو **قول واعتقاد وعمل**؛ ولذا ناداهم بوصف الإيمان تحريضا لهم على الجهاد والعمل الصالح.

٢) العناية **بتقوية إيمان العسكري المسلم** وتكثيف المواعظ له في وقت الحروب، واعتبار الاستقامة الإيمانية من أهم المرشحات للعسكرية والقيادة؛ لأن الإيمان الصحيح يحمل العسكري على أفضل الأداء وتحقيق أسباب الانتصار، ولذا اختار الله ﷻ وصف الإيمان في نداء ودعوة المجاهدين إلى الثبات والنصر عند ملاقاة عدوهم.

٣) وجوب **الثبات** عند ملاقاة العدو في الحرب، **وتحريم الفرار**، كما قال الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا إِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا زَحْفاً فَلا تُوَلُّوهُمُ الْأَدْبَارَ وَمَنْ يُوَلِّهِمْ يَوْمَئِذٍ دُبُرَهُ إِلَّا مُتَحَرِّفاً لِقِتَالٍ أَوْ مُتَحَيِّزاً إِلَى فِئَةٍ فَقَدْ بَاءَ بِغَضَبٍ مِنَ اللَّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ**) [الأنفال:١٥،١٦]، وقد عدَّ الرسول ﷺ الفرار من الزحف من السبع الموبقات.

صفحة الموجز ١-١٢-١

٤) **الأخذ بالأسباب،** ومنها **أسباب النصر،** هو المنهج الرباني الصحيح، وهو المتفق ونظام الله ﷻ الكوني الشامل؛ كالرزق بالكسب والشفاء بالعلاج، ولو شاء الله لهدى الناس جميعا، ولكنها سنة الأسباب التي قررها الله ﷻ لا تتبدل ولا تتحول، فيرسل الرُّسل وينزِّل الكُتب ويبين الحق للناس ويحاول معهم حتى يهتدون. حتى في قضايا المعجزات والكرامات ترى نظام الأسباب، فموسى عليه السلام ضرب البحر بالعصى، ومريم عليها السلام هزَّت جذع النخلة لتساقط عليها الرطب. إننا نؤمن أن النصر من الله ﷻ، وأن الأسباب لا تؤثر إلا بإذن الله ﷻ، وأن الله ﷻ لو شاء لحقق لنا النصر دون جهد وبلاء منا، ولكن سنته التي كتبها أن النتائج تابعة لأسبابها، ولكي يثيبنا ﷻ على ذلك: **(وَلَوْ يَشَاءُ اللَّهُ لانْتَصَرَ مِنْهُمْ وَلَكِنْ لِيَبْلُوَ بَعْضَكُمْ بِبَعْضٍ)** [محمد:٤].

٥) **أسباب النصر؛** منها أسباب **حسية،** كالثبات والتآخي، ومنها أسباب **غيبية** ربانية لا يملكها إلا المسلمون، كالذكر والدعاء والعمل الصالح والإخلاص لله ﷻ والتوكل عليه ﷻ. **والملحوظ** في هذه الآيات تقديم الأسباب الحسية على الأسباب الغيبية، فقدَّم الثبات على ذكر الله ﷻ، ومثل ذلك في آيات متعددة، مثل قوله تعالى: **(وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى اللهِ)** [آل عمران:١٥٩]، وقوله: **(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ)** [البقرة:٤٥]، وقوله: **(وَاسْتَعِينُوا بِالصَّبْرِ وَالصَّلاةِ)** [البقرة:٤٥]، وقوله: **(وَإِنْ تَصْبِرُوا وَتَتَّقُوا لا يَضُرُّكُمْ كَيْدُهُمْ شَيْئًا)** [آل عمران:١٢٠]. وذلك لئلا يقصر المسلم في الأخذ بالأسباب الحسية متكئا على إيمانه بالله ﷻ ودعائه إياه، مهملا هذا الجانب الهام من أسباب النصر والذي اهتم به الكفار وتفوقوا فيه حتى أصبح المسلمون عالة عليهم، ليس في السلاح والعتاد واللباس، بل وفي إعداد القادة وتدريب القوات.

٦) فضل **الذِّكْر** وأهميته في تحقيق النصر، ولذا أوصى الله ﷻ به المؤمنين عند ملاقاة أعدائهم، ووعدهم بالفلاح العام ليشمل كل أمورهم في الدنيا والآخرة. والمسلم عند القتال أحوج شيء إلى الله ﷻ، وإلى ما يقربه إليه، قال تعالى: **(فَاذْكُرُونِي أَذْكُرْكُمْ)** [البقرة:١٥٢]. وللذكر أثر معروف في تطمين القلب في الحرب: **(أَلا بِذِكْرِ اللَّهِ تَطْمَئِنُّ الْقُلُوبُ)** [الرعد:٢٨]. والذكر يشمل الذكر الكلامي؛ كالتكبير والتهليل والدعاء، كما ذكَّر الله المؤمنين في بدر: **(إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ)** [الأنفال:٩].

صفحة الموجز ١-١٢-١

وقال ﷻ عن جيش طالوت عليه السلام: **(وَلَمَّا بَرَزُوا لِجَالُوتَ وَجُنُودِهِ قَالُوا رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ ۞ فَهَزَمُوهُمْ بِإِذْنِ اللَّه...)** [البقرة:٢٥٠،٢٥١]، وكان من دعائه ﷺ عند ملاقاة العدو: (اللهم منزل الكتاب ومجري السحاب وهازم الأحزاب، اهزمهم وانصرنا عليهم) [رواه البخاري ومسلم]. ومن **الذكر العملي** الصلاة، كما قال تعالى: **(وَأَقِمِ الصَّلاةَ لِذِكْرِي)** [طه:١٤]، ولذا شرع الله ﷻ صلاة الخوف بكيفيات متعددة تناسب ظروف الحرب، تيسيرا على المؤمنين، حتى لا يستثقلوا الصلاة فيتركوها.

٧) من **أهم أسباب النصر** طاعة الله ﷻ، واتباع سنة نبيه ﷺ، كما أن من **أكبر أسباب الهزيمة** المعاصي والمظالم، سواء في حق الله ﷻ أو حقوق العباد.

ذلك أن ولاية الله ﷻ ونصره إنما تنال بطاعة الله ﷻ، كما قال تعالى: **(إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ)** [محمد:٧]، وقال تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ مَعَ الَّذِينَ اتَّقَوْا وَالَّذِينَ هُمْ مُحْسِنُونَ)** [النحل:١٢٨]، وإن **المعاصي** هي سبب غضب الله ﷻ وتسليطه الأعداء كما قال عز وجل: **(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ)** [الشورى: ٣]. وإنما الرعب الذي يلقيه الله ﷻ في قلوب الكفار وينصر به المسلمين عليهم هو هيبة الإيمان والطاعة؛ ولذا حذرهم الله ﷻ من الربا والمعاصي في أثناء الحديث عن غزوة أحد من سورة [آل عمران]: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَأْكُلُوا الرِّبا أَضْعَافاً مُضَاعَفَةً وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** [آل عمران:١٣٠]، وكانت دعوة الأنبياء عليهم السلام والمجاهدين وأنصارهم أن يغفر الله ﷻ ذنوبهم: **(وَمَا كَانَ قَوْلَهُمْ إِلَّا أَنْ قَالُوا رَبَّنَا اغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَا وَإِسْرَافَنَا فِي أَمْرِنَا وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)** [آل عمران:١٤٧]، وكانت وصايا رسول الله ﷺ وخلفائه رضي الله عنهم لجميع قادتهم أن يتقوا الله ﷻ ويحذروا معصيته، كتب عمر بن الخطاب رضي الله عنه إلى قائده سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه: (أما بعد، فإني آمرك ومن معك من الأجناد بتقوى الله ﷻ على كل حال، وآمرك ومن معك أن تكونوا أشدّ احتراسا من المعاصي منكم من عدوكم، فإن ذنوب الجيش أخوف عليهم من عدوهم، وإنما يُنصر المسلمون بمعصية عدوهم لله ﷻ)، بل إن الطاعة والمعصية يظهر أثرهما في الفرد في بدنه وقلبه وعقله، ولهذا قال الله تعالى: **(وَاتَّقُوا اللَّهَ وَيُعَلِّمُكُمُ اللَّهُ)** [البقرة:٢٨٢]، وقال: **(إِنْ تَتَّقُوا اللَّهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقَانا)** [الأنفال:٢٩].

صفحة الموجز ١-١٢-١

٨) الحذر من **النزاع ومن أسبابه**، فإن الخلاف والتفرق بيننا سبيل لتسليط الأعداء، وربما التعاون معهم بعضنا ضد بعض، حتى ولو كان مجرد رضا، بتسلطهم على بعضنا، ولهذا نجد الأعداء يخططون فلا يتسلطون على أحد منا، حتى يفرقوا بيننا ويسلطوا بعضنا على بعض، ثم يتدخلون على قاعدة: (فرِّق تَسد). إن أخطر الأعداء علينا هم من يناصبوننا العداء من مجتمعنا، وهذا العدو الذي من أنفسنا هو الذي حذرنا منه النبي ﷺ؛ لأنه يعلم أسرارنا وينتمي إلى ديننا وقبلتنا، فتكون الفتنة منه أشد. وهذا يؤكد أهمية بناء **الأخوة الإيمانية** داخل القوات والعناية بذلك حتى نكون كالجسد الواحد، والبنيان المرصوص: **(إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِهِ صَفّاً كَأَنَّهُمْ بُنْيَانٌ مَرْصُوصٌ)** [الصف:٤]، ويقول الشاعر:

تأبَى الرِّماحُ إذا اجتمعنَ تَكَسُّرَا فإذا افترَقْنَ تَكَسَّرَت آحَـادَا

وعلينا أن نحرص على **إصلاح ذات البين** مع المبادرة في ذلك، كما قال تعالى: **(لا خَيْرَ فِي كَثِيرٍ مِنْ نَجْوَاهُمْ إِلَّا مَنْ أَمَرَ بِصَدَقَةٍ أَوْ مَعْرُوفٍ أَوْ إِصْلاحٍ بَيْنَ النَّاسِ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ ابْتِغَاءَ مَرْضَاتِ اللَّهِ فَسَوْفَ نُؤْتِيهِ أَجْراً عَظِيماً)** [النساء:١١٤]، ولابد من تطهير المجتمع عامة، والقوات خاصة.

ومن مظاهر التَّفرق **والنَّعَرات القبلية** الجاهلية، والحزبيات، سواء لبلد أو فريق أو غير ذلك، ولابد من تطهير المجتمع من عوامل الأحقاد ومظاهر الظلم والتكبر، وإلا لما حققنا هذا السبب الأم للنصر: **(وَلا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ)** [الأنفال:٤٦].

٩) أهمية **الصَّبْر** وفضله، وبخاصة في الجهاد في سبيل الله ﷻ، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اصْبِرُوا وَصَابِرُوا وَرَابِطُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ)** [آل عمران:٢٠٠]، وقال: **(إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ)** [الأنفال:٦٥]، والله ﷻ مع الصابرين يؤيدهم ويثيبهم أوسع الثواب **(إِنَّمَا يُوَفَّى الصَّابِرُونَ أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ)** [الزمر:١٠]، وليست الشجاعة عدم الألم، ولكنها صبر ساعة على الألم: **(إِنْ تَكُونُوا تَأْلَمُونَ فَإِنَّهُمْ يَأْلَمُونَ كَمَا تَأْلَمُونَ وَتَرْجُونَ مِنَ اللَّهِ مَا لا يَرْجُونَ)** [النساء:١٠٤]، وهذا الرجاء هو أعظم مصبِّر للمؤمن على مشقة العمل العسكري ودراسته وتدريبه وممارسته وعقباته.

وفي تاريخ المسلمين أعظم الشواهد على الصبر في الجهاد وآلامه: **(وَكَأَيِّنْ مِنْ نَبِيٍّ قَاتَلَ مَعَهُ رِبِّيُّونَ كَثِيرٌ فَمَا وَهَنُوا لِمَا أَصَابَهُمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَمَا ضَعُفُوا وَمَا اسْتَكَانُوا وَاللَّهُ يُحِبُّ الصَّابِرِينَ** [آل عمران:١٤٦].

صفحة الموجز ١-١٢-١

وانظر ما أصاب رسول الله ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم في (أُحُد)، فقاموا على جراحهم يطاردون جيش أبي سفيان حتى بلغوا (حمراء الأسد)، وعسكروا عليها ثلاثة أيام: (**الَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِلَّهِ وَالرَّسُولِ مِنْ بَعْدِ مَا أَصَابَهُمُ الْقَرْحُ لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا مِنْهُمْ وَاتَّقَوْا أَجْرٌ عَظِيمٌ**) [آل عمران:١٧٢]، وفي الصحيحين عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في غزاة ونحن ستة نفر، بيننا بعير نعتقبُه فنقبتْ أقدامنا ونقبتْ قدمي، وسقطت أظفاري، فكنا نلف علينا الخِرق، فسميت غزوة ذات الرقاع، لما كنا نعصب على أرجلنا من الخِرق).

١٠) الإخلاص لله ﷻ وقصد **إعلاء كلمته**، أكبر واجبات العسكري المسلم وأعظم أسباب نصره. فإنما ينصر الله ﷻ من يريد انتصار دينه: (**إِنْ تَنْصُرُوا اللَّهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتْ أَقْدَامَكُمْ**) [محمد:٧]. سُئل رسول الله ﷺ عن الرجل يُقاتل شجاعة، ويقاتل حميَّة، ويقاتل رياء، أي ذلك في سبيل الله؟، فقال ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله) [متفق عليه].
فليراجع العسكري المسلم هدفه من التحاقه بذلك التخصص الشريف، هل هو عبادة الجهاد المقدسة أم غير ذلك، وليصلح نيته، ليؤيده الله ﷻ ويتقبل منه.

١١) العسكري المسلم متواضع؛ لأن همه رضا الله ﷻ وجنته: (**تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لا يُرِيدُونَ عُلُوّاً فِي الْأَرْضِ وَلا فَسَادا**) [القصص:٨٣]، فليس كحال **الجندي الكافر البطر**،إن المتكبرين هم أهل النار: (**إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ فَخُورٍ**) [لقمان:١٨].، **والكِبْر** خُلُق يخالف الرسالة التي يحملها العسكري المسلم، ألا وهي نشر الإسلام وترغيب الناس فيه. والإنسان المتكبر فيه شيء من الشرك والعياذ بالله ﷻ، للحديث القدسي: (العز إزاري، والكبرياء ردائي، فمن ينازعني عذبته) [رواه مسلم].
وكم حَرَم الكِبر بعض البلاد الإسلامية الغنية من التطور الحقيقي، فترى أهلها عالة على المجتمعات وسوقا مستهلكة لغيرها، لترّفع أبنائها عن التصنيع وأنوع كثيرة من العمل النافع.

١٢) الحذر من **الرياء** بالأعمال الصالحة وبخاصة الجهاد والرباط في سبيل الله ﷻ، فإن الرياء محبط لثواب العمل، قال تعالى: (**لا تُبْطِلُوا صَدَقَاتِكُمْ بِالْمَنِّ وَالْأَذَى كَالَّذِي يُنْفِقُ مَالَهُ رِئَاءَ النَّاسِ**) [البقرة:٢٦٤]، وفي الحديث القدسي: (أنا أغنى الشركاء عن الشِّرْك، من عمل عملا أشْرك فيه غيري تركته وشركه) [رواه مسلم].

صفحة الموجز ١-١٢-١

وقال ﷺ: (من سمَّع سمَّع الله به، ومن يُرائي يُرائي الله به) [متفق عليه]، أي: فضح الله ﷻ سريرته وأظهر للناس قصده، وقال ﷺ: (إن أول الناس يقضي يوم القيامة عليه، رجل استشهد فأتي به فعرَّفه نِعَمه فعرفها، قال: فما عملت فيها؟، قال: قاتلت فيك حتى استشهدت، قال: كذبت، ولكنك قاتلت لأن يُقال جريء فقد قيل، ثم أُمِر به فسحب على وجهه حتى أُلقِيَ به في النار) [رواه مسلم]. ومن عرف ضعف الناس وأن الأمر كله لله ﷻ، لم يطلب إلا رضا الله والمكانة عنده ، ولم يحفل بنظر الناس، كما لا يغيره غياب أنظارهم عنه.

١٣) الحذر من **الصد عن سبيل الله** ﷻ بأي طريقة مباشرة أو غير مباشرة؛ كتحقير المسلمين ووصفهم بالتخلف، والاستهزاء بالملتزمين ووصفهم بالتزمت والتعقيد، ومدح أهل الباطل، وتشجيع حركات التمرد على الدين والآداب، ومساعدة دعاة الشر، وإيذاء الدعاة إلى الله ﷻ أو غيبتهم أو منعهم من الدعوة إلى الله ﷻ. **ومن صور الصد** عن سبيل الله –ولو من غير قصد، والتي قد تقع من المسلم وبخاصة من يوصف بالالتزام ويعمل في مجال الدعوة– إساءة التصرف والمعاملة للآخرين.
ومن الصد للنفس والغير عن سبيل الله ﷻ: الصحف والمجلات الخليعة، والقنوات الفاسدة، والأشرطة الهابطة، قال تعالى:(**وَمِنَ النَّاسِ مَن يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ لِيُضِلَّ عَن سَبِيلِ اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَيَتَّخِذَهَا هُزُوًا أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُّهِينٌ**) [لقمان:٦] .

١٤) من **أسلحة الشيطان** الرجيم ومداخله الكبيرة على الناس لإضلالهم (**التزيين**) ولهذا يسميه الله ﷻ (**الْغَرُورُ**)، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ فَلا تَغُرَّنَّكُمُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَلا يَغُرَّنَّكُمْ بِاللَّهِ الْغَرُورُ ۞ إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمْ عَدُوٌّ فَاتَّخِذُوهُ عَدُوّاً إِنَّمَا يَدْعُو حِزْبَهُ لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ**) [فاطر:٥،٦]، إلى قوله: (**أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ فَرَآهُ حَسَناً فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلا تَذْهَبْ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ حَسَرَاتٍ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ**) [فاطر:٨]. **وانظر** كيف زين الشيطان لآدم وزوجه عليهما السلام الأكل من الشجرة: (**فَوَسْوَسَ لَهُمَا الشَّيْطَانُ لِيُبْدِيَ لَهُمَا مَا وُورِيَ عَنْهُمَا مِنْ سَوْآتِهِمَا وَقَالَ مَا نَهَاكُمَا رَبُّكُمَا عَنْ هَذِهِ الشَّجَرَةِ إِلَّا أَنْ تَكُونَا مَلَكَيْنِ أَوْ تَكُونَا مِنَ الْخَالِدِينَ ۞**

صفحة الموجز ١-١٢-١

وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ ۞ فَدَلَّاهُمَا بِغُرُورٍ فَلَمَّا ذَاقَا الشَّجَرَةَ بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ وَنَادَاهُمَا رَبُّهُمَا أَلَمْ أَنْهَكُمَا عَنْ تِلْكُمَا الشَّجَرَةِ وَأَقُلْ لَكُمَا إِنَّ الشَّيْطَانَ لَكُمَا عَدُوٌّ مُبِينٌ) [الأعراف:٢٠-٢٢].

ومن **صور التزيين** الشيطاني: تسمية الأسماء المحرمة بغير أسمائها ووصفها بما يغري بها؛ كتسمية الربا فوائد، والزنا حرية، والخمر مشروبات روحية، والكذب دبلوماسية. وبهذه المحاولات الشيطانية يستحسن العاصي المعصية ويتلذَّذ بها والعياذ بالله ﷻ.

وهكذا القلوب والفطر حين يفسدها الشيطان ويشرها المعصية: **(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)** [الصف:٥]. فأين هذا ممن حفظ الله ﷻ قلوبهم وفطرهم، فاستطابت بالخير واستنكرت الشر، كما في قصة عمر بن الخطاب ﷺ حين جاءه غلامه بلبن فاستكرهته نفسه، فسأله فأخبره أنه من إبل الصدقة فاستقاءه من جوفه، يقول الله تعالى: **(وَلَكِنَّ اللَّهَ حَبَّبَ إِلَيْكُمُ الْإِيمَانَ وَزَيَّنَهُ فِي قُلُوبِكُمْ وَكَرَّهَ إِلَيْكُمُ الْكُفْرَ وَالْفُسُوقَ وَالْعِصْيَانَ أُولَئِكَ هُمُ الرَّاشِدُونَ. فَضْلاً مِنَ اللَّهِ وَنِعْمَةً وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ)** [الحجرات:٧،٨]، ويقول تعالى عن الصلاة: **(وَإِنَّهَا لَكَبِيرَةٌ إِلاَّ عَلَى الْخَاشِعِينَ)** [البقرة:٤٥]، فهي عليهم خفيفة مريحة، ولذا كان رسول الله ﷺ يقول إذا حضر وقت الصلاة: (أرحنا بالصلاة يا بلال).

١٥) أكبر **مصادر قوة العسكري ثقته بمبادئه وعدالة قضيته** التي يقاتل في سبيلها، ويعُد العُدَّة لأجلها، ولهذا ذكر الشيطان للجيش المكي **ثلاثة أسباب** لانتصارهم؛ فبدأ **أولا** بتزيين أعمالهم لهم وأنهم على حق في حربهم لمحمد ﷺ وأصحابه ﷺ. **ثم ذكر** التوازن العسكري لصالح جيشهم، **ثم ذكر** القوة الاحتياطية لهم المتمثلة في إجارته ومحالفته لهم. وهذا يعني أولوية التركيز في إعداد القوة العسكرية على ترسيخ الإيمان بالمبادئ في قلب العسكري، ويؤكد هذه الحقيقة انتصارات الجيوش الإسلامية في السابق على جيوش أكبر وأقوى منها، وما يظهره المقاتل المسلم من بطولة نادرة وأعمال فدائية مذهلة. ولذا قال المارشال مونتجومري البريطاني في كتابه الحرب عبر التاريخ: (إن أهم مميزات الجيوش الإسلامية لم يكن في المعدات أو التسليح أو التنظيم، بل كان في الروح المعنوية العالية النابعة من قوة إيمانية)؛ لذا يجب أن نرسخ محبة الله ﷻ والثقة بالله ﷻ ودينه في قلب العسكري المسلم، حتى يكون مضحيا بكل شيء في نصرة الدين. وفي المقابل يجب أن نحذر من وسائل العدو لضرب مبادئ قواتنا وعقيدتها.

صفحة الموجز ١-١٢-١

فإن ذلك أخطر من الغزو وأشد الهزائم، فإذا ضعف إيمان العسكري، كما قال تعالى: (**لا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ أَنْ يُجَاهِدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنْفُسِهِمْ وَاللَّهُ عَلِيمٌ بِالْمُتَّقِين ۞ إِنَّمَا يَسْتَأْذِنُكَ الَّذِينَ لا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَارْتَابَتْ قُلُوبُهُمْ فَهُمْ فِي رَيْبِهِمْ يَتَرَدَّدُونَ**) [التوبة:٤٤،٤٥]، وربما كان ضعف إيمان العسكري واعتزازه بدينه سببا لوجود الخيانات والعمالات الأجنبية، كما قال تعالى: (**وَلَوْ كَانُوا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالنَّبِيِّ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْهِ مَا اتَّخَذُوهُمْ أَوْلِيَاءَ**) [المائدة:٨١].

وصدق القائل:

شعب بغير عقيــدة وَرَق تَذْريه الرِّيـاح

من خَان حيَّ على الصــلاة يخُون حيَّ على الكِفَـاح

١٦) **الشيطان من الجن** يتشكَّل بقدرة الله ﷻ في صورة بشرية أو غيرها، كما حدث مع جيش المشركين ببدر، وكما وقع لقريش في مؤتمر الندوة وحضره إبليس. وقد تتخيل الشياطين وتتشكل في طرق أو غيرها لتضليل المسافرين، ولكن من حَفَظ الله ﷻ حفظه.

ومن أحسن **أسباب الوقاية** ذِكْر الله ﷻ، كما في قصة أبي هريرة مع الشيطان، وقد وكَّله الرسول ﷺ بحفظ زكاة رمضان، فكان يأتيه شخص ليسرق من الطعام، فيقبض عليه أبو هريرة ؓ فيشكو إليه حاجة عياله فيتركه، ويتكرر هذا الأمر، وفي المرة الثالثة قال له أبو هريرة ؓ: لأرفعنك إلى رسول الله ﷺ، فقال له دعني أعلمك كلمات ينفعك الله ﷻ بها، إذا أويت إلى فراشك فاقرأ آية الكرسي، فإنك عليك لا يزال عليك من الله ﷻ حافظ ولا يقربك شيطان حتى تصبح. فخلَّى أبو هريرة ؓ سبيله، وأخبر ﷺ بالخبر فقال النبي ﷺ: (أما إنه صدقك وهو كذوب، تعلم من تخاطب منذ ثلاث ليال؟، قال: لا، قال: ذاك شيطان) [رواه البخاري].

١٧) من **أساليب الشيطان** لإضلال الناس: **الأماني والوعود الكاذبة،** كما وعد قريشا بالغلبة على من سواهم: (**يَعِدُهُمْ وَيُمَنِّيهِمْ وَمَا يَعِدُهُمُ الشَّيْطَانُ إِلَّا غُرُوراً**) [النساء:١٢٠]، ووعد آدم ؑ إذا أكل من الشجرة بمُلْك لا يَبْلَى: (**فَوَسْوَسَ إِلَيْهِ الشَّيْطَانُ قَالَ يَا آدَمُ هَلْ أَدُلُّكَ عَلَى شَجَرَةِ الْخُلْدِ وَمُلْكٍ لا يَبْلَى**) [طه:١٢٠].

صفحة الموجز ١-١٢-١

ومنّى بالجنة وسعادة الآخرة مُشْركا بحجة أن الله ﷻ إنما أعطاه نعيم الدنيا لرضاه عنه، كما ذكر الله ﷻ عن صاحب الجنتين في سورة الكهف، إذ قال: **(وَلَئِنْ رُدِدْتُ إِلَى رَبِّي لَأَجِدَنَّ خَيْراً مِنْهَا مُنْقَلَباً)** [الكهف:٣٦]

١٨) ومن **أساليب الشيطان** الإغوائية: إظهار **النصح للإنسان**، كما فعل حين أعطى جواره لقريش وتضحيته بالدفاع عنهم وإثباتا لمصداقيته في دعواه أنه على حق، حتى يورطهم.
وقد أخبر الله ﷻ عن قصته مع الأبوين آدم وحواء على توريطهما في الأكل من الشجرة، فقال تعالى: **(وَقَاسَمَهُمَا إِنِّي لَكُمَا لَمِنَ النَّاصِحِينَ)** [الأعراف:٢١].

١٩) إحْزان الإنسان وغمّه ونَدَمه هدف للشيطان، ونتيجة حتمية لاتِّباعه والانخداع بتزيينه وأمانيه وغروره؛ ولذا يعلن للإنسان بعد أن ورَّطه أنه بريئ منه ومن عمله، وأنه خائف من الله ﷻ بعظم شأنه وعقابه، بخلاف هذا الإنسان الذي لم يخف الله ﷻ ولم يُعظِّم حرماته: **(كَمَثَلِ الشَّيْطَانِ إِذْ قَالَ لِلْإِنْسَانِ اكْفُرْ فَلَمَّا كَفَرَ قَالَ إِنِّي بَرِيءٌ مِنْكَ إِنِّي أَخَافُ اللَّهَ رَبَّ الْعَالَمِينَ ۞ فَكَانَ عَاقِبَتَهُمَا أَنَّهُمَا فِي النَّارِ خَالِدَيْنِ فِيهَا وَذَلِكَ جَزَاءُ الظَّالِمِينَ)** [الحشر:١٦،١٧]، وقول الشيطان بعد الحساب والقضاء بين العباد: **(فَلا تَلُومُونِي وَلُومُوا أَنْفُسَكُمْ مَا أَنَا بِمُصْرِخِكُمْ وَمَا أَنْتُمْ بِمُصْرِخِيَّ إِنِّي كَفَرْتُ بِمَا أَشْرَكْتُمُونِ مِنْ قَبْلُ)** [إبراهيم:٢٢].

٢٠) الخوف من الله ﷻ لا ينفع العبد، إلا إذا حمله على العمل والتوبة. كما لم ينفع إبليس كونه من أكبر الخائفين من الله ﷻ، فهو يعرف الله ﷻ حق المعرفة ويعرف النار التي وعده بها، وقد عاش دهرا في الملأ الأعلى، وحين طرده الله ﷻ سأله الإمهال إلى يوم البعث: **(قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُون ۞ قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ. إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُوم ۞ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ)** [ص:٧٩-٨٣]، إن الخوف من الله ﷻ صفة طيبة ومنزلة عالية كما قال تعالى: **(وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ)** [الرحمن:٤٦]، ولكن إذا كان العمل على خلاف مقتضاها فإن الله ﷻ يؤاخذ العبد بعمله، **علما** أن الإنسان الذي يرتكب المعصية وهو يخاف العقوبة ليس كمن يرتكبها غير مبال بعقوبة الله ﷻ ولا نظره إليه، ولعل الله ﷻ أن يوفِّق الأول للتوبة ويتوب عليه.

صفحة الموجز ١-١٢-١

٢١) القلوب تمرض، ومن **أمراضها:** الجبن، والجزع، واليأس، والشَّك، والكبر، والرياء، والنفاق. يقول ابن القيم – رحمه الله في كتاب الداء والدواء – وهو يذكر عقوبات المعاصي وأضرارها: (ومن عقوباتها ما يلقيه الله ﷻ من الرعب والخوف في قلب العاصي ... يحسب كل صيحة عليه، فمن خاف الله ﷻ أمن من كل شيء، ومن لم يخف الله ﷻ أخافه من كل شيء... وكلما اشتدت الذنوب اشتدت الوحشة، وأسوء العيش عيش المستوحشين والخائفين) أ هـ. وانظر أثر الخوف والهلع والشَّك في الدِّين في نظرة بعض الناس، لجيش المسلمين القليل العدد في مواجهة جيش المشركين الكثير، فقال: (**غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ**) [الأنفال:٤٩]. وكلما امتلأت القلوب بالإيمان وطهرت من المعاصي كانت أشجع وآمن، يقول الله تعالى: (**الَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يَلْبِسُوا إِيمَانَهُمْ بِظُلْمٍ أُولَئِكَ لَهُمُ الْأَمْنُ وَهُمْ مُهْتَدُونَ**) [الأنعام:٨٢]، ولهذا كان رسول الله ﷺ وأصحابه ﷺ أشجع الناس؛ لأنهم أصلحهم قلوبا.

قال الله ﷻ عن المؤمنين في أعقاب معركة (أحد): (**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ**) [آل عمران:١٧٣،١٧٤]، وقال ﷻ عن المؤمنين في معركة (الأحزاب) يذْكر إيمانهم ويَقِينهم وشجاعتهم: (**وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ وَمَا زَادَهُمْ إِلَّا إِيمَاناً وَتَسْلِيماً**) [الأحزاب:٢٢]، وهذا يعني أن من أهم **أسباب قوة** معنويات الجيش وشجاعته، إصلاح قلوبهم بالإيمان والتوحيد، فيجب وقاية قلوبهم من مصادر الحرب النفسية والغزو الفكري مما تحمله وسائل الإعلام ونحوها، من تشكيك في الدِّين وأصول العقيدة.

٢٢) النظر في الموازنة بين القوة الإسلامية وقوة العدو إلى العدد والعدة دون نظر إلى **التفوق الإيماني،** هو نظر خاطئ، نظره المنافقون والذين في قلبهم مرض، فقالوا عن المسلمين ببدر لقلتهم: (**غَرَّ هَؤُلاءِ دِينُهُمْ**) [الأنفال:٤٩]،ذلك أن قوة إيمان المقاتل بمبادئه التي يقاتل في سبيلها يرفع أداءه أضعافا مضاعفة، ولهذا خفَّف الله ﷻ نسبة المواجهة بين المسلمين والكفار من: واحد أمام عشرة، إلى واحد مقابل اثنين، بسبب النقص النوعي لدى المقاتل المسلم، فقال تعالى: (**الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ**) [الأنفال: ٦٦].

صفحة الموجز ١-١٢-١

٢٣) الحذر من **المنافقين ومرضى القلوب** داخل القوات العسكرية المسلمة، أو الاستماع إليهم؛ لأنهم معروفون بالإعجاب بالكفار واحتقار المسلمين، كما ذكر الله ﷻ عنهم هنا في غزوة (بدر)، وذكر الله ﷻ عنهم وقد تخلفوا عن غزوة (تبوك) فقال: **(لَوْ خَرَجُوا فِيكُمْ مَا زَادُوكُمْ إِلَّا خَبَالاً وَلَأَوْضَعُوا خِلالَكُمْ يَبْغُونَكُمُ الْفِتْنَةَ وَفِيكُمْ سَمَّاعُونَ لَهُمْ)** [التوبة:٤٧]

٢٤) من **أكبر أسباب النصر التوكل على الله** ﷻ؛ لأنه العزيز الذي لا يُغلب، الحكيم الذي يوفِّق لأنسب التصرفات وأحسنها: **(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ فَهُوَ حَسْبُهُ إِنَّ اللَّهَ بَالِغُ أَمْرِهِ)** [الطلاق:٣]. فالتوكل لا يخالف الأخذ بالأسباب، ولهذا أمر الله ﷻ به بعد الأمر بالثبات والتعاون والصبر ، وإنما التوكل سبب من هذه الأسباب ليحقق الله ﷻ لنا النصر. ومن ترك الأسباب فقد عصى أمر الله ﷻ، وربما وقع في الشرك؛ لأنه ظن أن الأسباب تؤثر دون إذن الله ﷻ وتدبيره، وإلا لما تركها.

علما أنه لا يتحقق التوكل الصحيح إلا حينما تتوفر الأسباب للإنسان، ثم يعتقد أنها لا تغنيه عن ربه ﷻ.

أما **فاقد الأسباب؛** كمدعي الزهد وهو فقير لا يجد شيئا، وكمدعي العفاف وهو عاجز لا قوة له.

ويعني التوكل: اعتماد القلب على الله ﷻ، فلا يرى أن الأسباب تغنيه عن الله ﷻ أو تفعل شيئا بدون إذنه، قال ﷻ وقد أنزل الملائكة تقاتل مع المسلمين ببدر: **(وَمَا جَعَلَهُ اللَّهُ إِلَّا بُشْرَى وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِ قُلُوبُكُمْ وَمَا النَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِنْدِ اللَّهِ)** [الأنفال:١٠]، وقال ﷻ يذْكر خطر الإخلال بهذا الأمر القلبي العظيم: **(وَيَوْمَ حُنَيْنٍ إِذْ أَعْجَبَتْكُمْ كَثْرَتُكُمْ فَلَمْ تُغْنِ عَنْكُمْ شَيْئاً وَضَاقَتْ عَلَيْكُمُ الْأَرْضُ بِمَا رَحُبَتْ ثُمَّ وَلَّيْتُمْ مُدْبِرِين)** [التوبة:٢٥].

صفحة الواجب ١-١٢-١

س١: ما مناسبة الآيات للتي قبلها؟.

س٢: لماذا قال الله : (فاثبتوا)، ولم يقل: لا تفروا، مع أن الظاهر معناهما واحد؟.

س٣: عدد أسباب النصر التي ذكرتها الآيات.

س٤: ما دور الشيطان في معركة بدر؟.

س٥: ما دور المنافقين في معركة بدر؟.

س٦: من أكبر مصادر قوة العسكري ثقته بمبادئه، اشرح ذلك.

س٧: ما معنى: (وأطيعوا الله ورسوله) ، (والله بما يعملون محيط)؟.

س٨: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات.

صفحة الموجز ١-١٣-١

(١) الآيات: (٥٠-٥٤)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على حال الكفار بعد معركة بدر، وأن حالهم كحال آل فرعون من قبلهم في العذاب والهلاك. وعموما الآيات تتكلم عن أمر غيبي؛ وهو طريقة نزع أرواح الكفار.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يستطيع الطالب قراءة الآيات بطريقة صحيحة ليتمكن من حفظها بعد ذلك.

١-٢ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

١-٣ أن يتعرف الطالب على كيفية قبض أرواح الكفار في المعركة.

١-٤ أن يتبصر الطالب بحال الأمم السابقة ويأخذ العظة والعبرة من حالهم.

١-٥ أن بعلم أن النعمة إذا لم تُراعى قد تزول ويغيرها الله ﷻ.

ج. موجز الدرس:

١ -المقدمة:

تأتي هذه الآيات موضحة لطريقة قبض أرواح الكفار، وأن ما يقع بهم بسبب كفرهم، ثم تأتي الآيات لتثبت أن حال الكفار كحال آل فرعون من قبلهم، الذين أخذهم الله ﷻ بسبب كفرهم ومحاربتهم لدين الله ﷻ وجحدانهم النعمة.

وتبين الآيات أن النعمة بحاجة إلى شكر لله ﷻ وإلا ستزول، كما زالت عن قريش وآل فرعون من قبلهم.

٢ -ملخص المواضيع:

أ -الآيات: (٥٠-٥٤).

ب -مناسبة الآيات للتي قبلها.

ت -المعاني.

ث -الفوائد.

صفحة الموجز ١-١٣-١

الآيات: (٥٠ . ٥٤)

﴿وَلَوۡ تَرَىٰٓ إِذۡ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَضۡرِبُونَ وُجُوهَهُمۡ وَأَدۡبَٰرَهُمۡ وَذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ٥٠ ذَٰلِكَ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ لَيۡسَ بِظَلَّٰمٖ لِّلۡعَبِيدِ ٥١ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِيّٞ شَدِيدُ ٱلۡعِقَابِ ٥٢ ذَٰلِكَ بِأَنَّ ٱللَّهَ لَمۡ يَكُ مُغَيِّرٗا نِّعۡمَةً أَنۡعَمَهَا عَلَىٰ قَوۡمٍ حَتَّىٰ يُغَيِّرُواْ مَا بِأَنفُسِهِمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٞ ٥٣ كَدَأۡبِ ءَالِ فِرۡعَوۡنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمۡ فَأَهۡلَكۡنَٰهُم بِذُنُوبِهِمۡ وَأَغۡرَقۡنَآ ءَالَ فِرۡعَوۡنَ وَكُلّٞ كَانُواْ ظَٰلِمِينَ ٥٤﴾

أ) مناسبة الآيات للتي قبلها:

بعد أن ذكر الله ﷻ نصره للمؤمنين ببدر على أولئك الكفار الذين وعدهم الشيطان بالغلبة وأيقن المنافقون بانتصارهم، ذكر الله ﷻ هنا أمراً أشد من الهزيمة الدنيوية أولئك الكفار المحاربين للإسلام، ألا وهو عذاب الآخرة الذي ينتظرهم منذ اللحظات الأولى من مفارقة الحياة.

ب) المعاني:

(وَلَوْ تَرَى إِذْ يَتَوَفَّى الَّذِينَ كَفَرُوا الْمَلَائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَذُوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ): أي لو رأيت الحال حين تقبض الملائكة أرواح الكفار وتضرب وجوه الكفار وأدبارهم، إهانة لهم وإيلاما، لاستخراج أرواحهم المستعصية خوفاً وفَرَقاً من العذاب الذي يُبشِّرها به الملائكة، وتوبخهم الملائكة فتقول: هذا وذوقوا أيضا في قبوركم عذاب النار المحرقة تعرض عليها أرواحكم، (أو أنهم يقولون ذلك بعد البعث). فلو رأيت ذلك لرأيت أمراً فظيعاً. لكن الآيات لم تذكر **جواب (لو)** مبالغة في التهويل.

صفحة الموجز ١-١٣-١

وقدَّم المفعول به (كفروا) على الفاعل (الملائكة)؛ لأن المقصود جلب الانتباه إلى معاناة الكفار عند الوفاة لا شِدَّة الملائكة وقوتهم، وذلك الأمر (عام) في الكفار في بدر وغيرها، كما قال تعالى: **(فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ ۞ ذَلِكَ بِأَنَّهُمُ اتَّبَعُوا مَا أَسْخَطَ اللَّهَ وَكَرِهُوا رِضْوَانَه)** [محمد: ٢٧]

(ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْس َبِظَلَّامٍ لِلْعَبِيدِ):أي ذلك العذاب هو بسبب ما فعلتموه من الكفر والمعاصي ولم نظلمكم؛ لأن الله ﷻ ليس بذي ظلم للناس، فلا يعذب طائعهم، ولا يؤاخذ عاصيهم إلا بعد أن يقيم الحجة عليه بإرسال الرسل وبيان الحق. **واستخدم** هنا لفظ: (قدمت) بمعنى (عمِلت) تنبيها إلى أن ما عمله في الدنيا سيلقى جزاءه في الآخرة، وكأن العمل زاد أعدَّه الإنسان لسفره يقدمه لنفسه؛ فإما طيِّب، وإما غير طيِّب، كما قال تعالى: **(وَمَا تُقَدِمُو لِأَنفُسِكُمْ مِن خَيرٍ تَجِدُوهُ عِندَ الله هُوَ خَيْراً وَأَعظَمَ أَجْرا)** [المزمل:٢٠]. **وعبَّر** عن (العمل) بما قدمته **الأيدي** ؛لأن (اليد) وسيلة الأخذ والإعطاء والإيذاء والقتل وأكثر الأعمال، وإشارة إلى كامل الاختيار لهذا الفاعل، فإن تصرفات اليد اختيارية غالباً، بخلاف النظر والسمع فقد يقع على الممنوع أول وهلةٍ دون اختيار. واستخدم لفظ المبالغة (ظلاَّم) مع أن الله ﷻ منزه عن الظلم كثيره وقليله، مراعاة لما يظنه من وقع عليه عذاب الله ﷻ الشديد، أن الله ﷻ قد أبلغ في ظلمه، فأراد الله ﷻ نفي ذلك الظن، كما في وصف الله ﷻ نبيه ﷺ بعدم الجنون، فليس ذلك من قبيل المدح ابتداء، ولكن لنفي ما يزعمه المشركون ويتهمونه به.

(كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ اللَّهَ قَوِيٌّ شَدِيدُ الْعِقَابِ): أي أن عادة (قريش) في كفرهم وسوء عاقبتهم، كعادة (فرعون) وأتباعه ومن سبقهم كقوم نوح وعاد وثمود، فإنهم جحدوا آيات الله ﷻ الكونية الدالة عليه وآياته الشرعية المنزلة على رسله، ولم يؤمنوا بالله ﷻ ويتبعوا كلامه، فأزالهم الله ﷻ؛ لم يهملهم، ولم يمنعه أحد من أخذهم، ولم يظلمهم، بل عاقبهم بقدر ذنوبهم وحال تلبسهم بها؛ لأن الله ﷻ له القوة التي لا يعجزه معها شيء ولا يفوته، وعقابه هو العقاب الأليم الذي لا يستطيع دفعه ولا احتماله من وقع عليه.

صفحة الموجز ١-١٣-١

وقد ذكر هنا أن الأخذ بالذنوب، مع أنه سبق أن رتَّب الأخذ على الكفر، تنبيها إلى أنه أخذ مناسب لطبيعة الذنب ومقداره، وأن الكفر كان باختيارهم وعلى بينة منهم. وجعل ذكْر (آل فرعون) كافياً عن ذكر (فرعون) رأسهم في الشر؛ لأن هلاكهم بسبب هذه التبعية، فصاحب المنهج المتبوع أولى بل ويحمل وزرهم؛ لأنه أظلهم، والعرب يستخدمون مثل هذا في كلامهم فتقول: (نحن في ضيافة آل فلان)، تعني: أن فلان المذكور استضافكم. وتقول: (نحن في ضيافة آل فلان)، تعني: أن فلان المذكور استضافكم، وكقوله تعالى: (**إِلاَّ آلَ لُوطٍ**) [الحجر:٥٩]، **فالمراد** أهله وذريته، كآل عمران وآل إبراهيم، أما آل فرعون، فالمراد شعبه وقومه وأتباعه؛ لأنه ملك.

(**ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ لَمْ يَكُ مُغَيِّراً نِعْمَةً أَنْعَمَهَا عَلَى قَوْمٍ حَتَّى يُغَيِّرُوا مَا بِأَنْفُسِهِمْ**): أي إن إهلاك الله ﷻ لهؤلاء الكافرين وإزالته ما أنعم عليهم، هو بسبب أنهم كفروا بالله ﷻ واعتقدوا أن النعمة بقوتهم بدل أن يشكروا الله ﷻ على نعمه، وهكذا فإن عدل الله ﷻ وسنته الثابتة ألا يُغَيِّر نعمة إلى نقمة وعذاب، حتى يُغَيِّر العبد ما بقلبه من الفطرة الصالحة إلى الكفر والكبر. غيّر الإنسان فغيّر الله ﷻ عليه، جزاءاً وفاقاً، فقريش حين كفرت وكذبت، غيّر الله ﷻ ما أنعم به عليها من الرزق الرغيد والأمن السابغ، ونقل عنها إلى المدينة الرسول ﷺ الهادي، الذي قال فيه تعالى: (**وَمَا كَانَ اللهُ لِيُعَذِبَهُم وَأَنْتَ فِيهِم**) [الأنفال:٣٣].

(**وَأَنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ**): أي لا يخفى عليه شيء من كفرهم وتغييرهم مهما كان مضمرا في النفوس، لأنه ﷻ تام السمع لما يقولون، عليم بأفعالهم وأحوالهم، عليم بكيفية أخذهم وإهلاكهم.

(**كَدَأْبِ آلِ فِرْعَوْنَ وَالَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَا آلَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا ظَالِمِينَ**): أي تغيير قريش ما بأنفسهم إلى التكذيب حتى أهلكهم الله ﷻ ببدر وعذبهم، هو كعادة آل فرعون ومن قبلهم من الأقوام الكافرة، حيث كذبوا بآيات ربهم المنعم عليهم ، فلم يؤمنوا بالآيات الكونية الدالة عليه، ولم يتَّبعوا الآيات الشرعية المنزلة من عنده، فلذا أهلكهم الله ﷻ غير ظالم لهم بل بسبب ذنوبهم، وكان إهلاك آل فرعون بالغرق في الماء الذي لم يشكروه وتكبروا به في قول فرعون: (**أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِن تَحْتِي**) [الزخرف:٥١].

صفحة الموجز ١-١٣-١

والحقيقة أن كلا من قريش وآل فرعون ومن قبلهم من الكفرة الهالكين كانوا ظالمين لأنفسهم بالكفر والمعاصي مستحقين للعذاب. وهذه الآية تأكيد للحث على التفكر في حال أولئك الهالكين والاعتبار بهم، لكن (المثل) في هذه الآية الثانية بين كيفية أخذهم وأنه بالإهلاك والتعذيب ومن ذلك إغراق آل فرعون. وفيها أيضاً إشارة إلى أن هؤلاء الهالكين قد دعوا إلى الإيمان بالله ﷻ وحذروا عاقبة كفرهم ولكنهم كذبوا، فاجتمع فيهم الكفر والتكذيب، كما قال تعالى: **(وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا أُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ)** [البقرة:٣٩].

ج) الفوائد:

١) الإيمان بالملائكة، وأن من أعمالهم قبض الأرواح، وأنهم من جند الله ﷻ الأشداء، وأوليائه المطيعين، المناصرين للمؤمنين، والمعادين للكافرين، كما ذكر الله ﷻ في الآيات من قبض أرواح الكفار المحاربين للمسلمين وضربهم إياهم ضربا فظيعاً مهيناً. وقال ﷻ في المرتدين المناصرين للأعداء: **(فَكَيْفَ إِذَا تَوَفَّتْهُمُ الْمَلائِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ)** [محمد:٢٧]، وقال تعالى: **(وَلَوْ تَرَى إِذِ الظَّالِمُونَ فِي غَمَرَاتِ الْمَوْتِ وَالْمَلائِكَةُ بَاسِطُو أَيْدِيهِمْ أَخْرِجُوا أَنْفُسَكُمُ الْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذَابَ الْهُونِ بِمَا كُنْتُمْ تَقُولُونَ عَلَى اللَّهِ غَيْرَ الْحَقِّ وَكُنْتُمْ عَنْ آيَاتِهِ تَسْتَكْبِرُونَ)** [الأنعام:٩٣]، والمعنى باسطو أيديهم بالضرب كقوله تعالى: **(لَئِنْ بَسَطْتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِي)** [المائدة:٢٨]، وقوله تعالى: **(وَيَبْسُطُوا إِلَيْكُمْ أَيْدِيَهُمْ وَأَلْسِنَتَهُمْ بِالسُّوءِ)** [الممتحنة:٢]. **روى** [الإمام أحمد] عن البراء بن عازب ﷺ قال: (خرجنا مع رسول الله ﷺ في جنازة رجل من الأنصار فانتهينا إلى القبر ولما يُلحّد، فجلس رسول ﷺ وجلسنا حوله وكأن على رؤوسنا الطَّير، وفي يده عود ينكت به في الأرض، فرفع رأسه فقال: استعيذوا بالله من عذاب القبر مرتين أو ثلاث)، ثم ذكر البراء ﷺ ما قاله الرسول ﷺ في قبض الملائكة روح العبد المؤمن حيث يبشِّرونها بمغفرة الله ﷻ ورضوانه، فتخرج كما تسيل القطرة من في السقاء...، ثم ذكر حال الكافر فقال: (وإن العبد الكافر إذا كان في انقطاع من الدنيا وإقبال من الآخرة، نزل إليه ملائكة من السماء سود الوجوه معهم المسوح، فجلسوا منه مد البصر، ثم يجئ ملك الموت فيجلس عند رأسه، فيقول: أيتها النفس الخبيثة أخرجي إلى سخط من الله وغضب، فتتفرَّق في جسده، فينتزعها كما ينتزع السفود من الصوف المبلول، فإذا أخذوها لم يدعوها في يده طرفة عين حتى يجعلوها في تلك المسوح) الحديث.

صفحة الموجز ١-١٣-١

وبالملائكة وعملهم هذا أقسم الله ﷻ فقال: (**وَالنَّازِعَاتِ غَرْقاً ۞ وَالنَّاشِطَاتِ نَشْطاً**) [النازعات:١-٢] إشارة إلى نزعها بشدة أرواح الكفار، وقبضها برفق أرواح المؤمنين.

٢) إثبات **عذاب البرْزخ** للفترة بين الموت والبعث، قال تعالى: (**وَمِنْ وَرَائِهِمْ بَرْزَخٌ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ**) [المؤمنون:١٠٠]، وقد صرَّح الله ﷻ في آل فرعون فقال: (**وَحَاقَ بِآلِ فِرْعَوْنَ سُوءُ الْعَذَابِ ۞ النَّارُ يُعْرَضُونَ عَلَيْهَا غُدُوّاً وَعَشِيّاً وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ أَدْخِلُوا آلَ فِرْعَوْنَ أَشَدَّ الْعَذَابِ**) [غافر:٤٥،٤٦].

وعن ابن عمر ﷺ أن النبي ﷺ قال: (إن أحدكم إذا مات عرض عليه مقعده بالغداة والعشي، إن كان من أهل الجنة فمن أهل الجنة، وإن كان من أهل النار فمن أهل النار، فيقال هذا مقعدك حتى يبعثك الله يوم القيامة) [رواه البخاري ومسلم]. وفي حديث البراء ﷺ السابق أن العبد الكافر أو الفاجر، حين يأتيانه الملِكَان قبره ويسألانه عن ربه ﷻ ودينه ونبيه ﷺ، فلا يجيب: (ينادي منادٍ في السماء أن كذب، فافرشوا له من النار، وافتحوا له بابا إلى النار، فيأتيه من حرِّها وسمومها) [رواه أحمد وأبو داود والحاكم وهو صحيح]. وقد صدّق هذه الآيات – من سورة الأنفال في عذاب قتلى المشركين ببدر وأنهم في البرزخ يذوقون عذاب الحريق – قول الرسول ﷺ للقتلى ينادي بعضهم: (يا أبا جهل بن هشام، يا أمية بن خلف، يا عتبة بن أبي ربيعة، يا شيبة بن ربيعة، أليس قد وجدتم ما وعدكم ربكم حقا ؟، فإني قد وجدت ما وعدني ربي حقا؟)، فقال له عمر بن الخطاب ﷺ: (يا رسول الله كيف يسمعوا وقد جيَّفوا؟)، قال: (والذي نفسي بيده ما أنتم بأسمع لما أقول منهم، ولكنهم لا يقدرون أن يجيبوا. ثم أمر بهم فسحبوا، فأُلقوا في قليب بدر) [رواه البخاري ومسلم].

٣) **الإيمان بالغيب** أصل في دين الإسلام، فالموت وإن كان حقيقة ظاهرة، إلا أن الملائكة وقبضهم الروح غيب، وكذلك ضربهم وجوه الكفار وأدبارهم، وتعذيبهم بالنار في قبورهم، كل ذلك لا نراه ولا نسمعه ولا نرى أثره على أبدانهم عند الموت أو في القبور. بل إن إيماننا بالله ﷻ وبالرسول ﷺ وبالكتاب هو من الإيمان بالغيب، ولذا بدأ الله ﷻ صفات المهتدين في كتابه بذلك في مطلع سورة البقرة فقال: (**الم ۞ ذَلِكَ الْكِتَابُ لاَ رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ۞ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ**) [البقرة:١-٣].

صفحة الموجز ١-١٣-١

والحقيقة أنه لا يكون الإيمان إلا بشيء غيبي؛ولذا حين تقوم الساعة ويبعث الناس وتظهر الحقائق لا يكون هناك مكذِّب بالآخرة، بل الجميع مصدقون بالله ﷻ وبما أخبر به رسله،وهذا تصديق لا ينفع صاحبه بعدما وقع الخبر وزالت عنه صفة الغيبية، قال تعالى:(**هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْساً إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْراً**) [الأنعام:١٥٨]، أما عجز العقل البشري عن إدراك **كيفية الحقيقة الغيبية**؛ كعذاب القبر ونعيمه، ووسوسة الشيطان ومسِّه،ومعجزات الرسل وكرامات الصالحين، فذلك لا يمنع الحقيقة، كما أن العقل البشري لا يُنكر حقائق كثيرة، رغم أنه لا يحيط بكيفيتها؛ كالروح، والرؤى، والتيار الكهربائي،وتسجيل الصوت، والصورة، وانتقالهما، وغير ذلك كثير، قال تعالى:(**وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّي وَمَا أُوتِيتُم مِّن الْعِلْمِ إِلاَّ قَلِيلاً**) [الإسراء:٨٥]

٤) تمام **عدل الله** ﷻ، فلا يظلم العباد شيئاً، مع أنه خلقهم وهم تحت ملكه وسلطانه: (**إِنَّ اللّهَ لاَ يَظْلِمُ النَّاسَ شَيْئًا وَلَكِنَّ النَّاسَ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ**) [يونس:٤٤].

ومن صور العدل أن لا يعذِّب ﷻ عاصياً إلا في حدود ذنبه، ولا يؤاخذه إلا بعد أن يُقيم عليه الحجة ويبين له الحق،كما قال تعالى: (**وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولاً**) [الإسراء:١٥]، وقال: (**رُسُلاً مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ**) [النساء:١٦٥]، ومن عدله ﷻ ألا يُحمِّل أحدا وزر غيره، ولا يُعطي سعْيه غيره، كما قال تعالى: (**أَلَّا تَزِرُ وَازِرَةٌ وِزْرَ أُخْرَى ۞ وَأَنْ لَيْسَ لِلْإِنْسَانِ إِلَّا مَا سَعَى**) [لنجم:٣٨،٣٩]، ومن عدله ﷻ أن لا يساوي المحسن بالمسيء، فلا يعذب طائعا ولا يضيع عمله، قال تعالى: (**أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ ۞ مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ**) [القلم:٣٥،٣٦]،وقال عن نفسه ﷻ: (**أَنِّي لا أُضِيعُ عَمَلَ عَامِلٍ مِنْكُمْ مِنْ ذَكَرٍ أَوْ أُنْثَى**) [آل عمران:١٩٥].

٥) قبح **الظُّلْم** وذمِّه؛ ولذا نفاه الله ﷻ عن نفسه، وفي الحديث القدسي: (يا عبادي، إني حرَّمْت الظلم على نفسي وجعلته بينكم محرما فلا تظالموا) [رواه مسلم]، وقال رسول الله ﷺ: (اتقوا الظلم ، فإنه ظلمات يوم القيامة) [رواه مسلم]، وقال ﷺ: (اتق دعوة المظلوم فإنه ليس بينها وبين الله حجاب) [متفق عليه].

صفحة الموجز ١-١٣-١

وقال ﷺ: (المفلس من أمتي من يأتي يوم القيامة بصلاة وصيام وزكاة، ويأتي وقد شتم هذا، وقذف هذا، وأكل مال هذا، وسفك دم هذا، وضرب هذا، فيُعطى هذا من حسناته، وهذا من حسناته، فإذا فنيت حسناته قبل أن يقضي ما عليه، أُخذ من خطاياهم فطرحت عليه، ثم طرح في النار) [رواه مسلم]. ومن **صور الظلم**: الغِيبة، والسخرية، وإساءة الظن، والغِش، والتقصير في العمل الوظيفي، وإيذاء الطريق، وعقوق الوالدين. **وأعظم الظلم** للنفس الإهلاك لها، وإنكار الفضل والمعروف الذي عليها هو الشرك بالله ﷻ. فإن فضله ﷻ أعظم الفضل ولا معصية عنده أقبح من مساواته بغيره: **(إِنَّ الشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ)** [لقمان:١٣].

٦) أهمية **النظر في قصص الماضين وأخبار الغابرين**، إما إجمالا وإما تفصيلا، لأخذ العظة والعبرة منها، ولذلك ذَكَّر الله ﷻ بها؛ كقوم نوح وعاد وثمود وغيرهم من الظالمين، الذين أهلكهم الله بذنوبهم، ومِن أعجبهم آل فرعون، الذين أمدَّهم الله ﷻ بالنّعم وأعطاهم الملك على أرض مصر، فلم يشكروا المنعم ﷻ، ولم يتبعوا رسوله موسى عليه السلام، بل ظلموا الناس وطاردوا موسى عليه السلام، فأزال الله ﷻ، نعمتهم وأمْنهم وأدال دولتهم ومكّن للمسلمين بعدهم. وفي ذلك أبلغ التحذير لقريش والبشرى للرسول محمد ﷺ ولأتباعه، قال الله تعالى: **(إِنَّ فِرْعَوْنَ عَلا فِي الْأَرْضِ وَجَعَلَ أَهْلَهَا شِيَعاً يَسْتَضْعِفُ طَائِفَةً مِنْهُمْ يُذَبِّحُ أَبْنَاءَهُمْ وَيَسْتَحْيِي نِسَاءَهُمْ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِين ۞ وَنُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضْعِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ)** [القصص:٤،٥]، وقال ﷻ عما أصابهم من شدة فلم يتوبوا: **(وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُون ۞... فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلاتٍ فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْماً مُجْرِمِينَ)** [الأعراف:١٣٣،١٣٠]، وقال تعالى: **(وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ بِغَيْرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَيْنَا لا يُرْجَعُونَ)** [العنكبوت:٣٩]، وقال تعالى: **(فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ فِي الْيَمِّ فَانْظُرْ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ)** [القصص:٤٠].

٧) **الإمامة** تكون **في الشَّرِّ**، كما تكون في الخير، وأن أشقى الناس من قادهم إلى المعصية والكفر والفساد، ولا شك أنه أبلغهم جرما وأسوؤهم عقوبة، كحال فرعون وحكومته، قال تعالى:

صفحة الموجز ١-١٣-١

(وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لا يُنْصَرُونَ ۞ وَأَتْبَعْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) [القصص:٤١،٤٢]، ولذا فإن فرعون أولهم ورودا للنار، كما قال تعالى: **(يَقْدُمُ قَوْمَهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَأَوْرَدَهُمُ النَّارَ وَبِئْسَ الْوِرْدُ الْمَوْرُودُ)** [هود:٩٨]، إنه مَثَل لإمامة الشر ومصيرها المحتوم، قال تعالى: **(وَنَادَى فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِ قَالَ يَا قَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَذِهِ الْأَنْهَارُ تَجْرِي مِنْ تَحْتِي أَفَلا تُبْصِرُونَ ۞ أَمْ أَنَا خَيْرٌ مِنْ هَذَا الَّذِي هُوَ مَهِينٌ وَلا يَكَادُ يُبِينُ ۞ فَلَوْلا أُلْقِيَ عَلَيْهِ أَسْوِرَةٌ مِنْ ذَهَبٍ أَوْ جَاءَ مَعَهُ الْمَلائِكَةُ مُقْتَرِنِينَ ۞ فَاسْتَخَفَّ قَوْمَهُ فَأَطَاعُوهُ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْماً فَاسِقِينَ ۞ فَلَمَّا آسَفُونَا انْتَقَمْنَا مِنْهُمْ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ ۞ فَجَعَلْنَاهُمْ سَلَفاً وَمَثَلاً لِلْآخِرِينَ)** [الزخرف:٥١-٥٦].

فليحذر العبد أن يكون فتنة لغيره عن الحق وقدوة في الشر، وليكن إماما ودليلا إلى الخير، لينال أجره وأجر من اقتدى به واتبع نصيحته، يقول الرسول ﷺ: (من دلَّ على خير فله مثل أجر فاعله) [رواه مسلم]، وقال ﷺ: (من سنَّ في الإسلام سُنَّة حسنة فله أجرها وأجر من عمل بها من بعده، من غير أن ينقص من أجورهم شيئا) [رواه مسلم]، وتلك إمامة صالحة يتمناها كل مسلم، ولذا قال تعالى: **(وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَاماً ۞ أُولَئِكَ يُجْزَوْنَ الْغُرْفَةَ بِمَا صَبَرُوا وَيُلَقَّوْنَ فِيهَا تَحِيَّةً وَسَلاماً ۞ خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرّاً وَمُقَاماً)** [الفرقان:٧٤-٧٦] **وطريق تحصيل هذه الإمامة** هو الصبر على تكاليف الإعداد والعمل، وقوة الإيمان واليقين بالله ﷻ وثوابه، قال تعالى: **(وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ)** [السجدة:٢٤].

٨) إثبات **مشيئة العبد واختياره ومسؤوليته عن أفعاله**، فيثاب بها ويعاقب؛ ولذا حمَّله الله ﷻ مسؤولية زوال نعمته عليه، وقال تعالى: **(فَأَخَذَهُمُ اللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ)** [الأنفال:٥٢].

علما أن الموت قدر محتوم بأجل مسمَّى عند الله ﷻ من قبل الخلق، ولكن الله ﷻ قدَّر النتيجة وقدَّر السبب، ويسَّر للعبد لذلك حتى فعله باختياره، فكان اختيار العبد وِفْق قَدِر الله ﷻ، ولم يكن العبد مكرها كما يكون مكرها في بعض الأحوال التي يُسقط الله ﷻ فيها عنه الإثم ويعذره.

أما **كيفية** هذا التيسير الذي جعل العبد يفعل فهو من فعل الله ﷻ الذي لا نعلم كيفيته، كما لا نعلم كيفية الفاعل الله ﷻ: **(لا يُسْأَلُ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْأَلُونَ)** [الأنبياء:٢٣]، وقال تعالى: **(ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ)** [المائدة:٥٤]، وقال: **(قُلْ فَلِلَّهِ الْحُجَّةُ الْبَالِغَةُ فَلَوْ شَاءَ لَهَدَاكُمْ أَجْمَعِينَ)** [الأنعام:١٤٩]،

صفحة الموجز ١-١٣-١

أي: كل أقداره حكْمة وخير وإن كان بعضها للإنسان شرا كالكفر والمعاصي، وأنى لنا أن نبلغ فهم وإدراك حِكْمة الرب العظيم ﷻ، فلا يحق للإنسان أن يعتذر عن ذنوبه وتقصيره في مسؤولياته أن الله ﷻ لم يشأ ولم يُقدِّر له الهداية، ولذا ردَّ الله ﷻ على المعتذر فقال: **(أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ)** [الزمر:٥٧].

٩) سنة الله ﷻ الثابتة أن لا يُزيل النِّعْمة ولا يُغيِّر الحال إلى الأسْوأ إلا بسبب معصية العبد وتغيير منه، قال تعالى: **(وَمَا أَصَابَكُمْ مِنْ مُصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ)** [الشورى:٣٠]، ومن **أمثلة** تغيير النعم بسبب الذنوب: تدمير الأموال والزُّروع، كما حدث (لسبأ) في مسكنهم: **(فَأَعْرَضُوا فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتَيْ أُكُلٍ خَمْطٍ وَأَثْلٍ وَشَيْءٍ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ ۞ ذَلِكَ جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا وَهَلْ نُجَازِي إِلَّا الْكَفُورَ)** [سبأ:١٦،١٧]، وكما حدث لصاحب الجنتين: **(فَأَصْبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيْهِ عَلَى مَا أَنْفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَا لَيْتَنِي لَمْ أُشْرِكْ بِرَبِّي أَحَداً)** [الكهف:٤٢]، وما حدث لأصحاب الجنة في سورة القلم: **(فَطَافَ عَلَيْهَا طَائِفٌ مِنْ رَبِّكَ وَهُمْ نَائِمُونَ ۞ فَأَصْبَحَتْ كَالصَّرِيمِ)** [القلم:٢٠-٢١]، وقد قال رسول الله ﷺ: (إن الرجل ليُحرم الرِّزْق بالذنب يصيبه) [رواه أحمد].

ومن **أضرار المعصية** الفشل في التعلم يقول الله تعالى: **(وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ)** [الأنفال:٢٣]، وانتشار الأمراض واستجدادها، يقول الرسول ﷺ: (ما ظهرت الفاحشة في قوم، حتى أعلنوا بها، إلا ابتلوا بالطَّواعين والأوجاع التي لم تكن في أسلافهم الذين مضوا، ولا نقص قوم المكيال إلا ابتلوا بالسنين وشدة المؤونة وجور السُّلطان، وما منع قوم زكاة أموالهم إلا مُنعوا القَطر من السماء، ولولا البهائم لم يُمطروا) [رواه ابن ماجه].

ومن **أضرار المعاصي:** الهم والوحشة والعسر في الأمور، قال تعالى: **(وَمَنْ أَعْرَضَ عَنْ ذِكْرِي فَإِنَّ لَهُ مَعِيشَةً ضَنْكاً)** [طه:١٢٤]، وقال: **(وَأَمَّا مَنْ بَخِلَ وَاسْتَغْنَى ۞ وَكَذَّبَ بِالْحُسْنَى ۞ فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى)** [الليل:٨ -١٠]، **ومن أضرارها:** قسوة القلب وخلوه من الرحمة ومن العزة والشعور بالمنكر، قال تعالى: **(كَلَّا بَلْ رَانَ عَلَى قُلُوبِهِمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ)** [المطففين:١٤]، وقال تعالى: **(فَلَمَّا زَاغُوا أَزَاغَ اللَّهُ قُلُوبَهُمْ)** [الصف:٥]، **ومن أضرارها:** التباعد والتنازع وتسلُّط الأعداء، كما سلَّط الله ﷻ على بني إسرائيل لما عصوا موسى عليه السلام كفرة المجوس: **(فَجَاسُوا خِلالَ الدِّيَارِ)** [الإسراء:٥].

صفحة الموجز ١-١٣-١

يقول الرسول ﷺ: (ولا خَفَر قوم العهد إلا سلَّط الله عليهم عدواً من غيرهم، فأخذ بعض ما في أيديهم، وما لم تحْكم أئمتهم بما أنزل الله في كتابه، إلا جعل الله بأسهم بينهم) [رواه ابن ماجه]، وقال ﷺ: (والذي نفس محمد بيده، لتأمرن بالمعروف ولتنهون عن المنكر، ولتأخذن على يد السفيه ولتأطرَنَّه على الحق أطْرا، أو ليضربنَّ الله بقلوب بعضكم على بعض، ثم يلعنكم كما لعنهم) [رواه أحمد وأصحاب السنن].

والمعاصي أضرارها واسعة: **(ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ)** [الروم:٤١]، ولذا كانت دعوة الملائكة للمؤمنين: **(رَبَّنَا وَسِعْتَ كُلَّ شَيْءٍ رَحْمَةً وَعِلْماً فَاغْفِرْ لِلَّذِينَ تَابُوا وَاتَّبَعُوا سَبِيلَكَ وَقِهِمْ عَذَابَ الْجَحِيمِ)** [غافر:٧]، إلى قولهم: **(وَقِهِمُ السَّيِّئَاتِ وَمَنْ تَقِ السَّيِّئَاتِ يَوْمَئِذٍ فَقَدْ رَحِمْتَهُ وَذَلِكَ هُوَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** [غافر:٩]. وإذا كان زوال النِّعم بالمعاصي، فإن **حفظها** وزيادتها هو بالطاعة والتقوى، قال تعال: **(لَئِنْ شَكَرْتُمْ لَأَزِيدَنَّكُم)** [إبراهيم:٧]، وقال ﷻ عن نوح عليه السلام مع قومه: **(فَقُلْتُ اسْتَغْفِرُوا رَبَّكُمْ إِنَّهُ كَانَ غَفَّاراً ۞ يُرْسِلِ السَّمَاءَ عَلَيْكُمْ مِدْرَاراً ۞ وَيُمْدِدْكُمْ بِأَمْوَالٍ وَبَنِينَ وَيَجْعَلْ لَكُمْ جَنَّاتٍ وَيَجْعَلْ لَكُمْ أَنْهَاراً)** [نوح:١٠-١٢]، وقال تعال: **(وَمَنْ يَتَّقِ اللَّهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب)** [الطلاق:٢-٣]، وقال رسول الله ﷺ: (احفظ الله يحفظك) .

١٠) أهمية **أعمال القلوب؛** من عقائد ونيات وعزائم وغيرها، ولذا نَسَب الله ﷻ تغيير النِّعَم وتدميرها إلى تغيير الإنسان لما في نفسه من الخير إلى الشر. فمن المعلوم أن الفعل إنما هو نتيجة لعقيدة وفكر لدى الفاعل، يقول الرسول ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات)، وقال: (ألا وإن في الجسد مضغة، إذا صلحت صلح الجسد كله، وإذا فسدت فسد الجسد كله، ألا وهي القلب) [متفق عليه].

ولهذا لا يقتصر الحكم الإلهي على الإنسان بالنظر إلى عمله دون قلبه، ففي الحديث: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم).

بل **القلب** هو الأصل في الحكم على الإنسان، كما قال تعالى: **(إِلَّا مَنْ أَتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ)** [الشعراء:٨٩]، وكذلك في الحكم على الأعمال، كما في الأيْمان، قال تعالى: **(لَا يُؤَاخِذُكُمُ اللَّهُ بِاللَّغْوِ فِي أَيْمَانِكُمْ وَلَكِنْ يُؤَاخِذُكُمْ بِمَا كَسَبَتْ قُلُوبُكُمْ)** [البقرة:٢٢٥]، وفي قول كلمة الكفر، قال تعالى: **(مَنْ كَفَرَ بِاللَّهِ مِنْ بَعْدِ إِيمَانِهِ إِلَّا مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالْإِيمَانِ وَلَكِنْ مَنْ شَرَحَ بِالْكُفْرِ صَدْراً فَعَلَيْهِمْ غَضَبٌ مِنَ اللَّهِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ)** [النحل:١٠٦].

صفحة الموجز ١-١٣-١

وكذلك في الأعمال الصالحة، فإن لحضور القلب واحتسابه أكبر الأثر في قيمتها وقبولها، كما قال تعالى: **(قَدْ أَفْلَحَ الْمُؤْمِنُونَ ۞ الَّذِينَ هُمْ فِي صَلاتِهِمْ خَاشِعُونَ)** [المؤمنون:١،٢]، وقال رسول الله ﷺ: (من صام رمضان إيماناً واحتساباً، غُفر له ما تقدَّم من ذنبه) [متفق عليه].

وحتى **العادات والمباحات**؛ كالأكل والشرب والنكاح، تصبح عبادات صالحات إذا فعلها المسلم بنيَّة أن يستعين بها على طاعة أو يتَّقي بها معصية، ولذا قال النبي ﷺ: (وفي بِضع أحدكم صدقة)، قال الصحابة رضي الله عنهم: (أيأتي أحدنا شهوته ويكون له فيها أجر)، قال: (نعم، أرأيتم لو وضعها في حرام أليس عليه وزر؟، فكذلك إذا وضعها في الحلال كان له أجر) [رواه مسلم].

وأخطر الأمراض وأكبر الكبائر هي الذنوب القلبية، **ورأسها** الشرك بالله ﷻ بتعظيم غيره وخشيته وحبه ورجائه ومُراءاته، لاعتقاد أنه يملك النفع والضر أو الشفاعة دون الله تعالى: **(إِنَّ اللَّهَ لا يَغْفِرُ أَنْ يُشْرَكَ بِهِ وَيَغْفِرُ مَا دُونَ ذَلِكَ لِمَنْ يَشَاءُ)** [النساء:٤٨]، ومثله **النِّفاق**: **(إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الْأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ)** [النساء:١٤٥]. ومن **أقبح المعاصي القلبية**: الاستهانة بالذنب، والأمن من مكر الله ﷻ، وسوء الظن به، واليأس من رحمته، ومنها في **الأخلاق**: الكِبْر، والعُجب، والبغْضاء، والحَسَد، والشُّح، والمِنّ، وسوء الظَّن، والجُبْن، والوقاحة، والغَضَب، والحزن، والهم.

فعلى المسلم إن أراد **إسعاد نفسه** في الدنيا والآخرة أن يعالج قلبه ويزكي نفسه، قال تعالى: **(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا ۞ وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا)** [الشمس:٩-١٠]، بأن يُخلِص قلبه لله ﷻ ويُغذِّيه بالإيمان، والعلم النافع، وبالأعمال الصالحة، فإنها تؤثِّر في القلب، كما قال تعالى: **(إِنَّ الصَّلاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ)** [العنكبوت:٤٥]، وقال تعالى: **(خُذْ مِنْ أَمْوَالِهِمْ صَدَقَةً تُطَهِّرُهُمْ وَتُزَكِّيهِمْ بِهَا)**[التوبة: ١٠٣]، وأن يحرص على **الدعاء** بما كان يُكثر منه الرسول ﷺ، فقد كان أكثر دعائه ﷺ: (يا مُقَلِّب القلوب، ثَبِّت قلبي على دِينك)، ومن دعائه ﷺ: (اللهم آتِ نفْسي تقواها، وزَكِّها أنت خير من زَكَّاها، أنت وليُّها ومولاها)، ويقول تعالى: **(وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَحُولُ بَيْنَ الْمَرْءِ وَقَلْبِهِ وَأَنَّهُ إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ)** [الأنفال:٢٤]، ويقول تعالى: **(رَبَّنَا لا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ)** [آل عمران:٨].

صفحة الموجز ١-١٣-١

فعلى **الداعية والمربي** أن يُركِّز في إصلاح السلوك على التأثير في القناعات والدوافع والنيات والعزائم، لا مجرد معالجة المواقف والأخطاء، فذلك هو التغيير والإصلاح الأبْقى والأقْوى، وهو الأشْمل الذي يعدِّل ما وقع وما قد يقع. **فمثلا** معالجة مشكلة معصية من المعاصي بالتحذير منها وبيان ضررها، أبلغ منه أثرا أن تغرس عظمة الله ﷻ وخشيته في نفس الإنسان، ومثل معالجة الضعف الدراسي للطالب في مادة معينة، أحسن منه غرس حب العلم وروح التحدي والمنافسة في نفسه، وترسيخ قيمة الوقت وأهمية التنظيم والتخطيط عنده، بذلك يحدث التغيير الإيجابي الشامل، الذي هو منهج الإسلام العظيم.

صفحة الواجب ١-١٣-١

س١: ما مناسبة الآيات للتي قبلها؟.

س٢: بينت الآيات كيف يتم قبض أرواح الكفار، اشرح ذلك.

س٣: ما وجه التشابه بين: (آل فرعون)، و(قريش)؟.

س٤: ما معنى: كدأب/ إن الله سميع عليم؟.

س٥: دلت آية في المقطع السابق أن الله ﷻ يُزيل النِّعم إذا بدَّل العباد أحوالهم، فما نص الآية؟.

س٦: المعاصي أضرارها كثيرة، عدد أربعة منها.

س٧: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات.

صفحة الموجز ١-١٤-١

(١) الآيات: (٥٥-٦٠)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على أحكام المعاهدات في الإسلام وما يتعلق بها من أحكام. كذلك معرفة أهمية الاستعداد لمواجهة الكفار وإعداد العُدة لذلك.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يستطيع الطالب قراءة الآيات بطرقة صحيحة ليتمكن من حفظها بعد ذلك.

١-٢ أن يتعرف الطالب على أحكام العهود وكيفية معاملة الناقضين للعهد.

١-٣ أن يعرف الطالب أن إعداد العُدَّة لمواجهة الكفار المحاربين للإسلام واجب.

١-٤ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

ج. موجز الدرس:

١ - المقدمة:

تأتي هذه الآيات ذامة الكفار بأنهم شر الدواب ونقضة للعهود وخيانتهم، ثم تأتي مؤكدة على وجوب إعداد العُدَّة حسب الاستطاعة.

٢ -ملخص المواضيع:

أ - الآيات: (٥٥-٦٠).

ب -مناسبة الآيات للتي قبلها.

ت -المعاني.

ث -الفوائد.

صفحة الموجز ١-١٤-١

الآيات: (٥٥-٦٠)

﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ﴿٥٥﴾ ٱلَّذِينَ عَٰهَدتَّ مِنۡهُمۡ ثُمَّ يَنقُضُونَ عَهۡدَهُمۡ فِي كُلِّ مَرَّةٖ وَهُمۡ لَا يَتَّقُونَ ﴿٥٦﴾ فَإِمَّا تَثۡقَفَنَّهُمۡ فِي ٱلۡحَرۡبِ فَشَرِّدۡ بِهِم مَّنۡ خَلۡفَهُمۡ لَعَلَّهُمۡ يَذَّكَّرُونَ ﴿٥٧﴾ وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِن قَوۡمٖ خِيَانَةٗ فَٱنۢبِذۡ إِلَيۡهِمۡ عَلَىٰ سَوَآءٍۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡخَآئِنِينَ ﴿٥٨﴾ وَلَا تَحۡسَبَنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَبَقُوٓاْۚ إِنَّهُمۡ لَا يُعۡجِزُونَ ﴿٥٩﴾ وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسۡتَطَعۡتُم مِّن قُوَّةٖ وَمِن رِّبَاطِ ٱلۡخَيۡلِ تُرۡهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمۡ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمۡ لَا تَعۡلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعۡلَمُهُمۡۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيۡءٖ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيۡكُمۡ وَأَنتُمۡ لَا تُظۡلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾

أ) مناسبة الآيات للتي قبلها:

بعد أن ذكر الله ﷻ في الآيات السابقة سوء مصير الكفار وعذابهم، جاءت الآيات هنا تبين **صفات الشَّر** التي قادتهم إلى المصير السيئ، والتي من أبرزها رفض الإيمان، ونقض العهود والأيمان، فتُوجِّه الرسول ﷺ إلى كيفية التعامل معهم.

ب) المعاني:

(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الَّذِينَ كَفَرُوا فَهُمْ لا يُؤْمِنُونَ): أي أسْوأ المخلوقات التي تدُبُّ على الأرض في نظر الله ﷻ وتقديره، هم الكفار المصرُّون على الكفر بالله ﷻ ورسوله ﷺ، فهم لا يؤمنون بوحدانية الله ﷻ ولا يتبعون رسوله ﷺ، مهما تتابعت عليهم الآيات وظهرت لهم الحجج.

وفي **وصفهم** (بالدَّواب) تحقير لهم بأنهم مجرد مخلوقات تدُب على الأرض دون تعقُّلٍ وتفكير؛ تأكل وتتمتع دون شعور بمسؤولية أو شكر لمنعم، وبهذا تشارك الدَّواب غير العاقلة: **(أُولئِكَ كَالْأَنعَام بَلْ هُم أَضَل)** [الأعراف:١٧٩]،

صفحة الموجز ١-١٤-١

فإن **مصطلح** الدَّواب غالباً لغير الإنسان؛ من حشرات ونحوها، كما في قوله تعالى: **(وَمِنَ النَّاسِ وَالدَّوَابِّ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ)** [فاطر:٢٨]، وقوله تعالى: **(مَا دَلَّهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُ)** [سبأ:١٤].

(الَّذِينَ عَاهَدْتَ مِنْهُمْ ثُمَّ يَنْقُضُونَ عَهْدَهُمْ فِي كُلِّ مَرَّةٍ وَهُمْ لا يَتَّقُونَ): أي الذين أخذت منهم العهد والميثاق أن لا يحاربوك ولا يعاونوا عليك أحدا، ثم يخلفون وينقضون العهد، وكلما عاهدتهم نقضوا عهدهم، دون خوف من الله ﷻ أن يعاقبهم أو يسلط عليهم رسوله والمؤمنين.قيل: إنها نزلت في يهود بني قريظة، لما أعانوا كفار مكة بالسلاح يوم بدر، ثم قالوا: أخطأنا.

(فَإِمَّا تَثْقَفَنَّهُمْ فِي الْحَرْبِ فَشَرِّدْ بِهِمْ مَنْ خَلْفَهُمْ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ): أي فإن نقضوا العهد وحاربوك، فإن لقيتهم وظفرت بهم في الحرب، فأنزل بهم من القتل والتَّنْكيل ما يُدخل الرعب في قلوب من يقف وراءهم ويساندهم من الأعداء، أو يضمر الشر فيهربون ويتفرقون، وبهذا يتذكر الناقضون عاقبة فعلهم ويتذكر من خلفهم مصير أعداء الإسلام، فلا يجترئون على مثل ما أقدم عليه سابقوهم.

(وَإِمَّا تَخَافَنَّ مِنْ قَوْمٍ خِيَانَةً فَانْبِذْ إِلَيْهِمْ عَلَى سَوَاءٍ إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْخَائِنِينَ): وإن توقعت من قوم معاهدين نقضاً للعهد الذي بينك وبينهم لوجود بوادر منهم تدل على ذلك، فلا تباغتهم بالحرب حتى تطرح إليهم عهدهم وتتبرأ منه، فيكونوا وإياك سواء في العلم بانتقاض العهد، حذراً من الظهور بمظهر أولئك الخائنين المحرومين من محبة الله ﷻ وتكريمه.

(وَلَا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا سَبَقُوا إِنَّهُمْ لَا يُعْجِزُونَ): أي ولا يظن الذين كفروا أنهم فاتوا على الله ﷻ أن يدركهم وأفلتوا من عذابه، فإنهم ضعفاء أمام قوة الله ﷻ، لا يعجزونه ولا ينجون من قبضته وعذابه في الدنيا أوفي الآخرة، (والآية تخاطب الكفار عامة، بما فيهم أولئك الكفرة الذين يخفون كيدهم بالمؤمنين تحت ستار المعاهدة ليباغتوا المسلمين، فأنَّ لهم أن يفوتوا على الله ﷻ، كما تخاطب المشركين الناجين في بدر من القتل أو الأسر). وفيهما تطمين للمسلمين أن لا يتخوفوا من الكفار والخائنين، حين ينبذون إليهم عهدهم.

صفحة الموجز ١-١٤-١

(**وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَآخَرِينَ مِنْ دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمْ اللَّهُ يَعْلَمُهُمْ**): أي هيئوا للكفرة الذين لا تؤمن خيانتهم كل ما تقدرون عليه من عدَدٍ وعُدَّة مادية أو معنوية، ومنها: الخيل المربوطة للجهاد، كي تُخيفون الأعداء المحاربين لدين الله ﷻ، المحاربين لكم في معاشكم، وكذلك الأعداء غير الظاهرين لكم الآن من منافقين وغيرهم، لكن الله ﷻ يعلمهم ويعلم مستقبلهم وما يضمرون.

والأمر بإعداد الخيل للقتال هو بالنسبة لزمن نزول الآية، وأهمية الخيل في ذلك الوقت، وهذا يعني الاهتمام بالمراكب القتالية والتركيز في الإعداد على أقوى أدوات الحرب في كل زمن بحسبه، لتحقيق التفوق الدائم على العدو.

(**وَمَا تُنفِقُوا مِنْ شَيْءٍ فِي سَبِيلِ اللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنْتُمْ لَا تُظْلَمُونَ**): أي وما تبذلوا من مال قليلاً أو كثيراً في نصرة دين الله ﷻ وفي طرق الخير المقربة إليه ﷻ، فإن الله ﷻ يُخْلفه عليكم ويُثيبكم عليه أكمل الثواب في الآخرة، فلا ترددوا في الإنفاق خوفاً أن تُنقصوا شيئا من ثواب نفقاتكم.

ج) الفوائد:

١) **الكفر شرٌّ وشؤم** على العالم، **والكافر** دابَّة شريرة، بل أشر دواب الأرض وأضلها؛ لأنه غافل عن ذكر رب العالمين، جاحد لنعمته، متنكر لأوامره، صاد عن سبيله، محارب لدينه وأوليائه.

إنه خصم لدود لربه ﷻ: (**أَوَلَمْ يَرَ الإِنْسانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ**) [يس:٧٧]، (**إِنَّ الإِنْسانَ لِرَبِّهِ لَكَنُودٌ ۞ وَإِنَّهُ عَلَى ذَلِكَ لَشَهِيدٌ**) [العاديات:٦،٧]، هدفه عيش الحياة، فلا ممنوع في شهواته، والميزان عنده للقوة، فلا عدالة في حساباته ولا مساواة في قراراته. إنه سبب لسخط الرب ﷻ وفساد الكون: (**ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ لِيُذِيقَهُمْ بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ**) [الروم:٤١]، (**وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ ۞ أَلا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لا يَشْعُرُونَ**) [البقرة:١١،١٢]. إنه في حد ذاته **إرهاب كوني**، يحتاج إلى استئصال وحصر بالدعوة، وبيان الحق وكشف الباطل: (**حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ كُلُّهُ لِلَّهِ**) [الأنفال:٣٩]، كما يحتاج إلى مدافعة وجهاد إذا اسْتأْسد واسْتعْدَى.

صفحة الموجز ١-١٤-١

وأمر مهم ثالث وهو عدم تخْلية الساحة له يتمكن فيها، فعلى المسلمين أن يكونوا هم المنتجين والمصنعين والمخترعين والساسة والقادة والموجهين.

٢) ميزان الله ﷻ وحكمه على الناس بالشَّرِّ أو الخير هو بحسب الإيمان والعمل الصالح، **فالكافر** حقير شرير عدو لله ﷻ، مهما كان كمال خُلُقُه، وعَظَمة مُلْكه، وعجيب صنعه، وذكائه، ومنزلته عند الناس، قال تعالى: **(وَلَأَمَةٌ مُؤْمِنَةٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكَةٍ وَلَوْ أَعْجَبَتْكُمْ وَلا تُنْكِحُوا الْمُشْرِكِينَ حَتَّى يُؤْمِنُوا وَلَعَبْدٌ مُؤْمِنٌ خَيْرٌ مِنْ مُشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ أُولَئِكَ يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ وَاللَّهُ يَدْعُو إِلَى الْجَنَّةِ وَالْمَغْفِرَةِ بِإِذْنِهِ وَيُبَيِّنُ آيَاتِهِ لِلنَّاسِ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ)** [البقرة:٢٢١].

٣) من **أسوأ الأخلاق** الغدر ونقض العهد، وبذلك يُعرف كُفَّار الباطن (المنافقون)، كما قال رسول الله ﷺ: (أربع من كن فيه كان منافقا خالصا، ومن كانت فيه خِصْلة منهن كان فيه خِصْلة من النِّفاق حتى يدعها: إذا اؤتمِن خان، وإذا حدَّث كذب، وإذا عاهد غَدَر...) [متفق عليه]، ويقول ﷻ عن بني إسرائيل: **(فَبِمَا نَقْضِهِمْ مِيثَاقَهُمْ لَعَنَّاهُمْ وَجَعَلْنَا قُلُوبَهُمْ قَاسِيَةً)** [المائدة:١٣] . أما **أهل الإيمان** فهم أهل الوفاء، قال ﷻ عنهم: **(الَّذِينَ يُوفُونَ بِعَهْدِ اللَّهِ وَلا يَنْقُضُونَ الْمِيثَاقَ)** [الرعد:٢٠]، لشعورهم بالمسئولية من الله ﷻ القائل: **(وَأَوْفُوا بِالْعَهْدِ إِنَّ الْعَهْدَ كَانَ مَسْؤُولاً)** [الإسراء:٣٤].

٤) جواز **المعاهدة والمصالحة مع الكفار**، وتجديد العهد معهم لو نقضوه، رعاية لمصلحة الدِّين والمسلمين. وقد صالح الرسول ﷺ مشركي قريش في الحديبية على وضع الحرب بينهم (عشر) سنين، وأخبر ﷺ – غير منكر – عن تحالف المسلمين مع النصارى آخر الزمان كما في [صحيح البخاري]: (ثم هدنة تكون بينكم وبين بني الأصفر، فيغدرون فيأتونكم في ثمانين راية تحت كل راية اثنا عشر ألفا).

٥) من **محاسن الإسلام** احترام العهود والمواثيق، وعدم التساهل بنقضها، حتى لو شك المسلمون في خصومهم، ما دام العهد قائما لم ينقضوه. يقول الرسول ﷺ: (اغْزوا ولا تغُلُّوا ولا تغْدروا، ولا تمثِّلوا ولا تقتلوا وليدا) [رواه مسلم].

صفحة الموجز ١-١٤-١

وقد شارط الرسول ﷺ قريشا في صلح الحديبية على ردِّ من أسْلم منهم إليهم ثم لا ينصره المسلمون حين تؤذيه قريش في دينه، فوفَّى لهم بذلك، فرد أبا جنيدل سهيل بن عمرو رضي الله عنه ولما يفرغ من كتاب الصُّلح، رغم محاولة الرسول ﷺ ألا يردَّه حتى لا يعذبه المشركون، وهو تنفيذ لقول الله تعالى: **(وَإِنِ اسْتَنْصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ)** [الأنفال:٧٢].

وحين أوفدت قريش أبا رافع إلى النبي ﷺ في المدينة فوقع في قلبه الإيمان، وقال: لا أرجع إليهم وأبقى معكم مسلما، قال له الرسول ﷺ: (إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البُرد ، فارجع إليهم آمنا، فإن وجدت بعد ذلك في قلبك ما فيه الآن فارجع إلينا) [رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح]، ومعلوم **عناية الإسلام** (بالمعاهدين) داخل الدولة الإسلامية، ومثلهم (المستجيرون) أو (اللاجئون). وإذا ظهرت بوادر الخيانة من أولئك الكفار المعاهدين، فلا يجوز للمسلمين أن يفاجئوهم بالحرب حتى يُعْلموهم أن العهد بينهم قد انتقض، فعن عمرو بن عبسة رضي الله عنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من كان بينه وبين قوم عهد، فلا يحلنَّ عهدا ولا يشدنَّه، حتى يمضي أمده أو ينبذ إليهم على سواء) [رواه الترمذي].

٦) الشِّدة والتَّنْكيل في محاربة الكفار الماكرين الناقضين للعهود دون مبالاة، لتحقيق الردع لهم ولمن يفكر بالاعتداء أو يدعمهم في الخفاء. وبهذا أمر الله ﷻ هنا، وعاتب نبيه ﷺ والمؤمنين حين فكوا أسرى بدر مقابل عرض من المال، في معركة هي الأولى التي لها ما بعدها.

٧) من **صفات الله الفعلية** (الحُبّ)، فإنه ﷻ يحب المتوكلين الموفين بعهدهم إذا عاهدوا، كما يبغض الكفار الخائنين، وحُبّ الله ﷻ للعبد شرف له وتقريب وباب إلى كل خير وسلامة؛ ولذا قدَّمه الله ﷻ على فعل العبد فقال: **(فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ)** [المائدة:٥٤]، فإذا أحَبّ الله ﷻ العبد أحَبَّه كل شيء، كما قال ﷻ عن موسى عليه السلام: **(وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِنِّي)** [طه:٣٩]، وفي الحديث القدسي: (من عادَى لِي وليًّا فقد آذنْته بالحرب)، وكم كان شوقا لكل من حضر ليلة خيبر من الصحابة رضي الله عنهم أن يُسلَّم الراية بعد أن سمع قول الرسول ﷺ: (لأُعْطينَّ الراية غدا رجلا يُحبّ الله ورسوله، ويُحِبه الله ورسوله). **وطريق تحصيل محبة الله** ﷻ: المحافظة على فرائضه، والتزود من نوافله.

صفحة الموجز ١-١٤-١

٨) الله ﷻ يُمْهِل ولكن لا يُهْمِل، فيُملي للكافر والظالم حتى يحسب أن الله ﷻ عاجز عن ردْعه، وأنه قد أفلت من قبضة الله ﷻ، وأنه في مأمن من مكره ومنعة من أخذه، يقول الله تعالى: **(وَلا يَحْزُنْكَ الَّذِينَ يُسَارِعُونَ فِي الْكُفْرِ إِنَّهُمْ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً يُرِيدُ اللَّهُ أَلَّا يَجْعَلَ لَهُمْ حَظّاً فِي الْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ ۞ إِنَّ الَّذِينَ اشْتَرَوُا الْكُفْرَ بِالْإِيمَانِ لَنْ يَضُرُّوا اللَّهَ شَيْئاً وَلَهُمْ عَذَابٌ أَلِيم ۞ وَلا يَحْسَبَنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ خَيْرٌ لِأَنْفُسِهِمْ إِنَّمَا نُمْلِي لَهُمْ لِيَزْدَادُوا إِثْماً وَلَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ)** [آل عمران:١٧٦-١٧٨]. ولهذا كان تغلب الكفار على المسلمين إيذاناً من الله ﷻ بمحقهم وتدميرهم وانتصار المسلمين عليهم، كما قال ﷻ للمسلمين عقب غزوة (أحد): **(إِنْ يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ الْقَوْمَ قَرْحٌ مِثْلُهُ وَتِلْكَ الْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ النَّاسِ وَلِيَعْلَمَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَتَّخِذَ مِنْكُمْ شُهَدَاءَ وَاللَّهُ لا يُحِبُّ الظَّالِمِينَ ۞ وَلِيُمَحِّصَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَيَمْحَقَ الْكَافِرِينَ)** [آل عمران:١٤١،١٤٠].

٩) وجوب **إعداد القوة العسكرية** بكل ما نستطيع، وفي جميع الجوانب المعنوية والمادية، وبخاصة الوسائل والمراكب القتالية المتميزة في كل زمان بحسبه. فإن شعور الكفار بشدة المسلمين وغلظتهم أمر وقائي هام كما أمر الله ﷻ به فقال: **(وَلْيَجِدُوا فِيكُمْ غِلْظَةً)** [التوبة:١٢٣]، ومدح الله ﷻ نبيه ﷺ وأصحابه ﷺ فقال: **(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم)** [الفتح:٢٩].

وفي هذا الإعداد **فوائد وأهداف** عظيمة؛ **أولها** وأهمها إخافة أعداء الله ﷻ المحاربين للإسلام، فلا يتعرضوا للإسلام بالطعن أو المنع من الدعوة إليه. **ومنها** إخافة الأعداء الطامعين في المسلمين وديارهم المؤذين لهم في مصالحهم. وفائدة **ثالثة** ألا وهي إخافة العدو الباطن؛ من كفار ومنافقين فلا يتعرضوا للإسلام بأذى ولا يبارزوا المسلمين بالعداء. علما أن هناك **فوائد أخرى**؛ كتحصيل الصداقات، وانجذاب الناس لمعرفة الإسلام واعتناقه، كما هو المعروف من تقليد المغلوب للغالب، وهيبة القوي واحترامه.

وهذا **الإعداد يتطلب** أمورا (روحيَّة) و(عقليَّة) و(ماديَّة)، **منها**: ترسيخ الإيمان بالله ﷻ ودينه، وترسيخ محبتهما في النفوس لتكون أكثر بذلا وتضحية، والتوعية القوية بفضل الجهاد وبطولات المسلمين ومستقبلهم المنتصر الموعود من الله ﷻ.ومن **المطالب** أيضا: تنقية علاقات المسلمين من النزاعات، وتحقيق الإخاء الإسلامي بينهم.

صفحة الموجز ١-١٤-١

هذا إلى **جانب** التعليم والتدريب العسكري، وما يتطلبه من مرافق ووسائل ومتخصصين، وتوفير الأسلحة والمراكب والوسائل والتحصينات والأنظمة والخطط، ثم الحرص على الاكتفاء الذاتي والاستقلالية في جميع الجوانب.

١٠) الإرهاب النفسي للعدو من أهم مبادئ الحرب وتحقيق أهدافها بأيسر التكاليف، ومن **تطبيقات** الرسول ﷺ لذلك، أنه حين قدم وأصحابه رضي الله عنهم لعمرة القضاء قال المشركون: إنه يقدم عليكم قوم أوهنتهم حُمَّى يثرب، فأمرهم النبي ﷺ أن يَرْمُلوا الأشواط الثلاثة إظهارا للجلد أمام الكفار، حتى بقيت سُنَّة في طواف القدوم. ومن **التطبيقات** مطاردة فلول العدو، والعسكرة بمكان المعركة أياما، كما فعل النبي ﷺ مع جيش قريش عقب معركة (أحد)، فقد طاردهم حتى بلغوا (حمراء الأسد)، فأقام ثلاثة أيام بها ثم رجع.

١١) تقديم **مصلحة الدِّين** على مصالح النفس، **والغضب لدِين الله** جل جلاله حين يُعتدى عليه أكثر مما نغضب وندافع عن أرواحنا وأموالنا وأهلينا؛ ولهذا قدَّم الله سبحانه وتعالى في آية إعداد القوة؛ إرهاب أعداء الله جل جلاله على إرهاب أعدائنا. **وتأمَّل** في أخْلاق النبي ﷺ، تقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (ما نِيل منه شيء قط فينتقم من صاحبه، إلا أن ينتهك شيء من محارم الله تعالى، فينتقم لله تعالى) [رواه مسلم].

١٢) فضل **الإنفاق في سبيل الله** جل جلاله ونصرة دينه، ومن ذلك: **الإنفاق** في الدفاع ومجاهدة العدو بالسلاح، **والإنفاق** في ردِّ الشُّبْهة ونشر المواد الدعوية التي تنصِّر الدِّين، **والإنفاق** على الجهات والأشخاص المعنيين بذلك، وكذلك كان هدي النبي ﷺ، حتى قال خادمه أنس بن مالك رضي الله عنه: (ما سُئل على الإسلام شيئا إلا أعطاه) [رواه مسلم]، وقالت زوجه أم المؤمنين جويرية بنت الحارث رضي الله عنها: (ما ترك رسول الله ﷺ عند موته دينارا ولا درهما ولا عبدا ولا أمة ولا شيئا، إلا بغلته البيضاء التي يركبها، وسلاحه، وأرضا جعلها لابن السبيل صدقة) [رواه البخاري]، إنه الحب والبذل لهذا الدِّين، والذي ظهر في أخلاق أصحابه رضي الله عنهم، فحين جاء المزكِّي إلى خالد بن الوليد رضي الله عنه فلم يجدْ عنده زكاة فظن به سوءاً، ردَّ عليه الرسول ﷺ: (أمَّا خالد، فإنكم تظلمون خالدا، فقد احتبس أدْراعه وأعتاده في سبيل الله).

صفحة الواجب ١-١٤-١

س١: ما مناسبة الآيات للتي قبلها؟.

س٢: لماذا وصف الله ﷻ الكفار بـ (شر الدواب)؟.

س٣: أرشد الله ﷻ المجاهد إذا حارب الكافر ان يشرد به من خلفه، فما فائدة هذا الفعل؟.

س٤: ما معنى: الدواب/ فانبذ؟.

س٥: ماذا يجب على المسلمين إذا خافوا نقض العهد من الكافرين؟.

س٦: عدد ثلاث من فوائد وأهداف إعداد القوة العسكرية.

س٧: عدد ثلاث من الفوائد المستوحاة من الآيات.

صفحة الموجز ١-١٥-١

(١) الآيات: (٦١-٦٦)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على أحكام السِّلم والصلح في الإسلام وم يتعلق به من أحكام، وكذلك ليعلم أهمية المؤاخاة بين المؤمنين، وأن المسلم لا يجوز له الفرار من الحرب أمام اثنين من الكفار وذلك بعد التخفيف.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يستطيع الطالب قراءه الآيات بطريقة صحيحة ليتم حفظها بعد ذلك.

١-٢ أن يتعرف الطالب على أحكام السلم والصلح في الإسلام.

١-٣ أن يعرف الطالب أهمية الأخوة الإيمانية ويستشعر حقيقتها.

١-٤ أن يعرف الطالب أنه لايجوز له أن يفر في المعركة إذا واجهه اثنين من الكفار فأقل.

١-٥ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

ج. موجز الدرس:

١ -المقدمة:

تتكلم الآيات عن أحكام السلم والصلح في الإسلام وما يترتب عليه إذا حاول الطرف الآخر أن يخدع المسلمين، ثم تكلمت عن أهمية الأخوة الإسلامية والتأليف بين القلوب، وختمت الآيات بأنه لا يجوز للمسلم أن يفر في المعركة إذا قابله اثنين من الكفار فما دون وهذا بعد التخفيف، وإلا كان أول الأمر لا يجوز أن يفر الواحد مقابل عشرة من الكافرين.

٢ -ملخص المواضيع:

ج - الآيات: (٦١-٦٦).

ح -مناسبة الآيات للتي قبلها.

خ -المعاني.

د -الفوائد.

صفحة الموجز ١-١٥-١

الآيات: (٦١ . ٦٦)

﴿ وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلۡمِ فَٱجۡنَحۡ لَهَا وَتَوَكَّلۡ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ ﴿٦١﴾ وَإِن يُرِيدُوٓاْ أَن يَخۡدَعُوكَ فَإِنَّ حَسۡبَكَ ٱللَّهُۚ هُوَ ٱلَّذِيٓ أَيَّدَكَ بِنَصۡرِهِۦ وَبِٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٢﴾ وَأَلَّفَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡۚ لَوۡ أَنفَقۡتَ مَا فِي ٱلۡأَرۡضِ جَمِيعٗا مَّآ أَلَّفۡتَ بَيۡنَ قُلُوبِهِمۡ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ أَلَّفَ بَيۡنَهُمۡۚ إِنَّهُۥ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ﴿٦٣﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ﴿٦٤﴾ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ﴿٦٥﴾ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾

أ) مناسبة الآيات قبلها:

في الآيات السابقة يبين الله ﷻ كيفية تعامل النبي ﷺ مع الكفار في حالة نقضهم للعهد والخوف من الخيانة، وأرشدت إلى إعداد القوة وفي هذه الآيات يبين الله تﷻ كيفية التعامل مع الكفار إذا مالوا إلى الصلح والسلم؛ فإن نقضوا فشرِّد بهم من خلفهم، وإن خِفت منهم النَّقض بإمارات فانبذ إليهم عهدهم، وإن مالوا إلى الصلح فلا مانع من الميل إلى الصلح وحسبك الله ﷻ ثم المؤمنين إن أرادوا خداعك. وفي الآيات إشارة إلى أن طلب الصلح من الكافر لا يكون إلا إذا كان المسلمون في حال قوة.

ب) المعاني:

(وَ**إِنْ جَنَحُوا لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ**): أي وإن مَال الكفار إلى المسالمة والمصالحة معك، فمِلْ إلى ذلك ولا تحاربهم، وفوِّض تدبير أمورك ونصرك إلى الله ﷻ، ما دمت

صفحة الموجز ١-١٥-١

قد أعددَّت القوَّة، فإنه ﷻ هو السميع لأقوالكم واتفاقاتكم، العليم بمقاصدكم وأحوالكم، وكيف يحفظكم وينصركم على أعدائكم.

(وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ لَوْ أَنفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ وَلَكِنَّ اللَّهَ أَلَّفَ بَيْنَهُمْ إِنَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ): أي وإن كان هؤلاء الكفار يريدون أن يمكروا بك وأن يوقعوا بك وبمن معك الأذى خِفية، فإن الله ﷻ سيكفيكهم ويكشف خدعتهم ويرد كيدهم ويُنجِّيك منهم، كما عوَّدَك، فقد قوَّاك بأسباب النصر في بدر من الملائكة وغيرهم، وقوَّاك بالمؤمنين وجمعهم تحت قيادتك من المهاجرين والأنصار متحابة متآلفة قلوبهم في الله ﷻ أشد تآلف، حتى إنك لو أنفقت أموال الدنيا على تحقيق هذا التآلف بينهم ما استطعت إلى ذلك سبيلا، ولكن بفضل الله ﷻ وقدرته جمعهم لك وآخى بينهم، إنه غالب على الخَلْق ينفذ ما أراد فيهم، حكيم في تدبيره يضع الأمور في مواضعها المناسبة.

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ وَمَنِ اتَّبَعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ): ينادي الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ بوصف (النُّبوَّة) التي شرَّفه به: أن الله ﷻ كافيه وكافٍ أتباعه المؤمنين شر أعدائهم، فلا يخافوهم ولا يجبنوا عن ملاقاتهم. وفي هذه الآية **تأكيد** للآية السابقة، وتعميم لمبدأ الاعتماد على الله ﷻ في جميع الأحوال، ومن جميع المؤمنين. وكلمة: (الأتباع) أشمل من الأصحاب، **وفيها** تذكير بواجب الإتباع ومقتضاه.

(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ يَغْلِبُوا أَلْفاً مِنَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ): نداء آخر للنبي ﷺ – وهو يقود المسلمين – أن يحثَّ المؤمنين ويشجعهم على خوض المعركة ببسالة لنصرة دين الله ﷻ ونيل ثوابه، غير متهيبين من كثرة العدو، حتى ولو كان مقابل كل (واحد) من المسلمين (عشرة) من الكافرين، **فمثلا** لو كان من المسلمين (عشرون) مقاتلا صابرا على البأس، يقابلهم (مائتين) من الكفار، أو كان المسلمون (مائة) يقابلهم (ألف) من الكفار، كانت الغلبة للمسلمين بسبب أن هؤلاء الكفار قوم لا يفهمون هدف وجودهم، ومستقبلهم بعد هذه الحياة الدنيا، فهم في حيرة ضلال يقاتلون لعيش زائل، فاقدون لأكبر مصادر الثبات والقوة والاتفاق والغلبة، التي يتمتع بها المقاتلون المسلمون من وضوح في الهدف ويقين بالمنهج ونبل في الغاية.والتمثيل بهذين العددين في الآية هو بالنظر لواقع الحرب وعدد الجيش في ذلك الزمن.

صفحة الموجز ١-١٥-١

(**الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً فَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ مِائَةٌ صَابِرَةٌ يَغْلِبُوا مِائَتَيْنِ وَإِنْ يَكُنْ مِنْكُمْ أَلْفٌ يَغْلِبُوا أَلْفَيْنِ بِإِذْنِ اللَّهِ وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ**): كان حكم الله ﷻ بلزوم ثبات المقاتل المسلم أمام (عشرة) حينما كانوا على مستوى عالٍ من قوة الإيمان والصبر، فبعد ذلك خفف الله ﷻ عنهم رحمة منه ولما علمه ظاهرا من الضعف في صفوفهم بانضمام حديثي الإسلام إليهم، وعلى هذا فالمقاتلون المسلمون مكلفون بالثبات فيما لا يزيد عن (مثليهم)، **فمثلا** لو كانت السرية المسلمة تبلغ (مائة) مقاتل صابر على البأس، يقابلهم (مائتان) من الكفار، أو كانت السرية المسلمة تبلغ (ألفا) يقابلهم (ألفان) من الكفار، فإن الغلبة تكون للمسلمين بإذن الله ﷻ وتوفيقه، فعليهم بالصبر ليتحقق لهم هذا الوعد بالنصر، فإن الله ﷻ مع الصابرين بالتأييد والقبول.

ج) الفوائد:

١) مسالمة الكفار المسالمين هو أمر الله ﷻ ومنهج دينه دون مودة وموالاة لهم، يقول الله تعالى: (**فَإِنِ اعْتَزَلُوكُمْ فَلَمْ يُقَاتِلُوكُمْ وَأَلْقَوْا إِلَيْكُمُ السَّلَمَ فَمَا جَعَلَ اللَّهُ لَكُمْ عَلَيْهِمْ سَبِيلاً**) [النساء:٩٠].

وقال تعالى: (**لا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُمْ مِنْ دِيَارِكُمْ أَنْ تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) [الممتحنة:٨].

وقال تعالى: (**وَقَاتِلُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ الَّذِينَ يُقَاتِلُونَكُمْ وَلا تَعْتَدُوا إِنَّ اللَّهَ لا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ ۞ ... فَإِنِ انْتَهَوْا فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ ۞ وَقَاتِلُوهُمْ حَتَّى لا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ الدِّينُ لِلَّهِ فَإِنِ انْتَهَوْا فَلا عُدْوَانَ إِلَّا عَلَى الظَّالِمِينَ**) [البقرة:١٩٠-١٩٣]، والانتهاء (الأول) يعني تركهم الكفر إلى الإسلام ولهذا غفر لهم، أما (الثاني) فهو الانتهاء عن محاربة المسلمين، **ومثل** ذلك جاء في سورة [الأنفال:٣٩].

وقد **سالم** الرسول ﷺ يهود المدينة عندما قدِم إليها، بل تحالف معهم على النفقة والنصرة.

ودخلت (خُزاعة) أيام الحديبية في حِلْفه ﷺ ولم تكن مُسْلمة، وقد نصرها على قريش حين اعتدوا عليها.

وفي **الهجرة** – على خطرها –ستأجر ﷺ عبد الله بن أُريقط دليلا له وكان مشركا.

وأخبر ﷺ عن تحالف المسلمين مع النصارى غير منكر لذلك، فقال: (ستصالحون الروم صلحا آمنا، فتغزون أنتم وهم عدواً من ورائكم، فتنصرون وتغنمون وتسلمون) [رواه أحمد وأبو داود بسند صحيح]، ولم **يحارب** ﷺ مُسَالما له. وعلى هذا يُحمل كل أمر مطلق بالقتال على أنه في حق المحارِبين للإسلام والمسلمين، فإما أن يسلموا، أو يعطوا الجزية ويخضعوا لحكم الإسلام، وإلا كان القتال.

صفحة الموجز ١-١٥-١

٢) المسَالمة التي تنبغي للمسلمين هي **سِلْم الأقوياء الشجعان**، لا سلم المضطرين الجبناء، ولذا أمر الله ﷻ بإعداد القوة قبل مشروعية المسالمة، وقدَّم جنوحهم للسِّلْم قبل جنوح المسلمين إليه، حتى يكون سِلما عزيزا لا اسْتسلاما ذليلا، كما قال تعالى: **(فَلا تَهِنُوا وَتَدْعُوا إِلَى السَّلْمِ وَأَنْتُمُ الْأَعْلَوْنَ وَاللَّهُ مَعَكُمْ وَلَنْ يَتِرَكُمْ أَعْمَالَكُمْ)** [محمد:٣٥].

٣) إعداد القوة **ثم التوكل على الله** ﷻ هو المنهج الإسلامي الصحيح، فعلى المسلم ألا يستغني بقوته مهما كانت عن الاستعانة بالله ﷻ وتوفيقه ونصره. فإذا استكمل المسلم أسباب القوة التي يستطيعها، فما بقي إلا أن يفوِّض أمره إلى الله ﷻ، فإن أضمر العدو شرا بهم فإن الله ﷻ سيكفيهم شرهم: **(وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ)** [الأنفال:٦٢].

٤) مراجعة التاريخ وأحداث السيرة النبوية العظيمة لأخذ الدروس والعبر منها، لبناء العقيدة الإيمانية الراسخة في قلوب الأجيال المسلمة، وحملها على الجهاد مستبشرة بنصر الله تعالى: **(وَإِنْ يُرِيدُوا أَنْ يَخْدَعُوكَ فَإِنَّ حَسْبَكَ اللَّهُ هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ)** [الأنفال:٦٢]. فمن **تأمل** في الأسباب المعجزة التي نصر الله ﷻ بها نبيه ﷺ والبذل والتضحيات التي قدمها أصحابه ﷺ والتألف بينهم والتآخي في الله ﷻ الذي جمع بين قلوبهم، ازداد إيمانه بالله ﷻ ويقينه بدينه: **(هُوَ الَّذِي أَيَّدَكَ بِنَصْرِهِ وَبِالْمُؤْمِنِينَ ۞ وَأَلَّفَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ)** [الأنفال:٦٢،٦٣].

٥) أكرم الحب وأصدقه **الحُبُّ والتآخي في الله** ﷻ، وأحسن **مثال** له إخاء أصحاب الرسول ﷺ حتى قال الله ﷻ عنهم: **(لَوْ أَنْفَقْتَ مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعاً مَا أَلَّفْتَ بَيْنَ قُلُوبِهِمْ)**، وقال عنهم **(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ ... كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ فَآزَرَهُ فَاسْتَغْلَظَ فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ)** [الفتح:٢٩].

وقصص الإخاء بين المهاجرين والأنصار ضرب من العجب؛ حيث قدم المهاجرون بلا أموال معهم، فأشركهم الأنصار في الأرض والنَّخل، وكانوا يتوارثون بعقد الإخاء دون ذوي الرحم- حتى نسخ الله ﷻ ذلك التوارث-.

صفحة الموجز ١-١٥-١

ومن **مواقف البذل** ما عرضه سعد بن الربيع الأنصاري ﷺ على عبدالرحمن بن عوف ﷺ أن يقاسمه ماله، وأن يختار إحدى زوجتي سعد ﷺ فيطلقها له ليتزوجها، فدعا له عبدالرحمن ﷺ بالبركة في ماله وأهله وقال: (دُلَّني على سوق المدينة واسترح)، وغير ذلك كثير من مواقف الإخاء وقصص الإيثار، ولهذا قال الله ﷻ عن الأنصار ﷺ: **(وَالَّذِينَ تَبَوَّأُوا الدَّارَ وَالْأِيمَانَ مِنْ قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنْفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ)** [الحشر:٩].

٦) المكانة السَّامية للنبي ﷺ عند الله ﷻ؛ ولذا لم يناديه إلا بوصف (النُّبوة)، أما غيره من الأنبياء فقد ناداهم بأسمائهم، وقال الله ﷻ لأصحاب النبي ﷺ: **(لا تَجْعَلُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضاً)** [النور:٦٣]، وقال: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَرْفَعُوا أَصْوَاتَكُمْ فَوْقَ صَوْتِ النَّبِيِّ وَلا تَجْهَرُوا لَهُ بِالْقَوْلِ كَجَهْرِ بَعْضِكُمْ لِبَعْضٍ أَنْ تَحْبَطَ أَعْمَالُكُمْ وَأَنْتُمْ لا تَشْعُرُونَ)** [الحجرات:٢]، ولم يرد اسمه ﷺ في القرآن إلا مقترنا بما يدل على النبوة والرسالة.

وهكذا ينبغي للمسلم ألا يذكره ﷺ باسمه مجردا عن النبوة والرسالة، وأن يُنْزله المنزلة اللائقة به، دون غُلو، **ومن ذلك:** محبته أعظم من محبة كل إنسان ومن النفس، كما قال الله تعالى: **(النَّبِيُّ أَوْلَى بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنْفُسِهِمْ)** [الأحزاب:٦]، وتصديقه في كل ما أخبر، واتباعه في كل ما شرع عن رضا واستسلام، وأن يكون علمنا بسيرته وهديه أكثر من أي إنسان على وجه الأرض، وأن ندافع عنه وننصر سنته **(فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُون)** [الأعراف:١٥٧]، ومن تكريمه تكريم أصحابه ﷺ والصالحين من قرابته ومودتهم والاستغفار لهم. ومن حقوقه التي حثنا عليها: الصلاة عليه ، وسؤال الوسيلة له: **(إِنَّ اللَّهَ وَمَلائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيماً)** [الأحزاب:٥٦].

٧) أهمية التذكير والوعظ، وإن كان الموعَظ على عِلْم وصَلاح ودَعوة، وبخاصة أوقات الأزمات، قال تعالى: **(وَذَكِّرْ فَإِنَّ الذِّكْرَى تَنْفَعُ الْمُؤْمِنِينَ)** [الذاريات:٥٥]، وقال تعالى: **(فَذَكِّرْ إِنْ نَفَعَتِ الذِّكْرَى. سَيَذَّكَّرُ مَنْ يَخْشَى)** [الأعلى:٩-١٠]؛ لهذا ذكَّر الله ﷻ نبيه ﷺ ودعاه إلى الاعتصام به وحده: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَسْبُكَ اللَّهُ)** [الأنفال:٦٤].

صفحة الموجز ١-١٥-١

وقال له في مواضع أخرى: (**يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ وَلا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيماً حَكِيماً ۞ وَاتَّبِعْ مَا يُوحَى إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيراً ۞ وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ وَكَفَى بِاللَّهِ وَكِيلاً**) [الأحزاب١-٣].

فعلى المسلم مهما كان صلاحه وعلْمه أن يُغذِّي دوما روحه بمجالس الإيمان وكلام الرحمن، وأن يتخوَّل بالموعظة الحسنة بين الحين والآخر أهله وأصحابه ولو بإهداء المواد الدعوية لهم، فإن الإنسان كثير النسيان والغفلة، والقلب كثير التقلب والتغير، فيحتاج إلى التذكير والتقويم دائما.

٨) **الله ﷻ هو الحسِيب** الذي يكفي العبد كل ما يهمه ، فلا يحتاج إلى أحد سواه، ولهذا كرر هذا الأمر هنا، وكانت كلمة نبي الله ﷺ إبراهيم عليه السلام حين أُلقِي في النار: (**حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ**) [آل عمران:١٧٣]، وكذلك قالها نبينا ﷺ وأصحابه رضي الله عنهم رداً على أبي سفيان عقب معركة (أحد) في تهديده للمسلمين بالعودة للقضاء على الباقين، قال الله تعالى: (**الَّذِينَ قَالَ لَهُمُ النَّاسُ إِنَّ النَّاسَ قَدْ جَمَعُوا لَكُمْ فَاخْشَوْهُمْ فَزَادَهُمْ إِيمَاناً وَقَالُوا حَسْبُنَا اللَّهُ وَنِعْمَ الْوَكِيلُ ۞ فَانْقَلَبُوا بِنِعْمَةٍ مِنَ اللَّهِ وَفَضْلٍ لَمْ يَمْسَسْهُمْ سُوءٌ وَاتَّبَعُوا رِضْوَانَ اللَّهِ وَاللَّهُ ذُو فَضْلٍ عَظِيمٍ**) [آل عمران:١٧٣،١٧٤]، وفي الحديث: (حسبي الله لا إله إلا هو عليه توكلت وهو رب العرش العظيم، من قالها حين يُصبح وحين يُمسي سبع مرات، كفاه الله ما أهمَّه من أمر الدنيا والآخرة).

٩) أهمية **التحفيز والتحريض ورفع المعنويات في القتال**، وإن كان المقاتلون على مستوى عالٍ من الإيمان والكفاءة، لِمَا لذلك من أثر كبير في الإنجاز والتفوق والرضا، وبذلك أمر الله ﷻ نبيه محمدا ﷺ رغم ما عليه أصحابه رضي الله عنهم من إيمان وصبر.

ومن **الأساليب النبوية** في ذلك: الخُطب الحماسية قبل المعركة، وتبشير المقاتلين بالجنة، حتى إن المقاتل ليلقي بالتمرات التي يأكلها مستطيلا الحياة دون الحنة، وأعلن ﷺ ليلة فتح خيبر فقال: (لأعطين الراية غدا رجلا يحب الله ورسوله ويحبه الله ورسوله، يفتح الله عليه).

ومن الأساليب: الشعر الحماسي الإيماني، فكان ﷺ يستخدمه في الغزو؛ كأبيات عبد الله بن رواحه رضي الله عنه:

صفحة الموجز ١-١٥-١

لاهُمَّ لولا أنت ما اهتدينا ولا تصدَّقنا ولا صَلَّينا
فأنزلنْ سكينةً علينا وثبِّتِ الأقدامَ إن لاقينا
إنا إذا صِيحَ بنا أتينا وبالصِّياح عولوا علينا
إن الأُلى قد بَغوا عَلينا وإن أرادوا فِتنَة أبينا

ومن الأساليب التحريضية القوية: البيعة عند القتال، ومن **أشهرها:** بيعة الرِّضوان، التي أشاد بها القرآن الكريم، وكانت في (الحديبية) حين أُشيع أن قريشا قتلت عثمان بن عفان ﷺ الذي بعثه الرسول ﷺ مندوبا إليهم، حتى بايع الرسول ﷺ بعض الصحابة ﷺ مرتين أو ثلاثا، وقيل لسلمة بن الأكوع ﷺ: على أي شيء كنتم تبايعون يومئذٍ؟، قال: على الموت.

ومن أساليب التحريض: إثارة النَّخْوة، ولذا كان النبي ﷺ يوزِّع الكتائب والرايات بحسب القبائل والانتماءات، وكان مناديه ينادي في معركة حنين: أين أصحاب السَّمُرة – يعني أهل بيعة الرضوان – إلى أن قصرت الدعوة على بني الحارث بن الخزرج ﷺ. وعن أنس ﷺ أن رسول الله ﷺ أخذ سيفا يوم أحد فقال: (من يأخذ مني هذا؟، فبسطوا أيديهم، كل إنسان منهم يقول: أنا، أنا. قال: من يأخذه بحقه، فأحجم القوم، فقال أبو دجانة سماك بن خرشة ﷺ: أنا آخذه بحقه، فأخذه، فَفَلق به هام المشركين) [رواه مسلم].

ومن أساليب التحريض: عبارات الثناء والتشجيع، وألقاب التشريف، كقوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ يوم أحد: (ارم فداك أبي وأمي)، وقال لحسان بن ثابت ﷺ: (اهجهم وجبريل معك)، ولقَّب حمزة ابن عبد المطلب ﷺ أَسَد الله، وأَسَد رسوله ﷺ، ولقَّب خالد ابن الوليد ﷺ بسيف الله.

١٠) أثر عقيدة المقاتل صِحَّة ورسوخا، **في شجاعته وثباته وصبره وغلبته** على عدوه، ولذا علّل الله ﷻ غلبة العدد القليل من المسلمين للعدد الكبير من الكافرين، بأن هؤلاء الكفار لا يفقهون حقيقة الحياة وتفسير الوجود، فهم في حيرة وضلال، أخوف شيء من الموت وأحرص شيء على العيش. بل إن أهل الإيمان يتفاوتون في ثباتهم وصبرهم وغلبتهم لعدوهم، ولذا كان الصحابة الأوائل ﷺ يفوق الواحد منهم بإيمانه وثباته جمعا من الصحابة ﷺ الذين أسلموا بعد الهجرة.

وهنا في هذه الآيات جعل الواحد منهم يفوق خمسة ممن بعدهم.

صفحة الموجز ١-١٥-١

ومما **يقوّي الإيمان:** تعلُّم وتدُّبر كلام الله ﷻ وكلام رسوله ﷺ، كما كان الصحابة ﷺ يتلقون ذلك عن رسول الله ﷺ بقلوب موقنة وآذان مُصغية، ثم العمل بذلك: **(وَالَّذِينَ اهْتَدَوْا زَادَهُمْ هُدىً وَآتَاهُمْ تَقْوَاهُمْ)** [محمد:١٧]. ومما **يُقوّي الإيمان** أيضا: التَّفكُّر في مخلوقات الله ﷻ، وفي آثار رحمته وآثار عقابه في الماضين والحاضرين.

وينبغي التَّنبه والحذر من **أسباب ضعف الإيمان،** ومن أخطرها: الغفلة، وطول الأمل، واتباع الهوى، والشهوات، وفضول الأمور، وصحبة السوء. وقد علَّل الله ﷻ هزيمة العدد الكثير من الكفار بفساد عقيدتهم: **(بِأَنَّهُمْ قَوْمٌ لا يَفْقَهُونَ)** [الأنفال:٦٥]. وقد حاول **إبليس** دون جدوى أن يُزِّين لهم دينهم وأعمالهم، ليشعرهم أنهم على منهج صحيح يستحق أن يضحوا ويصبروا في سبيله لعلمه – أعاذنا الله ﷻ منه– بأثر العقيدة في الثبات والانتصار، ولكنه يسلِّحهم بدروع من نسج العنكبوت، لا تصمد أمام سلاح الإيمان البتار.

١١) أمران **من أهم أسباب النصر،** وأسرار غلبة الجيوش الإسلامية طيلة التاريخ: **الصبر والتوكل** على الله ﷻ. فمهما كان التفوق في الإيمان فلابد من الصبر، ولذا نبَّه الله ﷻ عليه في الحالين– الحال المنسوخة، وحال ما بعد التخفيف – **فالصبر** يكون بالصبر على: مشقة وتكاليف الإعداد والتخطيط، والصبر على مشقة التنفيذ وآلام القتال البدنية والنفسية: **(وَاللَّهُ مَعَ الصَّابِرِينَ)** [الأنفال:٦٦]. ومع كل هذا الإعداد والبذل والتحمل، فلا يصح أن ينسى المقاتل أن النتيجة بيد الله ﷻ، وأن النصر بإذنه ﷻ فلا يطمئن إلا إلى قوة الله ﷻ ولا يثق إلا به، فتراه معلقا قلبه بربه ﷻ، ذاكرا لسانه له، سائلا إياه بتضرع: **(رَبَّنَا أَفْرِغْ عَلَيْنَا صَبْراً وَثَبِّتْ أَقْدَامَنَا وَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)** [البقرة:٢٥٠]، **(رَبَّنَا لا تُؤَاخِذْنَا إِنْ نَسِينَا أَوْ أَخْطَأْنَا رَبَّنَا وَلا تَحْمِلْ عَلَيْنَا إِصْراً كَمَا حَمَلْتَهُ عَلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِنَا رَبَّنَا وَلا تُحَمِّلْنَا مَا لا طَاقَةَ لَنَا بِهِ وَاعْفُ عَنَّا وَاغْفِرْ لَنَا وَارْحَمْنَا أَنْتَ مَوْلانَا فَانْصُرْنَا عَلَى الْقَوْمِ الْكَافِرِينَ)** [البقرة:٢٨٦].

١٢) كفاءة الجُنْد أهم الأسباب في تحقيق النصر بإذن الله ﷻ، ولذا ركَّزت الآيات– في حكم المواجهة وتحقيق الغلبة على العدو – على عدد المقاتلين وصبرهم وقوتهم، ولم تفرق الآيات بالنسبة للقيادة، فظاهرها أن القيادة في كلا الحالات المذكورة هي للنبي ﷺ.

صفحة الموجز ١-١٥-١

ولم يُنسب الضعف الطارئ في الجيش الإسلامي إلى التسليح أو الخطط، وإنما من جهة الجنود المقاتلين: (**الْآنَ خَفَّفَ اللَّهُ عَنْكُمْ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمْ ضَعْفاً**) [الأنفال:٦٦].

وكفاءة الجند تشمل؛ أولا: الكفاءة العددية، فلا تقِلّ عن النسبة المحددة في الآيات (مع مراعاة التناسب في السلاح والتجهيزات، كما هو حال الجيوش في زمن النبي ﷺ).

الأمر **الثاني**: الكفاءة النَّوعيَّة؛ كلياقة المقاتل بدنيا، وشجاعته، وذكائه، وصبره، وانضباطه، وروحه الإيمانية المرتفعة، وعلمه، وخبرته العسكرية.

وعلُو الكفاءة النوعية يعدل كثيرا النقص العددي؛ ولهذا انتصرت الجيوش الإسلامية، فقد كانت طلية التاريخ أقلّ عَددا وعُدة من عدوها.

١٣) يسر الشريعة الإسلامية وسماحتها ومراعاتها لأحوال الناس قوَّة وضعْفا، وهذا من رحمة الله ﷻ وعظيم فضله وإحسانه وعدله، قال تعالى: (**وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ**) [الحج:٧٨]، وقال تعالى: (**يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ**) [البقرة:١٨٥]، وقال ﷺ: (إن هذا الدين يسر).

ولذا قرر العلماء **قاعدة** من أكبر قواعد الفقه الإسلامي: (**المشقة تجلب التيسير**).

وتنْزيل الأحكام على الوضع المناسب تيسيرا أو تشديدا، هو العدل والحكمة والصواب، فلا نطلب من الإنسان حال السّعة ما نطلب منه في حال الضّيق، بل من الظلم أن ننّزل أحكام القوة على أحوال الضعف، فنطلب من المسلم أو الدولة الإسلامية أن تفعل أو تقاطع أو تتدخل أو تصرح بما لا طاقة لها به في ظروفها الضعيفة الحالية.

وعليه أيضا فإن **المنبغي من المسلم** أن يكون سمْحا في تعامله، مُراعيا لحال من يتعامل معه أو يتولَّى أمره، يقول الرسول ﷺ حين بعث معاذا رضي الله عنه وأبا موسى رضي الله عنه إلى اليمن دعاة معلِّمين: (يَسِّرا ولا تُعسِّرا، وبَشِّرا ولا تُنفِّرا)، وقال لأصحابه رضي الله عنهم في قصة الأعرابي الذي بال في مسجده: (دعوه، وأريقوا على بوله سجلا من ماء، فإنما بُعثتم ميسِّرين ولم تُبعثوا معسِّرين)، وقال ﷺ: (اللهم من وَلِيَ من أمر أمتي شيئا فشقَّ عليهم فاشقُقْ عليه، ومن وَلِيَ من أمر أمتي شيئا فرفق بهم، فارْفق به) [رواه مسلم]، وقال ﷺ: (ما كان الرِّفق في شيء إلا زانه، وما نزع من شيء إلا شانه)، وتقول أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: (ما خُيِّر رسول الله ﷺ بين أمرين، إلا اختار أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس عنه).

صفحة الموجز ١-١٥-١

١٤) وجود **النَّسخ في الأحكام الشرعية،** ومن ذلك نسخ القرآن بالقرآن مع بقاء تلاوة النَّص المنسوخ كما هنا حيث نسخ الله ﷻ وجوب ثبات المقاتل (الواحد) أمام (عشرة)، إلى وجوب ثبات (الواحد) أمام (اثنين) لا أكثر.

والمراد مع تكافئ السلاح والتجهيز، لا مع التفاوت والتباين الكبير؛ كالتفاوت بين حامل السيف وحامل البندقية.

والنسخ هنا **للأخف** مراعاة لتغيُّر حال الناس عن الحال أثناء النَّص المنْسوخ. ويقول الله ﷻ ردا على اليهود والمشركين في حادثة نسخ القبلة من المسجد الأقصى إلى المسجد الحرام: **(مَا نَنْسَخْ مِنْ آيَةٍ أَوْ نُنْسِهَا نَأْتِ بِخَيْرٍ مِنْهَا أَوْ مِثْلِهَا أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)** [البقرة:١٠٦]، ولأن السورة الواحدة قد لا تَنْزل في وقت واحد، بل مُنَجَّمة -أي مفرَّقة- على حسب الحوادث والمناسبات والأحوال، ثم تُجعل الآية أو الآيات المتأخرة من السورة في موضعها الذي يحدده الوحي على الرسول ﷺ؛ لأجل هذا فقد تجد الآية الناسخة جوار الآية المنسوخة - رغم اختلاف نزولهما -كما هنا.

صفحة الواجب ١-١٥-١

س١: ما مناسبة الآيات للتي قبلها؟.

س٢: ما معنى: جنحوا/ حسبك؟.

س٣: ما الحكم إذا جنح الكفار للصلح؟، وما الحكم إذا كانوا يُريدون الخداع في ذلك الصلح؟.

س٤: ما أهمية التآخي في الله ﷻ؟، بين ذلك بأمثلة من التأريخ الإسلامي.

س٥: الأساليب النبوية في التحفيز والتحريض ورفع المعنويات كثيرة، اذكر اثنين منها.

س٦: في المقطع آية تدل على يسر الشريعة ومراعاتها لأحوال الناس، فما هي؟.

س٧: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات.

صفحة الموجز ١-١٦-١

(١) الآيات: (٦٧-٧١)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على أحكام الأسرى والغنائم والفدية.

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يقرأ الطالب الآيات بطريقة صحيحة ليحفظها بعد ذلك.

١-٢ أن يتعرف الطالب على الأحكام المتعلقة بالأسرى.

١-٣ أن يتعرف الطالب على حكم فداء الأسرى.

١-٤ تعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات.

ج. موجز الدرس:

١ -المقدمة:

جاءت الآيات موضحة أحكام الأسير وما يقع عليه حال الأسير وكيف نتعامل معه، ثم عرجت الآيات على فضل الله ﷻ، حيث أحلَّ ﷻ للمسلمين الغنائم، ثم حثَّ ﷻ الأسرى على الدخول في دين الله ﷻ وحذرهم من الخيانة.

٢ -ملخص المواضيع:

أ - الآيات: (٦٧-٧١).

ب -مناسبة الآيات للتي قبلها.

ت -المعاني.

ث -الفوائد.

صفحة الموجز ١-١٦-١

الآيات: (٦٧.٧١)

﴿مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَن يَكُونَ لَهُۥٓ أَسۡرَىٰ حَتَّىٰ يُثۡخِنَ فِي ٱلۡأَرۡضِۚ تُرِيدُونَ عَرَضَ ٱلدُّنۡيَا وَٱللَّهُ يُرِيدُ ٱلۡأٓخِرَةَۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٞ ٦٧ لَّوۡلَا كِتَٰبٞ مِّنَ ٱللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمۡ فِيمَآ أَخَذۡتُمۡ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٦٨ فَكُلُواْ مِمَّا غَنِمۡتُمۡ حَلَٰلٗا طَيِّبٗاۚ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٦٩ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ قُل لِّمَن فِيٓ أَيۡدِيكُم مِّنَ ٱلۡأَسۡرَىٰٓ إِن يَعۡلَمِ ٱللَّهُ فِي قُلُوبِكُمۡ خَيۡرٗا يُؤۡتِكُمۡ خَيۡرٗا مِّمَّآ أُخِذَ مِنكُمۡ وَيَغۡفِرۡ لَكُمۡۚ وَٱللَّهُ غَفُورٞ رَّحِيمٞ ٧٠ وَإِن يُرِيدُواْ خِيَانَتَكَ فَقَدۡ خَانُواْ ٱللَّهَ مِن قَبۡلُ فَأَمۡكَنَ مِنۡهُمۡۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٞ ٧١﴾

أ) مناسبة الآيات للتي قبلها:

بعد أن أمر الله ﷻ المؤمنين بقتال الكفار، صابرين ومتوكلين على الله ﷻ، بيَّن هنا الحكم في من **يأسره** المسلمون منهم أثناء القتال. وفي آيات القتال السابقة تحريض للمسلمين على قتال الكفار وإرهابهم، فجاءت هذه الآيات **تعترض** على عدم قتلهم الأسرى. وفي آيات القتال تخفيف للمسلمين من حكم الثبات أمام العدو الأكثر منهم، فجاءت هذه الآيات بتخفيف آخر وهو **تحليل فداء الأسرى** لهم.

ب) المعانـي:

(**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ**): أي ما ينبغي لنبي إذا قاتل الكفار المحاربين له ولأتباعه الساعين لإطفاء نور الله ﷻ أن يتسرَّع إلى أسرهم واستبقائهم، بل الأليق أن يقتلهم، حتى يُكثر في الأرض من قتلهم ويغلظ في تنكيلهم، لتنكسر شوكتهم وتذهب قوتهم، ويتمكن حكم المسلمين في الأرض، حينئذ لا بأس من أخذ الأسرى واستبقائهم وإطلاقهم بمنٍ أو فِداء، كما قال تعالى: (**حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً**) [محمد:٤]، واستخدم للنهي النفي (**مَا كَانَ لِنَبِيٍّ**)؛ لأنه أبلغ في المنع. وفي هذا العتب رِفق ولُطف بالنبي ﷺ، فلم يقل الله ﷻ له: (ما كان لك)، بل عمَّمَ ولم يُباشره بالخطاب، كما عمَّمَ بعده فقال: (**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا**).

صفحة الموجز ١-١٦-١

(**تُرِيدُونَ عَرَضَ الدُّنْيَا وَاللَّهُ يُرِيدُ الْآخِرَةَ**): أي اخترْتم فداء الأسرى عن قتلهم طلبا للمال، وإنما المال متاع دنيوي عارض لا يدوم، والله ﷻ يُحب لكم ثواب الآخرة الأكبر ونعيمها الدائم، الذي تنالونه بقتلكم لأعدائه وإغاظتهم وقهرهم وإذلالهم وكسر شوكتهم. فما يريده الله ﷻ لكم خير مما تريدونه لأنفسكم: (**بَلْ تُؤْثِرُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا.وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى**) [الأعلى:١٦،١٧].

(**وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ**): أي غالب يُريد لدينه وأوليائه العزَّة والغلبة على أعدائهم، حكيم في أوامره وتوجيهاته لأوليائه، يضع الأمور في مواضعها المناسبة، فعليهم أن يأخذوا بها عن رضا ويقدمونها على مرادات أنفسهم.

(**لَوْلَا كِتَابٌ مِنْ اللَّهِ سَبَقَ لَمَسَّكُمْ فِيمَا أَخَذْتُمْ عَذَابٌ عَظِيمٌ**): أي لولا وعْد الله ﷻ السابق المكتوب عنده أن لا يعذبكم تكريما لرسول الله ﷺ ما دام بينكم، وتقديرا لجهادكم الكبير ببدر، لولا ذلك لعذبناكم عذابا شديدا بسبب ما أخذتم من فداء الأسرى مقابل إطلاقهم، قال تعالى: (**وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُعَذِّبَهُمْ وَأَنْتَ فِيهِمْ**) [الأنفال:٣٣]، وقال ﷺ: (إن الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم).

(**فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلَالًا طَيِّبًا**): أي أَمَا وقد أخذتم الفدية من الأسرى ببدر، فقد أباحها الله ﷻ لكم، فانتفعوا بها كغيرها من أموال الكفار التي ظفرتم بها في الحرب، مستحلِّين لها، مستطيبة لها نفوسكم دون حرج. فزاد كلمة: (**طَيِّبًا**) تأكيدا للحلِّية، لما اعترى نفوسهم من الحرج وبخاصة حين خوفهم الله ﷻ عذابه العظيم لولا عفوه عنهم.

(**وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ**): أي اجعلوا بينكم وبين عذاب الله ﷻ وقاية بفعل أوامره واجتناب نواهيه، والشِّدَّة على أعدائه، وطلب الحق في اجتهاداتكم، مستغفرين الله ﷻ لو وقع منكم معصية أو تقصير، فإن الله ﷻ عظيم المغفرة واسع الرحمة، كما تجلى ذلك في رفعه عنكم العذاب وإباحته لكم فداء الأسرى ببدر، فأمر بالجمع بين خشية عذاب الله ﷻ، وبين رجاء عفوه ورحمته.

صفحة الموجز ١-١٦-١

(يَاأَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنْ الْأَسْرَى إِنْ يَعْلَمْ اللَّهُ فِي قُلُوبِكُمْ خَيْرًا يُؤْتِكُمْ خَيْرًا مِمَّا أُخِذَ مِنْكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ): أي قلْ يا رسول الله ﷺ لأسرى بدر، ترغيبا لهم في الإسلام، وإجابة لمن ادَّعى الإسلام منهم طالبا الإعفاء من الفدية كالعباس: لا تأْسوا على ما أخذ منكم من الفداء، فإن الله ﷻ إن كان يعلم في قلوبكم إيمانا صادقا وإسلاما حقيقيا، فسيعطيكم ما هو أفضل مما أخذ منكم من المال، ويعفو عما سلَف من الكفر ومحاربة المسلمين.وفي هذا غاية التَّلطف في الردِّ على الأسير، وترغيبه في الإسلام.

(وَإِنْ يُرِيدُوا خِيَانَتَكَ فَقَدْ خَانُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ فَأَمْكَنَ مِنْهُمْ): أي وإن يُرِدْ هؤلاء الأسرى الذين أطلقت سراحهم العودة إلى محاربتك وإيذائك، فليتذكروا ما سبق من محاربتهم لله ﷻ في دينه ورسوله ﷺ وعباده المؤمنين، فأمكن الله ﷻ المسلمين منهم حتى أسروهم في بدر. فليحذروا خيانتك وليتوبوا إلى الله ﷻ توبة نصوحا.

وسمَّى (الكفر) بالله ﷻ والصَّد عن سبيله ومعصيته خيانة لله ﷻ؛ لأن ذلك تمرُّد على العبودية التي خلق الله ﷻ الإنسان لأجلها، وتمرُّد على النِّظام الذي حدده الله ﷻ للإنسان، ولذا قال الله تعالى: **(لا تَخُونُوا اللهَ والرَّسُولَ)** [الأنفال:٢٧].

وسمَّى الله ﷻ (الدِّين) أمانة: **(إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ عَلَى السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ)** [الأحزاب:٧٢]

ج) الفوائـد:

١) صِدْق رسالته ﷺ وأن القرآن ليس من كلامه، ولذلك يُصرِّح القرآن الكريم بمعارضته ﷺ في بعض المواقف، كما عاتبه هنا على الأسْر قبل الإثْخان بالقتل، وكما في قصة الأعمى عبد الله ابن أم مكتوم ﷺ المذكورة في قوله تعالى: **(عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى ۞ وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّهُ يَزَّكَّى ۞ أَوْ يَذَّكَّرُ فَتَنْفَعَهُ الذِّكْرَى)** [عبس:١-٤]، وقوله تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ لِمَ تُحَرِّمُ مَا أَحَلَّ اللَّهُ لَكَ تَبْتَغِي مَرْضَاتَ أَزْوَاجِكَ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ)** [التحريم:١]. وكما في قصة تزويج الله ﷻ له زينب بنت جحش ﷺ قبل أن يطلقها زوجها زيد بن حارثة ﷺ: **(وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى النَّاسَ وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ فَلَمَّا**

صفحة الموجز ١-١٦-١

قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَراً زَوَّجْنَاكَهَا لِكَيْ لا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَراً وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ مَفْعُولاً) [الأحزاب:٣٧].

٢) توقير الرسول ﷺ وأن تُعرف له مكانته العظيمة ؛ ولذا نرى في هذه الآيات الرِّفْق من الله ﷻ في معاتبته ﷺ، وعدم مخاطبته مباشرة بالخطأ، أو بالتهديد، وبحسن مناداته بوصف النبوة الشريف، ورحمة الله ﷻ الأُمَّة ومنع العذاب عنهم ما دام نبيه ﷺ موجودا فيهم، وبتخصيصه بمباحات لم تُعْط للأنبياء قبله، وبإعلان الدفاع عنه، وأن من خانه فقد خان الله ﷻ وسيُسلِّط الله ﷻ عليه كما حدث من قبل.ونذكر من أمثال التَّلطف في معاتبة الله ﷻ له ﷺ، أن الله ﷻ وَرَّى عند معاتبته ولم يباشره بالخطاب، فقال تعالى: (**عَبَسَ وَتَوَلَّى ۞ أَنْ جَاءَهُ الْأَعْمَى**) [عبس:١،٢]، ولم يقل: عبست وتوليت، وكأن المراد غيره، وأعلن له المغفرة قبل المعاتبة، فقال تعالى: (**عَفَا اللَّهُ عَنْكَ لِمَ أَذِنْتَ لَهُمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَتَعْلَمَ الْكَاذِبِينَ**) [التوبة:٤٣].

٣) الرسول ﷺ يجتهد في أمور الدِّين، وهو معصوم في اجتهاده؛ لأن الله ﷻ يبين له وجه الصواب لو خالفه، ولا يتركه، كما حصل هنا، فقد رأى في فداء الأسرى سدَّ حاجة أصحابه ﷺ وفقرهم الشديد، ورأى فيه أيضا تأليفا لقريش على الإسلام، وفرصة للأسرى للهداية واعتناق الإسلام بعد أن اتَّضح لهم الحق، فكان يميل إلى رأي أبي بكر ﷺ في فداء الأسرى، حتى نزل القرآن يُعارض ذلك الاجتهاد ويُبِّين الصواب في حقهم، ثم يُمضي للرسول ﷺ وأصحابه ﷺ اجتهادهم بأخذ الفداء.

ومن أمثلة اجتهاده ﷺ: قوله في حجة الوداع وكان قارنا: (لو استقبلت من أمري ما استدبرت، لما سُقت الهدْي، ولجعلتها عمرة)، يريد أن يكون مُتمتِّعا بالعمرة فيحلَّ منها إلى أن يُحرم بالحج في يوم التَّروية. ولا **يعارض** القول باجتهاده ﷺ أن الله ﷻ قال: (**وَمَا يَنْطِقُ عَنِ الْهَوَى ۞ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْيٌ يُوحَى**) [النجم:٣،٤]، فإن اجتهاده ﷺ ليس مبنيا على هو النفس وما تشتهيه، بل هو مبني على قواعد الشرع ومقاصده، وهكذا كل مجتهد فإنه لا يجوز له أن يحْكم بالهوى وإنما يجتهد بناءا على النص. ويتميز النبي ﷺ عن سائر المجتهدين، بأن الله ﷻ لا يتركه حتى يبين له الصواب لو خالفه باجتهاده.

صفحة الموجز ١-١٦-١

٤) مشروعية الاجتهاد في أمور الدِّين، واشتراك الجماعة في ذلك، فقد اجتهد الصحابة ﷺ في حكم أسرى بدر في حضرة النبي ﷺ بإذنه، وقد حكم سعد بن معاذ ﷺ في بني قريظة بإذن النبي ﷺ، وصلَّى عمرو بن العاص ﷺ بأصحابه ﷺ في الغزو بالتيمم وكان جُنُبا، فلم يغتسل خشية من مضرَّة البرْد الشديد، مستدلا بقول الله تعالى: (**وَلا تَقْتُلُوا أَنْفُسَكُمْ إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيماً**) [النساء:٢٩]، فأقرَّه النبي ﷺ، وحين استعجل النبي ﷺ أصحابه ﷺ لحصار بني قريظة قائلا- يوم انصرف من الأحزاب-: (لا يُصلِّينَّ أحد العصر إلا في بني قريظة)، فتخوَّف بعضهم من فوات الوقت فصلُّوا في الطريق، وأخرَّها بعضهم حتى صلاها هناك، فما عنَّف الرسول ﷺ أحداً من الفريقين.

٥) ربانيَّة الإسلام، أي: كُلُّه من الله رب العالمين ﷻ، فلا يُعطي حقا لأحد في التشريع: (**إِنِ الْحُكْمُ إِلَّا لِلَّهِ**) [الأنعام:٥٧]، وإنما رسول الله ﷺ مُبلِّغ عن الله ﷻ، واجتهاده مردود إلى الله ﷻ، يُقِرُّه أو ينقضه. وكذلك فإن دور **العالم** في الإسلام هو استنباط الحكم من الكتاب والسنة وتنزيل الحوادث على ما جاء به رسول الله ﷺ، كما قال تعالى: (**فَإِنْ تَنَازَعْتُمْ فِي شَيْءٍ فَرُدُّوهُ إِلَى اللَّهِ وَالرَّسُولِ**) [النساء:٥٩].
وعلى هذا: (فلا اجتهاد مع النَّص)، (ولا طاعة في معصية الله ﷻ)، (وكل عبادة محدثة فهي مردودة)، كما قال ﷺ: (من عمل عملا ليس عليه أمرنا فهو رد) [رواه مسلم]، وقال: (شر الأمور مُحدثاتها، وكل بدعة ضلالة) [رواه مسلم].

٦) عدم الغلو في حقِّه ﷺ ووصفه بصفات الرُّبوبيَّة، أو إعطائه شيئا من حقوق الألوهيَّة؛ كالدعاء ونحوه، لأنه بشر يعتريه ما يعتريهم من السهو والخطأ، كما قال ﷺ حين سها في الصلاة: (إنما أنا بشر أنسى كما تنسون، فإذا نسيت فذكِّروني)، وقال ﷺ: (إنكم تختصمون إليَّ، ولعل بعضكم ألْحَن بحجته من بعض، وإنما أقْضي على نحو ما أسمع، فمن قضيت له بحق أخيه، فإنما أقطع له قطعة من النار فليأخذ أو ليدع).
وهذا **لا يعارض عصمته** ﷺ في أمر الرسالة، فإن الله ﷻ يُبيِّن له الحقّ لو خالفه، وإنما الخطأ هنا هو من قبيل فصل الخصومات، أو السهو في الصلاة، أو الخطأ في تدبير المعاش، أو الحروب، كما حَدَث من رأيه ﷺ للصحابة ﷺ بترك تأبير النَّخل، أو رأيه ﷺ لهم بمصالحة غطفان أيام الأحزاب على شطر نخل المدينة.

صفحة الموجز ١-١٦-١

٧) لا عِصْمة لأحد إلا الرسل عليهم السلام، فإن كان الرسول ﷺ يُبين الله ﷻ له الحق لو أخطأ، فإن اجتهاد غيره محتمل الخطأ، ولا سبيل لمعرفة ذلك بالوحي. وهؤلاء أصحاب رسول الله ﷺ أبرَّ الناس وأتقاهم يعاتبهم الله ﷻ على أخذ الفداء أشد عتاب. والمقصود من هذا ألا تُعْطى **قُدْسِيَّة لعالم** مهما كان، أو يعطى لكلامه عِصْمة، بحيث يُعامل كأنه نص شرعي، بل قد يقدَّم على النص الشرعي-والعياذ بالله -، يقول ابن عباس رضي الله عنه: (يوشك أن تنزل عليكم حجارة من السماء، أقول قال رسول الله ﷺ وتقولون: قال أبو بكر وعمر)، ويقول الإمام مالك- رحمه الله-:(كلٌّ يُؤخذ من قوله ويُترك، إلا رسول الله ﷺ).

٨) تنظيم الإسلام **لأحكام القتال والأسر والغنيمة،** ومن ذلك وجوب قتل الأسرى وعدم استبقائهم، إلى أن تنكسر شوكة العدو، وهذا ما عاتب الله ﷻ عليه نبيه ﷺ في معركة بدر فقال: **(مَا كَانَ لِنَبِيٍّ أَنْ يَكُونَ لَهُ أَسْرَى حَتَّى يُثْخِنَ فِي الْأَرْضِ)**، أما بعد الإثْخان فيشرع الأسر ويجوز أخذ الفداء من الأسير مقابل إطلاقه، كما دلَّت عليه آية الأنفال، وقوله تعالى: **(فَإِذَا لَقِيتُمُ الَّذِينَ كَفَرُوا فَضَرْبَ الرِّقَابِ حَتَّى إِذَا أَثْخَنْتُمُوهُمْ فَشُدُّوا الْوَثَاقَ فَإِمَّا مَنّاً بَعْدُ وَإِمَّا فِدَاءً حَتَّى تَضَعَ الْحَرْبُ أَوْزَارَهَا)** [محمد:٤]، وهذه (الفِدْية) تأخذ حكم (الغنيمة) في القِسْمة وغيرها. وما وجِد مع الأسير من مال في الحرب فلا يحسب من فِدْيته، كما فعل الرسول ﷺ مع العباس. ويُراعى في أخذ الفدية غِنَى الأسير وحاجته، يُقدِّرها ولي الأمر وقد يحمَّل الأسير الغني فدية غيره ممن لهم به صلة أو خرجوا لأجله، كما حمَّل الرسول ﷺ العباس فديته وفدية ابني أخويه وحليفه.

٩) إرهاب العدو وكسْر شوكته هدف شرعي مطلوب؛ ولذا عاتب الله ﷻ نبيه ﷺ على الأسر قبل الإثخان في الأرض، بل خوَّف الصحابة رضي الله عنهم من العذاب العظيم لأخذ الفدية وعدم قتل الأسرى، وقد قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)** [التوبة:٧٣]، وقال تعالى: **(مُحَمَّدٌ رَسُولُ اللَّهِ وَالَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُمْ)**، إلى قوله: **(لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ)** [الفتح:٢٩]، وقال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكُمْ عَنْ دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَلا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لائِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَنْ يَشَاءُ وَاللَّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ)** [المائدة:٥٤]، وقد سبق في آية الإعداد قوله تعالى: **(وَأَعِدُّوا لَهُمْ مَا اسْتَطَعْتُمْ مِنْ قُوَّةٍ وَمِنْ رِبَاطِ الْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِ عَدُوَّ اللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ)**.

صفحة الموجز ١-١٦-١

١٠) الترجيح بين المصالح، وتقديم المصلحة الأهم والأعم، فالمصلحة في قتل أئمة الكفر وصناديد العدو وكسر شوكتهم أهم وأعم نفعا من أخذ المال منهم، وحاجة المسلمين إلى المال أهون من خطر العدو عليهم؛ ولهذا عاتب الله ﷻ المؤمنين على عدم قتل الأسرى وإطلاقهم بالفدية، ولذلك فوَّت الله ﷻ على المسلمين قافلة أبي سفيان، وحقّق لهم ملاقاة الجيش، لأن هزيمة الجيش أبلغ في إعلاء كلمة الله ﷻ وإظهار هيبة المسلمين، كما قال تعالى: **(وَإِذْ يَعِدُكُمُ اللَّهُ إِحْدَى الطَّائِفَتَيْنِ أَنَّهَا لَكُمْ وَتَوَدُّونَ أَنَّ غَيْرَ ذَاتِ الشَّوْكَةِ تَكُونُ لَكُمْ وَيُرِيدُ اللَّهُ أَنْ يُحِقَّ الْحَقَّ بِكَلِمَاتِهِ وَيَقْطَعَ دَابِرَ الْكَافِرِينَ)** [الأنفال:٧]. **فعلى** (المجتهدين) وعلى (ولاة الأمْر) وكل (مسؤول) وكل (مسلم)، أن يُراعي في اجتهاده واختياره وفي تنظيم أعماله الأهم فالأهم، وأن يحدد الأولويات في حياته وأعماله وأن يقدمها على غيرها. **ومراعاة الإسلام** للمصالح وترجيح بعضها على بعض أمر ظاهر – لأنه شرع الحكيم ﷻ –، فمن ذلك أن الله ﷻ حين حرَّم الخمْر والقِمار في بداية الأمر، اكتفى في بيان حرمتهما بتنبيه المؤمنين إلى أن مضرتهما راجحة ومنفعتهما مرجوحة: **(يَسْأَلونَكَ عَنِ الْخَمْرِ وَالْمَيْسِرِ قُلْ فِيهِمَا إِثْمٌ كَبِيرٌ وَمَنَافِعُ لِلنَّاسِ وَإِثْمُهُمَا أَكْبَرُ مِنْ نَفْعِهِمَا)** [البقرة:٢١٩]، وقال تعالى في القِصاص: **(وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ يَا أُولِي الْأَلْبَابِ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ)** [البقرة:١٧٩]، أي حياة للجماعة، وتلك مصلحة أهم من الإبقاء على حياة القاتل.

١١) تقديم ثواب الآخرة على شهوات الدنيا، وأن يقصد المسلم بعبادته رضى ﷻ وثوابه؛ ولذا عاتب الله ﷻ المسلمين في بدر على طلب الدُّنيا بأخذهم الفدية من الأسرى، وكان الأولى قتل الأسرى حتى يتحقق الإثخان في قتل العدو. وقد يغلِّظ القرآن الكريم في إرادة الدنيا – والمقصود من لا هم له في طلب ثواب الآخرة بأي وجه من الوجوه – كقوله تعالى: **(مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا نُوَفِّ إِلَيْهِمْ أَعْمَالَهُمْ فِيهَا وَهُمْ فِيهَا لا يُبْخَسُونَ ۞ أُولَئِكَ الَّذِينَ لَيْسَ لَهُمْ فِي الْآخِرَةِ إِلَّا النَّارُ وَحَبِطَ مَا صَنَعُوا فِيهَا وَبَاطِلٌ مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ)** [هود: ١٥-١٦]، وسمى الرسول ﷺ من كان أكبر همَّه الدُّنيا فلأجلها يرضى ويسخط ويحب ويبغض عبْدا لها، فقال ﷺ: (تعَس عبد الدِّينار وعبد الدرهم وعبد الخَميصة، إن أُعطي رضي، وإن لم يُعط سخط) [رواه البخاري]. أما إذا كان النَّفع الدنيوي المباح ثمرة للعمل الصالح فلا بأس كمن يقاتل لنصرة دين الله ﷻ ونيل المغْنم، وكمن يعلِّم القرآن ويؤم المسلمين ويأخذ الرَّاتب، وكمن يحج ويتاجر، قال ﷻ في الحج: **(لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَبْتَغُوا فَضْلاً مِنْ رَبِّكُمْ)**

صفحة الموجز ١-١٦-١

[البقرة:١٩٨]، ثم عقَّب آيات الحج بقوله تعالى: **(فَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا وَمَا لَهُ فِي الْآخِرَةِ مِنْ خَلاقٍ ۞ وَمِنْهُمْ مَنْ يَقُولُ رَبَّنَا آتِنَا فِي الدُّنْيَا حَسَنَةً وَفِي الْآخِرَةِ حَسَنَةً وَقِنَا عَذَابَ النَّارِ)** [البقرة:٢٠٠-٢٠١]، ففرَّقَت هذه الآية بين صنفين من الناس في إرادة الدنيا. **وأفضل** العباد وأكملهم إخلاصا، من كانت مقاصده الأصلية والتَّبعيَّة كلها لله ﷻ وفي سبيله.

١٢) عظمة **كرم الله ﷻ وسعة رحمته**، ولذا أحب لعباده ثواب الآخرة على متاع الدنيا: **(وَالْآخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى)** [الأعلى:١٧]، ومن رحمته عفوه عنهم في استبقاء الأسرى، وإباحته لهم ما أخذوه من الغنائم **(فَكُلُوا مِمَّا غَنِمْتُمْ حَلالاً طَيِّباً)** [الأنفال:٦٩].

١٣) الحذر من الله ﷻ، فلا يأمن العبد مهما كان صلاحه من عذاب الله ﷻ إذا عصاه، بل عليه الحذر من المعاصي وعدم التهاون بها ولا يغتر بأعماله الصالحة، فهؤلاء أصحاب النبي ﷺ خِيرة الصالحين والمجاهدين الصابرين على الأذى في سبيل الله ﷻ، فرغم هذا يخوِّفهم الله ﷻ عذابه العظيم حين استبقوا الأسرى وأخذوا منهم الفدية مقابل إطلاقهم، لولا أن الله ﷻ عفا عنهم.روى [مسلم] عن ابن عباس رضي الله عنه خبر معركة بدر فقال: (فلما أسروا الأسارى، قال رسول الله ﷺ لأبي بكر رضي الله عنه وعمر رضي الله عنه: ما ترون في هؤلاء الأسارى؟، فقال أبو بكر رضي الله عنه: يا نبي الله هم بنو العم والعشيرة، أرى أن تأخذ منهم فدية فتكون لنا قوة على الكفار، فعسى الله ﷻ أن يهديهم للإسلام، فقال رسول الله ﷺ: ما ترى يا ابن الخطاب؟، قال قلت: لا والله يا رسول الله ما أرى الذي رأى أبو بكر، ولكن أرى أن تمكنّا فنضرب رقابهم، فتمكَّن عليا من عقيل فيضرب عنقه، وتمكني من فلان – نسيبا لعمر – فأضرب عنقه، فإن هؤلاء أئمة الكفر وصناديدها. فهَوَى رسول الله ﷺ ما قال أبو بكر رضي الله عنه ولم يهو ما قلت، فلما كان من الغد جئت، فإذا رسول الله ﷺ وأبو بكر رضي الله عنه قاعدين وهما يبكيان، قلت: يا رسول الله أخبرني عن أي شيء تبكي أنت وصاحبك، فإن وجدت بكاءً بكيت، وإن لم أجد تباكيت لبكائكما، قال رسول الله ﷺ: أبكي للذي عَرض علي أصحابك من أخذهم الفداء، لقد عُرض علي عذابهم أدنى من هذه الشجرة، شجرة قريبة من نبي الله ﷺ).

صفحة الموجز ١-١٦-١

١٤) أهمية استقرار الأحكام **وبخاصة ما يتعلق منها** بالمعاملات، وأن لا تُنقض الاجتهادات والأقضية – وبخاصة إذا ترتب على ذلك إساءة سمعة المسلمين واتهامهم بخلف الوعد – ولذا لم يُنقض الله ﷻ على المسلمين قرارهم بإطلاق الأسرى مقابل الفدية. وقد قرر العلماء **قاعدة فقهية** كبيرة هي: (أن الاجتهاد لا يُنقض بالاجتهاد)، يقول الإمام الرازي – رحمه الله –: (إذا حكم المجتهد باجتهاده فليس له أن يُنقضه إذا تغير اجتهاده وترجح له ما يخالف الاجتهاد الأول، لأن ذلك يؤدي إلى عدم استقرار الأحكام الشرعية، وهكذا ليس له أن يَنقض باجتهاده ما حكم به حاكم آخر، وهكذا ليس له أن يِنقض باجتهاده ما حكم به حاكم آخر باجتهاده؛ لأنه ذلك ويتسلسل، وتفوت مصلحة نصب الحكام وهي فصل الخصومات، ما لم يكن ما حكم به الحاكم الأول مخالف لدليل قطعي، فإن كان مخالفا للدليل القاطع نقضه اتفاقا). وللإمام السيوطي– رحمه الله – في كتابه الأشباه والنظائر: (**القاعدة الأولى**: الاجتهاد لا ينقض بالاجتهاد، الأصل في ذلك إجماع الصحابة ﷺ، وأن أبا بكر ﷺ حكم في مسائل خالفه فيها عمر ﷺ ولم ينقض حكمه، وحكم عمر ﷺ في المشتركة بعدم المشاركة ثم بالمشاركة (زوج وأم وأخوة لأم وإخوة أشقاء)، وقال: ذاك على ما قضينا وهذا على ما نقضي، ومن **فروع** ذلك: لو تغير اجتهاده في القبلة عمل بالثاني ولا قضاء) أ هـ.

١٥) مشاورة القائد لجنوده، واتخاذ **مستشارين** له، والرجوع إليهم، واختيار أفضل الآراء، وعلى المستشارين النصح لله ﷻ ولدينه وللقيادة، جاعلين ضابطهم الحق لا ما يهوون أو تهوى قيادتهم. وهذا واضح في مشاورة النبي ﷺ لأبي بكر ﷺ وعمر ﷺ في شأن أسرى بدر، وما أشارا به. وقد تكون الشورى لمعرفة قناعة الجيش أو طائفة معينة منه؛ كاستشارة النبي ﷺ أصحابه ﷺ في قتال بدر. ومن **استشاراته** ﷺ؛ استشارته أصحابه في الخروج (لأُحد)، وقد أخذ هنا برأي الأكثرية وترك رأيه في القتال من داخل المدينة، يقول أبو هريرة ﷺ: (ما رأيت أحدا قط كان أكثرة مشاورة لأصحابه من رسول الله ﷺ) [رواه أحمد]. وفي هذا **الأسلوب** غاية في التأليف بين القيادة والمنسوبين، وتحقيق التفاعل والحماس لدى منفذي القرار لشعورهم بدورهم في صدوره واختياره، يقول الله تعالى: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ وَشَاوِرْهُمْ فِي الْأَمْرِ**) [آل عمران:١٥٩].

صفحة الموجز ١-١٦-١

والشورى في حياة المسلم عامة، هي من الحكمة والإخاء وأسباب الاجتماع والنجاح في الحياة، وبذلك مدح الله ﷻ عباده المؤمنين فقال: (**وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَى بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ**) [الشورى:٣٨].

١٦) العفو عن الصالحين والدعاة إلى الله ﷻ والنظر إلى ماضيهم الطيب وسوابقهم الصالحة، أمْرٌ يُحبُّه الله ﷻ، كما فعله مع المؤمنين ببدر، فرفع العقوبة عن أخذهم الفداء مقابل إطلاق الأسرى ببدر، وأمضى لهم ما أخذوا حلالا طيبا، وهذا حاطب بن أبي بلتعة ﷺ وهو من المجاهدين البدريين، وقد أرسل بكتاب يخبر قريشا بمسير الرسول ﷺ إليهم حين الفتح، فنزل الوحي على رسول الله ﷺ يُخبره، فطلب الكتاب، وحقق مع حاطب، فاعتذر بأن ليس له عشيرة بمكة تحمي أهله عندهم، فأراد أن يجعل له عند قريش معروفاً، فحينئذٍ عفا عنه الرسول ﷺ وقال: (لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غفرت لكم). وبهذا **الخُلُق** الكريم يجتمع الصف لإقامة الدين ونشر الخير، وبدونه ينفض الناس من حول قيادتهم، كما قال تعالى: (**فَبِمَا رَحْمَةٍ مِنَ اللَّهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَلِيظَ الْقَلْبِ لَانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ فَاعْفُ عَنْهُمْ وَاسْتَغْفِرْ لَهُمْ**) [آل عمران:١٥٩].

١٧) من **أخلاق العسكرية الإسلامية الإحسان إلى الأسير** ومواساته وحسن الرَّدِّ عليه؛ ولذا وجَّه الله ﷻ نبيه ﷺ إلى أن يُجيب الأسرى الذين طلبوا الإعفاء من الفداء، بأن الله ﷻ سيخلف عليهم ما أخذ منهم ويغفر لهم، إن كانوا مضمرين الخير تائبين إلى الله ﷻ من الكفر ومحاربة الإسلام. فلا زجر لهم ولا سخرية ولا إيذاء، بل **مدح** الله ﷻ المحسنين إلى الأسير الذين يقدمونه على أنفسهم دون منٍّ عليه، فقال تعالى: (**وَيُطْعِمُونَ الطَّعَامَ عَلَى حُبِّهِ مِسْكِيناً وَيَتِيماً وَأَسِيراً ۞ إِنَّمَا نُطْعِمُكُمْ لِوَجْهِ اللَّهِ لا نُرِيدُ مِنْكُمْ جَزَاءً وَلا شُكُوراً**) [الإنسان:٨،٩]، وحين أوصى الرسول ﷺ بأسارى بدر خيرا قدَّمهم الصحابة ﷺ على أنفسهم، يقول أبو عزيز بن عمير أخو مصعب- وقد أسره ببدر بعض الأنصار-: (فكانوا إذا قدموا طعاما خصوني بالخبز وأكلوا التمر، لوصية رسول الله ﷺ إياهم بنا، ما يقع في يد رجل منهم كسرة إلا نفحني بها، فأستحيي فأردها على أحدهم، فيردها علي ما يمسها).

صفحة الموجز ١-١٦-١

١٨) الدعوة إلى الله ﷻ واستغلال الفرص والمناسبات والطرق الممكنة لهداية الناس إلى الله ﷻ، وبخاصة حال الأسْر، أو السَّجْن، أو المرض والحاجة، فقد يكون الإنسان أكثر استفاقة من غفلته، وأقرب لسماع الحق والرضوخ له؛ ولذا أمَر الله ﷻ نبيه ﷺ بدعوة هؤلاء الأسرى إلى الإسلام وترغيبهم فيه بأمرين؛ مغفرة الله ﷻ لهم ما سلف من ظلم وكفر وفساد، وأن يؤتيهم من خير الدنيا ونعيم الآخرة ما هو خير من الفداء الذي دفعوه لفكاكهم من الأسر. **وتأمَّل في قصة** يوسف عليه السلام في القرآن وهو يُقدِّم دعوة التوحيد للسجينين اللذين معه في السجن قبل أن يفسر لهما رؤياهما . وهذا رسول الله ﷺ يزور غلاما يهوديا كان يخدمه فيدعوه إلى الإسلام وأبوه حاضر، فنظر الغلام إلى أبيه كالمستشير، فقال: أطع أبا القاسم، فشهد الشهادتين، فمات في مرضه فقال ﷺ: (الحمد لله الذي أنقذه بي من النار). وفي هذا شعور هام **لنجاح الداعية،** ألا وهو أن يشعر أنه منقذ للآخرين أعظم من الطبيب، محسن لهم أعظم من الوالد، فكما لا يتردد الطبيب عن العملية الجراحية، والوالد عن التأديب بدافع أنها يريدان الخير للشخص، كذلك الداعي لا يتردد أن يُقدِّم الدعوة بهذا الشعور أو أشد، كما هو واضح في عبارات الأنبياء عليهم السلام وإلحاحهم على قومهم، وقصة الرجل الصالح الذي دعا قومه فقتلوه: **(قِيلَ ادْخُلِ الْجَنَّةَ قَالَ يَا لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ ۞ بِمَا غَفَرَ لِي رَبِّي وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ)** [يس:٢٦،٢٧]، إنها الرحمة في قلب المسلم الداعي إلى الله ﷻ يتمنى الهداية للناس.

١٩) الإسلام والتوبة والاستقامة سبب لصلاح الدنيا والآخرة؛ ولهذا بشَّر الله ﷻ أسرى بدر إن أسلموا بأن يعوضهم ما دفعوه من فداء. وكان أكثر الأسرى تحمُّلا العباس بن عبد المطلب وكان رجلا موسرا، وقد تحمَّل فداء بعض أقاربه معه، فلما جاء مال البحرين إلى رسول الله ﷺ وكان أكثر مال جاءه – وقد أسلم العباس رضي الله عنه حينذاك – أمر ﷺ أن يُجعل المال في المسجد وخرج إلى الصلاة لا يلتفت إليه، فلما قضى الصلاة، جلس يَفيض على الناس منه، فجاء العباس رضي الله عنه فقال: يا رسول الله أعطني فإني فاديت نفسي وفاديت عقيلا، فقال: خذ، فحثا في ثوبه حتى ما يستطيع أن ينهض، فقال: يا رسول الله ارفع عليَّ، فتبسم رضي الله عنه، وقال له: (لا)، فنثر منه، ثم احتمله على كاهله، وقال: (هذا خير مما أُخِذ مِنَّا، وما أدري ما يصنع الله في الأخرى) يعني المغفرة.

صفحة الموجز ١-١٦-١

٢٠) **الإسلام والتوبة يجبّان ما قبلهما**، وإن كان كفرا ومحاربة لله ﷻ ورسوله ﷺ والمؤمنين، كما بشَّر الله ﷻ الأسرى ببدر بالمغفرة إن أسلموا وتابوا، وقد سبق إعلان الله ﷻ في السورة: **(قُلْ لِلَّذِينَ كَفَرُوا إِنْ يَنْتَهُوا يُغْفَرْ لَهُمْ مَا قَدْ سَلَفَ)** [الأنفال:٣٨]، وأي نداء أجمل من ذلك النداء الرباني لمن بلغ الغاية في المعاصي أن يعود إلى الله الكريم الغفور: **(قُلْ يَا عِبَادِيَ الَّذِينَ أَسْرَفُوا عَلَى أَنْفُسِهِمْ لا تَقْنَطُوا مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعاً إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ)** [الزمر:٥٣].

٢١) **صلاح القلوب والنيات** سبب لكل خير ونعمة ظاهرة أو باطنة؛ ولذا فإن الله ﷻ لا يقتصر نظره إلى عمل العبد دون قلبه ونيته – ففي الحديث: (إن الله لا ينظر إلى صوركم وأجسادكم، ولكن ينظر إلى قلوبكم وأعمالكم) [رواه مسلم]، فيُرْزق الإنسان العلم وحتى الهداية إلى الإسلام بحسب ما في قلبه من الاستعداد لها بما جعل الله ﷻ في قلبه من قبول للخير – ولذا قال تعالى: **(إِنَّ شَرَّ الدَّوَابِّ عِنْدَ اللَّهِ الصُّمُّ الْبُكْمُ الَّذِينَ لا يَعْقِلُونَ ۞ وَلَوْ عَلِمَ اللَّهُ فِيهِمْ خَيْراً لَأَسْمَعَهُمْ وَلَوْ أَسْمَعَهُمْ لَتَوَلَّوْا وَهُمْ مُعْرِضُونَ)** [الأنفال:٢٢،٢٣].

٢٢) **لاُ يرَدُّ على الأسير ما أُخِذ منه من مال ولا يُعْفى من الفدية ولو أسلم**، إلا أن يَرى ولي الأمر ذلك. فقد دلت الآيات على عدم الرد، ولكن يواسون بالكلام ويرغَّبون في الإسلام، وكان العباس ﷺ أكثر الأسرى فداء فقال: يا رسول الله قد كنت مسلما ولكني استكرهت على الخروج، فقال ﷺ: (الله أعلم بإسلامك فإن يكن كما تقول فإن الله يجزيك، وأما ظاهرك فقد كان علينا، فافتد نفسك وابني أخيك نوفل بن الحارث وعقيل بن أبي طالب وحليفك عتبة بن عمرو)، قال العباس ﷺ: ذاك ما عندي، قال ﷺ: (فأين المال الذي دفنته أنت وأم الفضل، فقلت لها: إن أصبت في سفري هذا، فهذا المال لبني)، قال: والله يا رسول الله إني لأعلم أنك رسول الله، إن هذا لشيء ما علمه أحد غيري وغير أم الفضل، فاحسب لي يا رسول الله ما أصبتم مني عشرين أوقية من مال كان معي، فقال ﷺ: (لا، ذاك شيء أعطانا الله تعالى منك)، ففَدى نفسه وابني أخويه وحليفه، فأنزل الله ﷻ الآية: (**قُلْ لِمَنْ فِي أَيْدِيكُمْ مِنَ الْأَسْرَى...**) [الأنفال:٧٠]، قال العباس ﷺ: فأعطاني الله ﷻ مكان العشرين أوقية في الإسلام عشرين عبدا، كلهم في يده مال يضرب به، مع ما أرجو من مغفرة الله ﷻ، وقد جاء رجال من الأنصار إلى رسول الله ﷺ فقالوا: يا رسول الله ائذن لنا فلنترك لابن أختنا عباس فداءه، فقال ﷺ: (والله لا تذرون منه درهما) [رواه البخاري].

صفحة الواجب ١-١٦-١

س١: ما مناسبة الآيات للتي قبلها؟.

س٢: لماذا عاتب الله ﷻ نبيه ﷺ على أخذ الأسرى؟.

س٣: ما معنى: يثخن/ الوثاق؟.

س٤: هل يجوز للنبي أن يجتهد في أمور الدين؟، علل لما تقول.

س٥: فيمن نزل قوله تعالى: (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُل لِّمَن فِي أَيْدِيكُم مِّنَ الأَسْرَى...)؟.

س٦: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات.

صفحة الموجز ١-١٧-١

(١) الآيات: (٧٢-٧٥)

أ. مقدمة:

أُعدَّ هذا الدرس ليتعرف الطالب على أحكام الهجرة ونُصرة المستضعفين، وفضل الأنصار ومن آمن مع رسول الله ﷺ .

ب. الأهداف المؤهلة:

١-١ أن يقرأ الطالب الآيات بطريقة صحيحة ليتمكن حفظها بعد ذلك.

١-٢ أن يتعرف الطالب على أحكام نصرة المستضعفين.

١-٣ أن يعرف الطالب فضل الأنصار رضي الله عنهم.

٤.١ أن يعرف الطالب فضل الصحابة رضي الله عنهم.

١-٥ يتعرف الطالب على معاني الكلمات والفوائد المستوحاة من الآيات .

ج. موجز الدرس

١ -المقدمة:

تأتي هذه الآيات مبينة فضل الصحابة ﷺ الذين هاجروا ونصروا وجاهدوا، ثم جاءت مبينة بعض أحكام الهجرة، ثم انتقلت إلى أحكام نصرة المستضعفين، ومن ثم جاءت الآيات مادحة الأنصار رضي الله عنهم ورافعة من شأنهم، ثم جاءت الآية الأخيرة تمدح صحابة رسول الله ﷺ مبينة فضلهم فقد هاجروا وشاركوا في معركة بدر.

٢ -ملخص المواضيع:

أ - الآيات: (٧٢-٧٥).

ب -مناسبة الآيات للتي قبلها.

ت -المناسبة بين آخر السورة وأولها.

ث -المعاني.

ج -الفوائد.

صفحة الموجز ١-١٧-١

الآيات: (٧٢.٧٥)

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ بِأَمۡوَٰلِهِمۡ وَأَنفُسِهِمۡ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٖۚ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَلَمۡ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلَٰيَتِهِم مِّن شَيۡءٍ حَتَّىٰ يُهَاجِرُواْۚ وَإِنِ ٱسۡتَنصَرُوكُمۡ فِي ٱلدِّينِ فَعَلَيۡكُمُ ٱلنَّصۡرُ إِلَّا عَلَىٰ قَوۡمِۭ بَيۡنَكُمۡ وَبَيۡنَهُم مِّيثَٰقٞۗ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٧٢ وَٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلِيَآءُ بَعۡضٍۚ إِلَّا تَفۡعَلُوهُ تَكُن فِتۡنَةٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَفَسَادٞ كَبِيرٞ ٧٣ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ٧٤ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنۢ بَعۡدُ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ مَعَكُمۡ فَأُوْلَٰٓئِكَ مِنكُمۡۚ وَأُوْلُواْ ٱلۡأَرۡحَامِ بَعۡضُهُمۡ أَوۡلَىٰ بِبَعۡضٖ فِي كِتَٰبِ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمُۢ ٧٥﴾

أ) مناسبة الآيات لله قبلها:

بعد أن بين الله ﷻ لنبيه ﷺ وللمؤمنين موقف الحزم المطلوب مع العدو الكافر وأسراه، وحيث أن بينهم وبين كثير من المؤمنين من قرابة، فقد جاءت الآيات هنا تبين أن **الوَلايـة** مقصورة بين المؤمنين، دون الكفار. وتوجب على المؤمنين المقيمين بالبلد الكافر الهجرة عن مجتمعهم الكافر إلى بلاد الإسلام. وفي الآيات **ثناء عظيم** على المهاجرين والأنصار مواساة لهم، بعد ما سبق من العتب الشديد عليهم في فداء الأسرى.

صفحة الموجز ١-١٧-١

ب) المناسبة بين آخر السورة وأولها:

ختم الله ﷻ السورة بالثناء على المهاجرين والأنصار، لما بينهم من الموالاة، ووعدهم بجزيل الثواب، مواساة لهم بعد المعاتبة في أول السورة على ما وقع بينهم من خلاف في موضوع الأنفال.

وكأنَّ هذا الختام نموذج للمؤمنين الذين ذكر الله ﷻ صفاتهم في أول السورة: **(أُوْلَـئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقّاً)** [الأنفال:٤]. وفي **أول** السورة معالجة لفتنة (المال)، وفي **ختام** السورة معالجة لفتنة (القرابة) و(الوطنية)، بأن تكون الموالاة مبنية على الدِّين، وأن لا يُقدم المصلحة على رضا الله ﷻ رضا أحد وعلى ثوابه شيئا من الدنُّيا، كما هو فعل الصحابة ﷺ الذين هاجروا عن الأهل والوطن، وجاهدوا بالنفس والمال في سبيل الله ﷻ.

ج) المعانـي:

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ): أي أن الذين صدَّقوا بالله ﷻ واتبعوا رسوله ﷺ، متبعين ما جاء به، وانتقلوا راغبين من دار الكفر إلى دار الإسلام، ونصروا دين الله ﷻ بأموالهم وأنفسهم ابتغاء ثوابه، والذين أنزلوا هولاء المهاجرين في ديارهم وواسوهم بأمواله، ونصروهم على أعدائهم: أولئك من مهاجرين وأنصار، بعضهم لبعض إخوة متوادون متكافلون متناصرون، بعضهم أولى ببعض من كل أحد في المغنم والمغرم، (وهذا وصف للصحابة ﷺ من المهاجرين والأنصار، وكانوا يتوارثون بالإخاء الذي عقده الرسول ﷺ بينهم إرْثا مقدَّما على القرابة حتى نسخ الله ﷻ ذلك).

وسمى الدِّين: (سبيلا)؛ لأنه يُقرِّب إلى الله ﷻ ويوصل إلى مرضاته: **(وَأَنَّ هَذَا صِرَاطِي مُسْتَقِيماً فَاتَّبِعُوهُ وَلاَ تَتَّبِعُواْ السُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِ)** [الأنعام:١٥٣].

واستخدمت الآية **إشارة** البعيد: **(أُوْلَئِكَ)**، للدلالة على علو مرتبة المشار إليهم.

(وَالَّذِينَ آمَنُوا وَلَمْ يُهَاجِرُوا مَا لَكُمْ مِنْ وَلَايَتِهِمْ مِنْ شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا): أي وأما الذين آمنوا ولم يهاجروا من دار الكفر إليكم بدار الإسلام، رغم قدرتهم على الهجرة ووجوبها عليهم، فإنهم قد قطعوا ولايتهم ونصرتهم لكم تماما، فلستم مكلَّفين بحمايتهم ومناصرتهم وكفالتهم، وليس بينكم وبينهم توارث، حتى يهاجروا إليكم فيستحقون الموالاة التامة.

صفحة الموجز ١-١٧-١

والوَلاية بفتح الواو- عند الأكثرين- وبكسرها، بمعنى تَولِّي الشيء، أي: جعله وليّاً لك، كما في قوله تعالى: (**وَمَنْ يَتَوَلَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالَّذِينَ آمَنُوا فَإِنَّ حِزْبَ اللَّهِ هُمُ الْغَالِبُونَ**) [المائدة:٥].

(**وَإِنْ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلَّا عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُمْ مِيثَاقٌ**): أي لكن إذا طلب هؤلاء المؤمنين منكم المناصرة على الكفار المحاربين لهم في دينهم، فالواجب عليكم نصرتهم، إلا إذا استنصروكم على جماعة بينكم وبينهم عهد صُلح مُؤَكَّد لم ينقضوه، فلا تنصروهم، لئلا تنقضوا الميثاق.

(**وَالَّذِينَ كَفَرُوا بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاءُ بَعْضٍ إِلَّا تَفْعَلُوهُ تَكُنْ فِتْنَةٌ فِي الْأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِيرٌ**): أي اعلموا أيها المؤمنون أن الكفار بعضهم أنصار بعض عليكم، منحصرة ولايتهم وتوارثهم فيما بينهم، فإن لم تقوموا بالولاء والنصر لإخوانكم المؤمنين، والبراءة من الكافرين، فإن الحق سيلتبس بالباطل، ويتسلط الكفار على المسلمين، فتكون ردة وشرك في العالم ومعاصٍ ومظالم وعقوبات لا يعلم قدْرها إلا الله ﷻ.

(**وَالَّذِينَ آمَنُوا وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ وَالَّذِينَ آوَوا وَنَصَرُوا أُوْلَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيم**: أي إن الذين آمنوا وهاجروا وجاهدوا لإعلاء دين الله ﷻ، والذين أَنْزلوا هؤلاء المهاجرين عندهم ونصروهم على عدوهم، أولئك هم المؤمنون الإيمان الصَّادق التَّام، قد خصهم الله بمغفرة شاملة لذنوبهم، ورزق حسن واسع في جنت النعيم.

وخص **المهاجرين** بوصف (الإيمان) أولاً، لسبقهم فيه، ولذا مدح الجميع بتحقيق الإيمان.

(**وَالَّذِينَ آمَنُوا مِنْ بَعْدُ وَهَاجَرُوا وَجَاهَدُوا مَعَكُمْ فَأُوْلَئِكَ مِنْكُمْ**): أي الذين جاؤوا من بعد أولئك السابقين من المهاجرين، فآمنوا وهاجروا وجاهدوا معهم، فإنهم من حِزْبهم؛ لهم ما للمهاجرين السابقين من الحقوق والموالاة ومن المغفرة والأجر الكريم، وعليهم ما عليهم من الواجبات.

قيل: المراد بهم من أسلموا وهاجروا بعد صلح الحديبية وقبل فتح مكة؛ كخالد بن الوليد ﷺ، وعمرو ابن العاص ﷺ.

(**وَأُوْلُوا الْأَرْحَامِ بَعْضُهُمْ أَوْلَى بِبَعْضٍ فِي كِتَابِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**): أي وذوي القرابات بعضهم أولى ببعض من عامة المسلمين في الصِّلة والتوارث والكفالة من عامة المسلمين، في شرع الله ﷻ، مهما كان لغيرهم من الصحبة والمؤاخاة.

صفحة الموجز ١-١٧-١

إن الله ﷻ هو العليم بكل شؤون العباد، يشرع لهم ما ينفعهم، العليم بكل أعمالهم، ليجازيهم عليها.
وبهذه الآية **نسخ** الله ﷻ ما كان في أوَّل الإسلام من التَّوارث بالهجرة والحِلْف والمؤاخاة.

د) الفوائـد:

١) الإيمان وإصلاح القلب أوَّلاً، فلا تصح هجرة ولا جهاد ولا غيرهما إلا من مؤمن؛ ولذا بدأ الله ﷻ بالإيمان، وقال تعالى: **(فَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ)** [الأنبياء:٩٤]، وكلما قوِي إيمان العبد أثمر أعمالا صالحة، وقدَّم صاحبه التضحيات الكبيرة من الهجرة والجهاد والبذل؛ ولذا اعتبر الله ﷻ ما بذله المهاجرون والأنصار من التضحية بالديار والأموال والأنفس في سبيل الله ﷻ، دليلا على صدق إيمانهم، فقال ﷻ عنهم: **(أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا)** [الأنفال:٧٤].
ولأهمية **تقْوية الإيمان**، فإن **أكثر** آيات وسور القرآن الكريم إنما جاءت لتأسيس الإيمان وتقويته في القلب؛ كذكر عظمة الله ﷻ، وصفاته، وعجيب خلقه، وسِيَر عباده الصالحين، وعاقبة الكافرين، ووصف والجنة والنار.
وقليل من آيات القرآن الكريم جاءت لبيان الشرائع والأحكام العملية.
والإيمان نوع من الهجرة إلى الله ﷻ بالقلب، كما قال تعالى: **(فَفِرُّوا إِلَى اللَّهِ إِنِّي لَكُم مِّنْهُ نَذِيرٌ مُّبِينٌ)** [الذاريات:٥٠]، والإيمان والهجرة تقديم لما يحب الله ﷻ ويرضاه، على ما تُحب النفس وتهواه؛ من شهوة أو وطن أو غير ذلك، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (المهاجر من هجر السَّيئات).
وقد عنْونَ الإمام ابن القيم – رحمه الله – كتابه: طريق الهجرتين وباب السعادتين، يعني بذلك الهجرة إلى الله ﷻ بالعبادة والإخلاص، والهجرة إلى رسول الله ﷺ بالمحبة والإتباع.
وهما هجرتان مطلوبتان من المسلم في كل وقت، يقول رحمه الله:

يا قوم فرض الهجرتين بحاله — والله لم ينسخ إلى ذا الآن
فالهجرة الأولى إلى الرحمن — بالإخلاص في سِرٍّ وفي إعْلان
والهجرة الأخرى إلى المبعوث — بالإسلام والإيمان والإحسان
أتَرون هذي هجرة الأبدان — لا والله بل هي هجرة الأديان
يا هجرة والعبد فوق فراشه — سبق السعاة لمنزِل الرضوان

صفحة الموجز ١-١٧-١

٢) فضل الهجرة في سبيل الله ﷻ، حفظا للدِّين وأهله، ولهذا قدَّمها الله ﷻ على الجهاد بالمال والنفس، قال تعالى: (**الَّذِينَ آمَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَاهَدُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ بِأَمْوَالِهِمْ وَأَنفُسِهِمْ أَعْظَمُ دَرَجَةً عِندَ اللّهِ وَأُوْلَئِكَ هُمُ الْفَائِزُونَ ۞ يُبَشِّرُهُمْ رَبُّهُم بِرَحْمَةٍ مِّنْهُ وَرِضْوَانٍ وَجَنَّاتٍ لَّهُمْ فِيهَا نَعِيمٌ مُّقِيمٌ ۞ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا إِنَّ اللّهَ عِندَهُ أَجْرٌ عَظِيمٌ**) [التوبة:٢٠-٢٢]، لذلك كانت سُنَّة الله ﷻ في أنبيائه عليهم السلام أن يُطْردوا من أرضهم في سبيل الله ﷻ، قال تعالى: (**وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ**) [إبراهيم:١٣].

حتى إن وَرَقة بن نوفل – العالم بالنصرانية وابن عم خديجة رضي الله عنها– قال للرسول ﷺ: يا ليتني فيها جذعا حين يُخرجك قومك، فقال له الرسول ﷺ: (أوَ مُخْرِجيَّ هم؟)، قال: نعم، ما جاء أحد بمثل ما جئت به ألا أُخرج [رواه البخاري ومسلم].

ومن **أمثلة الهجرة؛** هجرة أبي الأنبياء **إبراهيم** عليه السلام من وطنه العراق إلى أرض الشام: (**وَقَالَ إِنِّي مُهَاجِرٌ إِلَى رَبِّي إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ**) [العنكبوت:٢٦]، وذلك بعد تهديد والده له بالرَّجْم وبعد إلقاء قومه له في النار، قال الله ﷻ عن والده: (**قَالَ أَرَاغِبٌ أَنتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ لَئِن لَّمْ تَنتَهِ لَأَرْجُمَنَّكَ وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا ۞ قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا ۞ وَأَعْتَزِلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو رَبِّي عَسَى أَلَّا أَكُونَ بِدُعَاء رَبِّي شَقِيًّا ۞ فَلَمَّا اعْتَزَلَهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ وَهَبْنَا لَهُ إِسْحَقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا جَعَلْنَا نَبِيًّا**) [مريم:٤٦-٤٩]، قال تعالى: (**قَالُوا ابْنُوا لَهُ بُنْيَانًا فَأَلْقُوهُ فِي الْجَحِيمِ ۞ فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا فَجَعَلْنَاهُمُ الْأَسْفَلِينَ ۞ وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي سَيَهْدِينِ**) [الصافات:٩٧-٩٩]. ولما اشتد اضطهاد فرعون لبني إسرائيل؛ يقتل أبناءهم ويستحيي نساءهم للخدمة، قام **موسى** عليه السلام بالخروج بهم من مصر إلى جهة فلسطين بأمر الله ﷻ له: (**فَأَسْرِ بِعِبَادِي لَيْلًا إِنَّكُم مُّتَّبَعُونَ**) [الدخان:٢٣].

ومن هجرة الصالحين هجرة **أصحاب الكهف** عن قومهم الكفار، لئلا يَرجموهم أو يُعيدوهم في ملتهم، قال تعالى: (**وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحمته وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا**) [الكهف:١٦].

صفحة الموجز ١-١٧-١

ومن **القَصَص العجيبة** للهجرة وأثر الموطِن الصَّالح في الاستقامة وفي رحمة الله ﷻ بالعبد: **قصة قاتل المائة نفْس** ظُلما، وكان يُريد التَّوبة، فنصحه الرجل العالم بالانتقال عن بلده السيئة إلى بلد بها قوم صالحون ليعبد الله ﷻ معهم، فمات في نصف الطريق، فاختصمت في قبضه ملائكة الرحمة وملائكة العذاب، ثم قاسوا إلى أي البلدين أقْرب، فكان أدْنى إلى البلد التي يريدها، فقبضته ملائكة الرحمة [متفق عليه].

٣) مشروعية الهجرة في حقِّ المسلم لإقامة دينه، أو لنصرة إخوانه المسلمين. وقد أمر الرسول ﷺ أصحابه ﷺ بالهجرة إلى الحبشة – ولم تكن دار إسلام – حين اشتدَّ عليهم أذى المشركين بمكة، فقال لهم: (إن بأرض الحبشة ملكا لا يُظلم أحد عنده، فالحقوا ببلاده، حتى يجعل الله لكم فرجا ومخرجا مما أنتم فيه)، وقد تم ذلك في السنة (الخامسة) للبعثة على دفعتين؛ (الأولى قرابة ١٥ مهاجرا، والثانية ١٠٠ مهاجرا).

وقد يكون **الدَّافع** إلى الهجرة شامل: الوقاية من الفتْنة في الدِّين، والمشاركة في بناء الدولة الإسلامية وحمايتها، كما هو هدف الهجرة إلى المدينة المنورة، إلى أن تم فتح مكة في السنة (الثامنة) من الهجرة، فأصبحت مكة دار إسلام أيضا، ولهذا قال رسول الله ﷺ: (لا هجرة بعد الفتح، ولكن جهاد ونية) [رواه الترمذي وأبو داود]، وعن مجاشع ﷺ قال: (أتيت النبي ﷺ أنا وأخي، فقلت: بايعْنا على الهجرة، فقال: مضت الهجرة لأهلها، فقلنا: علام تبايعنا؟، قال: على الإسلام والجهاد) [رواه البخاري ومسلم]. **فالمقصود** بذلك الهجرة من مكة بعد فتحها زمن الرسول ﷺ، وإلا فإن الهجرة باقية كلما وجد سببها، **وسببها** عدوان الكفار على المسلمين الذي لا ينقطع، قال رسول الله ﷺ: (لا تنقطع الهجرة ما دام العدو يُقاتل) [رواه أحمد]، وقال ﷺ: (لا تنقطع الهجرة ما قوتل الكفار) [رواه النسائي]، وعن معاوية ﷺ أن النبي ﷺ قال: (لا تنقطع الهجرة حتى تنقطع التَّوبة) [رواه أبو داود].

وهل يجوز **الاتفاق على وقف الهجرة** الواجبة بين دولة إسلامية وغيرها؟، أما الإيقاف للمصلحة إيقافا مؤقَّتا وفي حق الرجال فقط، فقد دلَّ على جوازه صلح الحديبية الذي من بنوده أن يرَّد المسلمون من جاءهم من قريش مسلما مهاجرا، دون أن تردَّ قريش من يلحق بها من المسلمين، وكانت مدة الصلح (عشر) سنوات، وقد نفَّذ الرسول ﷺ لهم ذلك، فلم يستثنِ عليه الوحي إلا المهاجرات من النساء المسلمات في سورة (الممتحنة)، أن لا يرجعن إلى الكفار.

صفحة الموجز ١-١٧-١

والهجرة المشروعة قد تكون من دار كفر أو بادية غير محكومة إلى دار إسلام كالهجرة النبوية، وقد تكون من دار كفر إلى دار كفر خير منها؛ كهجرة الصحابة ﷺ من مكة إلى الحبشة، وقد تكون من دار إسلام فاسقة إلى دار إسلام خير منها.

٤) تجب الهجرة على المسلم متى خشي على دِينه، كأن يُحمل على الرِّدَّة، أو يُوقَع في الفواحش، أو يُمنع من أداء الواجبات، أو كان المسلمون يحتاجون حاجة أساسية أن يُهاجر إليهم وهو قادر على ذلك، فالهجرة عليه واجبة ولهذا قال الله تعالى: **(وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُوا)** [الأنفال:٧٢]، وقال تعالى: **(إِنَّ الَّذِينَ تَوَفَّاهُمُ الْمَلآئِكَةُ ظَالِمِي أَنْفُسِهِمْ قَالُواْ فِيمَ كُنتُمْ قَالُواْ كُنَّا مُسْتَضْعَفِينَ فِي الأَرْضِ قَالْوَاْ أَلَمْ تَكُنْ أَرْضُ اللّهِ وَاسِعَةً فَتُهَاجِرُواْ فِيهَا فَأُوْلَـئِكَ مَأْوَاهُم جَهَنَّمُ وَسَاءتْ مَصِيرًا ۞ إِلاَّ الْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ لاَ يَسْتَطِيعُونَ حِيلَةً وَلاَ يَهْتَدُونَ سَبِيلاً)** [النساء:٩٧-٩٨].فما **استثنى** الله ﷻ إلا المستضعفين الحقيقيين الصادقين ، كما وصفهم الله تعالى: **(وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا)** [النساء: ٧٥]. فإن **مَنَع** من الهجرة مانع –كاتفاق دولي مثلا – فهو في حكم المستضعفين معذور، كحال أبي جنْدل ﷺ وأمثاله من الصحابة ﷺ الذين ردَّهم رسول الله ﷺ بموجب صلح الحديبية الذي بينه وبين قريش. فإن **لم يكن** هناك تسلُّط عليه في دينه، ولا حاجة للمسلمين موجبة لهجرته؛ **فإن كان** في إقامته بالبلد الكافر مصلحة شرعية كدعوة إلى الله ﷻ، أو حماية للمسلمين، أو إقامة للحكم الإسلامي، فإقامته مشروعة مطلوبة (ولعل تأخر بعض مهاجري الحبشة ﷺ، فلم يهاجروا منها إلى المدينة إلا في عام فتح خيبر؛ كجعفر بن أبي طالب ﷺ، كان لمصلحة شرعية)، **وإن لم تكن** هناك مصلحة شرعية من الإقامة وأمكنه أن يهاجر إلى بلد إسلامي، فينبغي الهجرة؛ لأن حُرِّية الدِّين لا تكتمل في المجتمع والنظام الكافر، وسيكون خاضعا لحكم غير الإسلام، وربما يتأثَّر أهله وأولاده بالمجتمع الكافر، وسيكون داعما لقوَّة الدولة الكافرة، محرومة أمته الإسلامية منه، فتُستحب له الهجرة ولا تجب، لحديث أبي هريرة ﷺ مرفوعا: (مَنْ آمَنَ بالله ورسوله، وأقام الصلاة، وصام رمضان، كان حقًّا على الله يُدخله الجنة، هاجر في سبيل الله أو جلس في أرضه التي وُلِد فيها) [رواه البخاري].

صفحة الموجز ١-١٧-١

ولحديث بريدة ﷺ أنه يكون كأعراب المسلمين [رواه مسلم]، وقد أقام يوسف عليه السلام ووالداه وإخوته في ظل حكومة (مصر)، ولم تكن آنذاك مسلمة، كما هو ظاهر آيات القرآن: **(وَلَقَدْ جَاءكُمْ يُوسُفُ مِن قَبْلُ بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا زِلْتُمْ فِي شَكٍّ مِّمَّا جَاءكُم بِهِ حَتَّى إِذَا هَلَكَ قُلْتُمْ لَن يَبْعَثَ اللَّهُ مِن بَعْدِهِ رَسُولًا كَذَلِكَ يُضِلُّ اللَّهُ مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ مُّرْتَابٌ)** [غافر:٣٥]، بل تولَّى بطلب منه أعمالا عُلْيا للملك، يقول شيخ الإسلام ابن تيمية – رحمه الله – في الفتاوى: (ولم يكن يوسف عليه السلام يُمكنه أن يفعل كل ما يريد، وهو يراه من دين الله ﷻ... لكن فعل الممكن من العدل والإحسان).

وإذا **تعارضت** المصالح والمفاسد في الهجرة والإقامة، فليرجِّح بينهما، ويعمل بمقتضى ذلك.

وقد **ابتُلِيَ** كثير من علماء الإسلام؛ كابن جبير وابن حنبل وابن تيمية – رحمهم الله –، بحكومات إسلامية ظالمة مؤذية لهم في دينهم، فصبروا، وأقاموا يدعون إلى الله ﷻ، وينكرون المنكر، ويصلحون ما استطاعوا.

وإذا **احتلَّ** الكفار بلاد المسلمين، فالواجب مدافعتهم وإخراجهم، وليس مغادرتها وتركها لهم، قال الله تعالى: **(أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لاَ يَشْكُرُونَ ۞ وَقَاتِلُواْ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَاعْلَمُواْ أَنَّ اللّهَ سَمِيعٌ عَلِيمٌ)** [البقرة: ٢٤٣-٢٤٤]، ويقول العز بن عبدالسلام– رحمه الله– في قواعد الأحكام: (لو استولى الكفار على إقليم عظيم، فَوَلُّوا القَضَاء لمن يقوم بمصالح المسلمين، فالذي يظهر إنفاذ ذلك جَلْبا للمصلحة العامة، ودَفْعا للمفاسد الشاملة).

٥) من **وجبت عليه الهجرة وأمكنه** أن يهاجر **فلم يهاجر؛ فإن كان** (راضيا) بدينهم، غير منكر له بقلبه– وهو أدنى درجات ألا إنكار–، فإنه كافر مثلهم، وعليه يُحمل قول الرسول ﷺ: (من جامع المشرك وسكن معه، فإنه مثله) [رواه أبوداود]، وقوله ﷺ: (أنا بريء من كل مسلم يُقيم بين أظْهر المشركين) [رواه الترمذي وأبوداود]، ولهذا حكَم الله ﷻ بالكفر لمجرَّد حضور مجلس الكفر دون استنكار، فقال: **(وَقَدْ نَزَّلَ عَلَيْكُمْ فِي الْكِتَابِ أَنْ إِذَا سَمِعْتُمْ آيَاتِ اللّهِ يُكَفَرُ بِهَا وَيُسْتَهْزَأُ بِهَا فَلاَ تَقْعُدُواْ مَعَهُمْ حَتَّى يَخُوضُواْ فِي حَدِيثٍ غَيْرِهِ إِنَّكُمْ إِذًا مِّثْلُهُمْ)** [النساء:١٤٠].

صفحة الموجز ١-١٧-١

فإن كان (كارها) لدينهم، لكنه أقام مختارا دون مانع له من الهجرة، فإنه عاصٍ بذلك وتسقط عنه حقوق الولاية الواجبة بين المؤمنين: **(وَالَّذِينَ آمَنُواْ وَلَمْ يُهَاجِرُواْ مَا لَكُم مِّن وَلاَيَتِهِم مِّن شَيْءٍ حَتَّى يُهَاجِرُواْ)** [الأنفال:٧٢]، فهؤلاء لا حقَّ لهم في بيت المال.

عن بريدة السلمي ﷺ: (كان رسول الله ﷺ إذا أمَّر أميرا على جيش أو سريَّة، أوصاه في خاصة نفسه بتقوى الله ﷻ، ومن معه من المسلمين خيرا، ثم قال: ... وإذا لقيت عدوك من المشركين، فادْعهم إلى ثلاث خصال، فأيتهن أجابوك فاقبل منهم وكفَّ عنهم، ثم ادْعهم إلى الإسلام، فإن أجابوك فاقْبل عنهم وكفَّ عنهم، ثم ادْعهم إلى التَّحول من دارهم إلى دار المهاجرين، وأخبرهم أنهم إن فعلوا ذلك، فلهم ما للمهاجرين وعليهم ما على المهاجرين، فإن أبوا أن يتحولوا منها، فأخبرهم أنهم يكونون كأعراب المسلمين يجْري عليهم حكم الله ﷻ الذي يجْري على المؤمنين، ولا يكون لهم في الغَنِيمة والفَيء شيء، إلا أن يجاهدوا مع المسلمين) [رواه مسلم].

أما **قطع التوارث** بينه وبين أقاربه في دار الإسلام، فنصَّ **كثير من العلماء** على أنه **منسوخ**، فيتوارثان بالقرابة الشرعية، ولو كان أحدهما في دار حرب والآخر في دار سَلام وإسْلام.

لكن **يستثنى** من حقِّ الوَلاية المحجوبة عنه؛ مناصرته إذا حُورِب لأجل دينه واحتاج إلى النَّصْر، بشرط ألا يكون المستنْصَر عليهم بينهم وبين المسلمين المناصِرين ميثاق مُسَالمة، لقوله تعالى: **(وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ)** [الأنفال:٧٢]، فلو كانت الحرب لخلافات مالية أو عِرْقية، فلا تجب النُّصْرة. وكذلك إذا كان هناك ميثاق مسالمة مع عدوهم؛ كحال الصحابة ﷺ المعذَّبين في دِينهم بمكة زمن صلح الحديبية، فإن الرسول ﷺ لم ينْتَصر لهم، بل ردَّهم إلى قريش بموجب شروط الصُّلْح، حتى ردَّ الرسول ﷺ أبا جندل بن سهيل بن عمرو ﷺ أثناء عقد الصلح، وهو يرسف في قيود التعذيب، وحين جاء أبو بصير ﷺ إلى المدينة فارًّا من قريش، وقد أرسلت قريش في طلبه رجلين، فسلَّمه الرسول ﷺ إليهما، وفي الطريق تمكَّن أبو بصير ﷺ من قتل أحدهما، وفرَّ الثاني إلى المدينة وتبعه أبو بصير ﷺ، فلما انتهى إلى النبي ﷺ قال له: قد أوْفَى الله ﷻ ذمَّتك، قد ردَدْتني إليهم، ثم نجَّاني الله ﷻ منهم، فقال له النبي ﷺ: (ويلَ أُمِّه، مُسَعِّرَ حَرْب، لو كان له أحد)، فلما سمِع ذلك عرَف أنه سيردُّه إليهم، فخرج إلى سيف البحر، ولحق به رجال من المسلمين المستضعفين بمكة يتعرضون لقوافل قريش، حتى إن قريشا سألت النبي ﷺ أن يضمَّهم إليه ليلزمهم الصلح.

صفحة الموجز ١-١٧-١

وإذا **دارت رَحَى حرب** بين المسلمين، وبين البلد الكافر الذي يُقيم فيه بعض المسلمين ممن وجبت عليهم الهجرة، فلم يهاجروا رغم تمكنهم، فوقع عليهم قتل من المسلمين من غير علم بحالهم، فالمسلمون معذورون، وتُشرع مواساة ذوي القتلى، كما في الحديث الذي [رواه الترمذي وأبو داود]: أن النبي ﷺ بعث سريَّة إلى (خثْعم)، فاعتصم ناس بالسجود، فأسْرع فيهم القتل، فبلغ النبي ﷺ فأمر لهم بنصف العَقل - أي الدِّيَة - وقال: (أنا برئ من كل مسلم يُقيم بين أظهر المشركين).

٦) الحذر من **السفر إلى بلاد الكفر والفسق** بلا مصلحة شرعية محققة؛ كدعوة أو علم أو علاج أو تجارة. فما شُرِعت الهجرة منها إلا لفساد بيئتها وخطرها على الدِّين. وهذا واقع، فإنها مفتوحة على الشَّهَوات، مثيرة للشُّبُهَات، مفقدة للغيرة على المحَارِم والمحرَّمات، وبخاصة من يسافر إليها **للسياحة**، حيث يتجول بها ويبحث عن المرفِّهات، إضافة إلى ما قد يقع في قلبه من حب تلك البلاد وأهلها، والله ﷻ يقول: **(وَلَعَبْدٌ مُّؤْمِنٌ خَيْرٌ مِّن مُّشْرِكٍ وَلَوْ أَعْجَبَكُمْ)** [البقرة:٢٢١].

ومن كان له **عذر شرعي** في السفر إليها، فيكون بقدْر الحاجة، وبشرط أن يأمن على دينه، وأن يستطيع إقامة شعائره هناك.

ومن باب أولى **الحذر** من الإقامة بها، أو التَّجَنُّس بجنسيَّتها.

٧) الحذر من **استقدام الكفار إلى بلاد المسلمين**، واستعمالهم في وظائفهم وبيوتهم، إلا لحاجة وبقدرها، مع الحرص على الاستغناء عنهم ما أمكن. فلا يُعقل أن يأمر الشَّرْع بالهجرة عنهم وعن بلادهم، ثم يسمح بجلبهم إلى بلاد المسلمين. ذلك أن المجَالَسَة تورث المؤانَسَة، والموالاة البدنية قد تُوقع في الموالاة القلبية، أو على الأقل عدم الاستنكار للكفر والعصيان، كما قيل: (كثرة المِسَاس تُقلِّل الإحْسَاس)، **وبخاصة** إن كان هذا الكافر يقدِّم خدمات خاصة؛ كحضانة أو تعليم أو مناصرة، [روى الإمام مسلم]: أن النبي ﷺ خرج إلى بدر، فتبعه رجل من المشركين، فلحقه عند الحرة، فقال: إني أردت أن أتبعك وأصيب معك، قال ﷺ: (تؤمن بالله ورسوله؟)، قال: لا، قال ﷺ: (ارجع فلن أستعين بمشرك).

صفحة الموجز ١-١٧-١

واستجلاب الكفار إلى بلاد المسلمين واستعمالهم في مصالحهم، تمكين لهم من التأثير على المسلمين وإفساد عقائدهم، وربما تمكنوا من الاطِّلاع على أسرار المسلمين؛ لذا قال الله تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ بِطَانَةً مِّن دُونِكُمْ لاَ يَأْلُونَكُمْ خَبَالاً وَدُّواْ مَا عَنِتُّمْ**) [آل عمران:٢٢١]. وهذا يعني أهمية **دعوة** هؤلاء **الوافدين** من الكفار إلى الإسلام، حتى لا يبقى كافر في بلاد الإسلام، وبخاصة الوافدين منهم إلى الجزيرة العربية؛ لأن الدعوة إلى معاداتهم وعدم استقدامهم، ليس لقصد احتكار المصالح عنهم، وإنما لأجل كفرهم، فنحن نتمنى هدايتهم: (**عَسَى اللَّهُ أَن يَجْعَلَ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَ الَّذِينَ عَادَيْتُم مِّنْهُم مَّوَدَّةً وَاللَّهُ قَدِيرٌ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ**) [الممتحنة:٧].

٨) وجوب **نُصْرة الأقليات المسلمة**، ومساعدتهم، لإقامة شعائر دينهم، ولأخذ حقوقهم، والذين هم في الغالب مُستضعفون مُضيَّق عليهم لدينهم؛ لأنهم أولى بالنَّصر والمساندة ممن ترك الهجرة بلا عذر، إذا استنصرنا في الدِّين. يقول الله ﷻ معاتباً لنا: (**وَمَا لَكُمْ لاَ تُقَاتِلُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَالْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ الرِّجَالِ وَالنِّسَاء وَالْوِلْدَانِ الَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْ هَذِهِ الْقَرْيَةِ الظَّالِمِ أَهْلُهَا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا وَاجْعَل لَّنَا مِن لَّدُنكَ نَصِيرًا**) [النساء:٧٥].

وأحق المظلومين المستضعفين وأولاهم بالفكاك والنصرة، **أسرى المسلمين** لدى الكفار، يقول الإمام ابن العربي – رحمه الله – في أحكام القرآن، عن الأسرى والمستضعفين: (إن الولاية معهم قائمة، والنصرة لهم واجبة بالبدن، بألا يبقى منا عين تطرف، حتى نَخرج إلى استنقاذهم، إن كان عددنا يحتمل ذلك، أو نبذل جميع أموالنا في استخراجهم، حتى لا يبقى لأحد درهم كذلك).

٩) الولاء أمر نسبي يتبعَّض ويتفاوت، فالولاية (**العامة**) تكون لكل مسلم، يقول الرسول ﷺ: (المسلم أخو المسلم، لا يَظْلمه ولا يُسْلمه) [متفق عليه].

لكن الولاية (**الخاصة**) قد تُحجب عن بعض المسلمين؛ كالمسلم الرافض للهجرة الواجبة عليه، وهو يستطيعها، فلا يستحق شيئا من بيت المال ولا يُنصر لو اعتدي عليه، إلا أن يُؤذَى في دينه، فيجب نصره، كحق له من حقوق الأخوَّة الإيمانية.

والمسلم **العاصي** يُحبُّ لإسلامه ويُكره لمعصيته.

صفحة الموجز ١-١٧-١

فالمؤمنون يتفاوتون في استحقاقهم الولاء، بحسب إيمانهم وصلاحهم، وبحسب بذلهم ونفعهم لمجتمعهم الإسلامي؛ لأن المغْنَم مقابل المغْرَم، ولهذا قدَّم الله ﷻ المهاجرين على الأنصار، لأن المهاجرين سبقوا إلى الإيمان وتركوا ديارهم، أما الأنصار فأشركوا إخوانهم المهاجرين معهم في ديارهم. كذلك فرّق الله ﷻ بين المهاجرين الأولين، والمهاجرين المتأخرين، قال تعالى: **(وَالسَّابِقُونَ الأَوَّلُونَ مِنَ الْمُهَاجِرِينَ وَالأَنصَارِ وَالَّذِينَ اتَّبَعُوهُم بِإِحْسَانٍ رَّضِيَ اللّهُ عَنْهُمْ وَرَضُواْ عَنْهُ وَأَعَدَّ لَهُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي تَحْتَهَا الأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا أَبَدًا ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ)** [التوبة:١٠٠].

ولهذا لا يتقدَّم أحد من الصحابة ﷺ على أبي بكر ﷺ وعمر ﷺ عند الرسول ﷺ ولا يقدِّمه. وحين اختلف الصحابة ﷺ في **الخليفة** بعد رسول الله ﷺ، فقال بعض الأنصار للمهاجرين: (مِنَّا أمير ومنكم أمير)، ردَّ عليهم أبو بكر ﷺ: (لا، ولكنَّا الأمراء وأنتم الوزراء).

وكان عمر ﷺ يُفرِّق بين المسلمين في **العطاء** بحسب سبقهم إلى الإسلام وتضحيتهم في سبيله، بل وحتى في ترتيب دخولهم عليه. وهذا يدل على **إنزال الناس منازلهم**، والمفاضلة العادلة بينهم شريعة ربانية وسنة نبوية وهدى سلفي راشد.

١٠) البراءة من الكفار جميعا، والحذر **من موالاتهم**؛ ولذا شرع الله ﷻ الهجرة من بلاد الكفر إلى بلاد الإسلام، حتى قطع المولاة بين المؤمنين وبين إخوانهم المقيمين ببلاد الكفار، فالكفار من باب أولى. وشرع الله ﷻ مجاهدة الكفار بالمال والنفس، ونبَّه إلى تحزُّب الكفار وتناصرهم ضد المسلمين فهم أولياء بعض، قد قطع الدِّين بيننا وبينهم الصلة، قال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تَتَّخِذُواْ الْيَهُودَ وَالنَّصَارَى أَوْلِيَاء بَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ وَمَن يَتَوَلَّهُم مِّنكُمْ فَإِنَّهُ مِنْهُمْ إِنَّ اللّهَ لاَ يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ)** [المائدة:٥١]، وقد قال ﷻ لأفضل رسله: **(وَلَوْلاَ أَن ثَبَّتْنَاكَ لَقَدْ كِدتَّ تَرْكَنُ إِلَيْهِمْ شَيْئاً قَلِيلاً ۞ إِذاً لَّأَذَقْنَاكَ ضِعْفَ الْحَيَاةِ وَضِعْفَ الْمَمَاتِ ثُمَّ لاَ تَجِدُ لَكَ عَلَيْنَا نَصِيراً)**[الإسراء:٧٤-٧٥]، وإن البراءة من الكفار هو مقتضى عقيدة الإيمان بالله ﷻ ومحبته وأوليائه، فلا يتحقق الإيمان إلا بالكفر بالطاغوت وأهله والبراءة منهم ومعاداتهم وبغضهم، قال الله تعالى: **(لَا تَجِدُ قَوْمًا يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ يُوَادُّونَ مَنْ حَادَّ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَلَوْ كَانُوا آبَاءهُمْ أَوْ أَبْنَاءهُمْ أَوْ إِخْوَانَهُمْ أَوْ عَشِيرَتَهُمْ)** [المجادلة:٢٢]، وقال تعالى: **(لاَّ يَتَّخِذِ الْمُؤْمِنُونَ الْكَافِرِينَ أَوْلِيَاء مِن دُوْنِ الْمُؤْمِنِينَ وَمَن يَفْعَلْ ذَلِكَ فَلَيْسَ مِنَ اللّهِ فِي شَيْءٍ)** [آل عمران:٢٨].

صفحة الموجز ١-١٧-١

وقال تعالى: (**قَدْ كَانَتْ لَكُمْ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ فِي إِبْرَاهِيمَ وَالَّذِينَ مَعَهُ إِذْ قَالُوا لِقَوْمِهِمْ إِنَّا بُرَاء مِنكُمْ وَمِمَّا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ كَفَرْنَا بِكُمْ وَبَدَا بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمُ الْعَدَاوَةُ وَالْبَغْضَاء أَبَدًا حَتَّى تُؤْمِنُوا بِاللَّهِ وَحْدَهُ**) [الممتحنة:٤]، فانظر كيف قدَّم البراءة منهم قبل معبوداتهم، وقدَّم العداوة الظاهرة على البغضاء القلبية مصدَّرة بكلمة: (بدا)، وأثبت أنهم قالوا وأعلنوا. وكما تبرَّأ **إبراهيم** عليه السلام من قومه، فقد تبَّرأ من أبيه لما تبيَّن له أنه عدو لله جل جلاله. ورجع **نوح** عليه السلام في دعوته لابنه لما علم أنه غير صالح، واستغفر الله سبحانه وتعالى من ذلك، وسألت **آسية** ربها سبحانه وتعالى أن يخلصها من الكافر فرعون وقومه، واعتزل الشباب **أصحاب الكهف** قومهم الكفار.

إن **التهاون** بمبدأ البراءة من الكفار والمفاصلة لهم، والانضمام إلى حزب الإيمان ومناصرته، أمر خطير على مستقبل الدِّين والحق، إذ يلتبس الحق بالباطل، ويعلو الكفار، فيفتنوا المسلمين عن دينهم، ويعم الأرض الفجور والفساد، كما قال عز وجل: (**وَالَّذينَ كَفَرُوا ْبَعْضُهُمْ أَوْلِيَاء بَعْضٍ إِلاَّ تَفْعَلُوهُ تَكُن فِتْنَةٌ فِي الأَرْضِ وَفَسَادٌ كَبِير**) [الأنفال:٧٣].

وهذا المبدأ يقتضي الحذر من مشاركتهم في **أعيادهم**، أو مساعدتهم في إقامتها، أو تهنئتهم بها، فإن ذلك نوع من الزُّور الذي حذر الله جل جلاله مِن شهوده، وفيه إقرار لهم على الكفر ورضا به.

كما تقتضي البراءة منهم عدم **التَّشبُّه** بهم، في العادات والخصائص، سواء في الملبس أو الكلام أو الأسماء أو التأريخ أو غير ذلك، يقول الرسول ﷺ: (من تشبَّه بقوم فهو منهم) [رواه أحمد وأبو داود]، وقال لعبد الله ابن عمر رضي الله عنه حين لبس ثوبا مُعصفَرا: (إن هذه من ثياب الكفار فلا تلبسها) [رواه مسلم].

هذا وليعْلم أن **موالاة الكفار لمصلحة** يطلبها لا رِضاً بكفرهم، لا تُخرج صاحبها من الإسلام، لكنها معصية كبيرة، ولذا عفا الرسول ﷺ عن حاطب ابن أبي بلتعة رضي الله عنه حين كتب إلى قريش، يُخبرهم بمسير الرسول ﷺ إليهم عام الفتح، فقدَّر اعتذاره وحُسْن سيرته قبل، فلم يسمح لعمر رضي الله عنه بقتله، وقال: (لعلَّ الله اطَّلع على أهل بدر فقال: اعملوا ما شئتم فقد غَفَرت لكم) [رواه البخاري ومسلم].

أما **المولاة في الظاهر** دون الباطن لخوف حقيقي منهم، فذلك جائز، كحال عمار بن ياسر رضي الله عنه، الذي أكرهه المشركون على سبِّ الرسول ﷺ بعد أن عذبوه وقتلوا أباه وأمه: (**إِلاَّ مَنْ أُكْرِهَ وَقَلْبُهُ مُطْمَئِنٌّ بِالإِيمَانِ**) [النحل:١٠٦]، وقال تعالى: (**إِلاَّ أَن تَتَّقُواْ مِنْهُمْ تُقَاةً**) [آل عمران:٢٨].

صفحة الموجز ١-١٧-١

١١) البراءة من الكفار لا تمنع من معاهدتهم والصلح معهم، إذا اقتضت المصلحة ذلك، كما لا تُجيز ظلمهم والكذب عليهم وخيانتهم؛ ولهذا استثنت الآيات من نُصْرة المسلمين المحاربين في دينهم، حالة كون المحارِب لهم بينه وبين المسلمين المناصرين ميثاق صُلْح، قال الله تعالى: (**وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَاجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى اللّهِ**) [الأنفال:٦١]، وقد صالح الرسول ﷺ قريشا بالحديبية على وضع الحرب بينهم (عشر) سنين، وأخبر – غير مُنْكر – عن صلح المسلمين مع الروم النصارى في آخر الزمان وتحالفهم معهم لقتال عدو مشترك فيهزمونه، وقد وفَّى الرسول ﷺ بعهوده مع الكفار، حتى أنه ردَّ أبا رافع رضي الله عنه سفِير قريش الذي رغب الإسلام والبقاء في المدينة، فأمره أن يعود إليهم ثم إذا شاء عاد مسلما إلى المدينة، وقال له: (إني لا أخيس بالعهد ولا أحبس البُرد) [رواه أحمد وأبو داود والنسائي].

وبغض الكافرين لا يحمل على **عدم العدل** معهم، بل العدل معهم دليل على التَّقْوى والصَّلاح، قال تعالى: (**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ كُونُواْ قَوَّامِينَ لِلّهِ شُهَدَاء بِالْقِسْطِ وَلاَ يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَى أَلاَّ تَعْدِلُواْ اعْدِلُواْ هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى**) [المائدة:٨].

هذا **وليس** من البراءة **أساءة الخُلُق وقسْوة المعاملة** معهم، ما داموا غير محاربين؛ لأن الله ﷻ يقول: (**لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ**) [الممتحنة:٨].

وقد حثَّ الإسلام على **اللِّين في دعوة الكفار** إلى الإسلام، وشرع الزكاة للمؤلَّفة قلوبهم من الكفار، وأمر بِبرِّ الوالدين المشركين ولو حَاربا ولدَهما في الدِّين، كما أمر بالإحسان إلى الجار الكافر، والأسير المشرك من غير مِنَّة عليه بذلك، وأباح الإسلام ذبائح ونساء أهل الكتاب، واستأجر الرسول ﷺ ابن أُريقط– وكان مشركا – ليدلَّه في طريق الهجرة، وزار ﷺ قبرَ أُمَّه – دون أن يستغفر لها – فبكى وأبكى من حوله، وكان ﷺ واصلا لقرابته من الكفار. فلا مانع أن يجتمع البغض والحب في الشخص الواحد، كما قال الله ﷻ لنبيه في حقِّ أبي طالب: (**إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ**) [القصص:٥٦].

فالكفار في **باب البَراء درجات**، ولهذا فَرِح المؤمنون بغلبة الروم النصارى – وهم أهل كتاب–على الفرس المجوس عبدة النار، قال تعالى: (**الم ۞ غُلِبَتِ الرُّومُ**) [الروم:١-٢]، وقال تعالى: (**لَتَجِدَنَّ أَشَدَّ النَّاسِ عَدَاوَةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الْيَهُودَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُواْ وَلَتَجِدَنَّ أَقْرَبَهُمْ مَّوَدَّةً لِّلَّذِينَ آمَنُواْ الَّذِينَ قَالُوَاْ إِنَّا نَصَارَى ذَلِكَ بِأَنَّ مِنْهُمْ قِسِّيسِينَ وَرُهْبَانًا وَأَنَّهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ**) [المائدة: ٨٢].

صفحة الموجز ١-١٧-١

١٢) ارتكاب الكبيرة لا يُخرج المسلم من الإسلام، ولكنه يُنقص إيمانه، ولهذا أثبت الله ﷻ الإيمان لتاركي الهجرة الواجبة، وأوجب لهم المناصرة إذا أوذوا في دينهم، إلا على قوم بيننا وبينهم ميثاق. وقد سمَّى الله ﷻ **القاتل عمدا** أخاً، رغم شناعة جريمة القتل في الإسلام، قال تعالى: **(فَمَنْ عُفِيَ لَهُ مِنْ أَخِيهِ شَيْءٌ فَاتِّبَاعٌ بِالْمَعْرُوفِ وَأَدَاء إِلَيْهِ بِإِحْسَانٍ)** [البقرة:١٧٨]، والرسول ﷺ في **المجْلود** في الخمْر قال: (لا تلعنوه، فوالله ما علمت إلا أنه يحب الله ورسوله) [رواه البخاري]، وقال ﷺ: (شفاعتي لأهل الكبائر من أمتي) [رواه أحمد وغيره].

فيجب الحذر من **تكفير المسلم** بالفواحش أو بالظَّنِّ، قال ﷺ: (إذا كفَّر الرجل أخاه، فقد باء بها أحدهما) [رواه مسلم]، وبخاصة تكفير الحُكَّام والقَادة، الذين يَجمع الله ﷻ بهم المسلمين، ويتحملون مسئولية رعايتهم والدفاع عنهم، قال ﷺ: (إنه يستعمل عليكم أمراء فتعرفون وتنكرون، فمن كره فقد برئ، ومن أنكر فقد سلم، ولكن من رضي وتابع، قالوا: يا رسول الله أفلا نقاتلهم؟، قال: لا، ما صلُّوا) [رواه مسلم].

١٣) عدل الإسلام ووسطِيَّته في الأمور كلها، ومن ذلك **التعامل مع الكفار والحكم على عصاة المسلمين**، فلا يُساوي العاصي بالكافر، ولا الكافر المحارب بالمسَالم، ولا المعَاهد بغير المعاهد.

ومن **شواهد** هذا **التوازن**، الجمع بين (عمل الآخرة) و(عِمارة الدنيا)، قال تعالى: **(فَإِذَا قُضِيَتِ الصَّلَاةُ فَانتَشِرُوا فِي الْأَرْضِ وَابْتَغُوا مِن فَضْلِ اللَّهِ)** [الجمعة:١٠]، وقال رسول الله ﷺ: (حُبِّبَ إلي من دنياكم الطِّيب والنِّساء، وجُعلت قُرَّة عيني في الصلاة).

كذلك الإسلام **وسط** يجمع بين (الخوف) من الله ﷻ (ورجائه)، ويجمع بين (التَّوكُّل) على الله ﷻ و(الأخْذ بالأسباب)، ويجمع بين (حُب الصالحين) و(عدم الإطراء والغلو) فيهم، ويُقر (الصِّلة والانتماء) دون (عصبيَّة): **(يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنَّا خَلَقْنَاكُم مِّن ذَكَرٍ وَأُنثَى وَجَعَلْنَاكُمْ شُعُوبًا وَقَبَائِلَ لِتَعَارَفُوا إِنَّ أَكْرَمَكُمْ عِندَ اللَّهِ أَتْقَاكُمْ إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ)** [الحجرات:١٣].

ولهذا كانت أمة الإسلام أمة الوسطية والعدالة: **(وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا)** [البقرة:١٤٣].

صفحة الموجز ١-١٧-١

١٤) فضل أصحاب رسول الله ﷺ؛ من المهاجرين رضي الله عنهم والأنصار رضي الله عنهم، ووجوب توقيرهم، وشناعة من يَسُبّ أحدا منهم، أو يَطْعن فيه، بعد أن زَكَّاهم الله ﷻ، واختارهم لصحبة نبيه ﷺ ولنقل دينه.

أما (**المهاجرون**) سبقوا للإيمان، وتحمَّلوا غُربة الإسلام، وأذى المشركين، ثم هاجروا وتركوا الأوطان والديار والأموال لأجل الله ﷻ ونصرة دينه ورسوله ﷺ.

فهذا **صهيب الرومي** رضي الله عنه يخرج مهاجرا من مكة إلى المدينة، فعْترضه قريش وتمنعه أن يفوتهم بنفسه وماله، فدَّلهم على ماله، على أن يتركوه يهاجر إلى حبيبه رسول الله ﷺ بالمدينة، فلما قدم مهاجرا قال ﷺ: (ربح البيع أبا يحيى، ربح البيع أبا يحيي). وكذلك منع المشركون **أبا سلمة** رضي الله عنه أن يهاجر بزوجته وابنه، فتركهما يبكيان، حتى تمكَّنت رضي الله عنها وطفلها بعد سنة من الهجرة، فلحقت بزوجها.

وأما (**الأنصار**) فهم الذين أنْزلوا المهاجرين في دورهم، وأشركوهم في أموالهم، ونصروهم بأنفسهم، وتحمَّلوا الشَّدائد، حتى وفَّوا ببيعتهم وعهدهم، فلم تدر معركة إلا كانوا في مقدمتها، يصْطَلون بنارها، وربما حُرِموا غنيمتها، فلم يحْسدوا إخوانهم المهاجرين على شيء من الدُّنيا، بل آثروهم بها. وإن من يراجع قصة **الهجرة** العظيمة، سيلحظ الدور الكبير للأنصار في تحقيقها، فبعد أن بايعوا رسول الله ﷺ بمكة على الإسلام، قالوا: متى نترك رسول الله ﷺ يُطرد في جبال مكة ويخاف، فقدم وفد منهم في موسم الحج فبايعوه ﷺ بيعة العقبة الثانية على النُّصْرة والمَنَعة، يمنعونه مما يمنعون منه أنفسهم وأزواجهم وأبناءهم، وتكلم أسعد بن زرارة رضي الله عنه- وهو أحد الوفد – فقال: رويدا يا أهل يثرب، فإنا لم نضرب أكباد الإبل، إلا ونحن نعلم أنه رسول الله ﷺ، وإن إخراجه اليوم مفارقة العرب كافة وقتل خياركم وأن تطعنكم السيوف، فإما أن تصبروا وأجركم على الله ﷻ، وإما أنتم تخافون من أنفسكم جُبْنة، فبيِّنوا ذلك، فهو عذر لكم عند الله ﷻ. فقالوا: أمِطْ عنَّا أبا أسعد، فوالله لا ندع هذه البيعة أبدا ولا نسلبها.

وحين **هاجر** الرسول ﷺ والمسلمون إلى المدينة، **آخَى** بينهم وبين الأنصار، فنزل كل مهاجر على رجل من الأنصار. ولما وقعت **أول معركة** بين المسلمين والمشركين (**ببدر**)، وشاور الرسول ﷺ أصحابه رضي الله عنهم في خوضها – حيث لم يكونوا مستعدين إلا لأخذ القافلة – كان حريصا أن يسمع رأي الأنصار وهم الأكثر، فقال سعد بن معاذ رضي الله عنه: (امض يا رسول الله لما أردت فنحن معك، فوالذي بعثك بالحق، لو استعرضت البحر لخضناه معك، ما تخلَّف منا رجل واحد، وما نكره أن نلْقَى عدونا غدا، إنا لصبر في الحرب، صدق عند اللقاء، ولعل الله ﷻ يُريك منا ما تقرَّ به عينك، فسِرْ على بركة الله).

صفحة الموجز ١-١٧-١

ولقد شهدت معركة (**أحد**) صِدْق الأنصار ووفاءهم ونصرتهم، [روى مسلم] عن أنس: أن رسول الله ﷺ أُفرد يوم أحد في سبعة من الأنصار ورجلين من قريش، فلما رهقه العدو قال: (من يردهم عنا وله الجنة – أو هو رفيقي في الجنة–)، فتقدّم رجل من الأنصار فقاتل حتى قُتل ... حتى قُتِل السبعة، فقال ﷺ: (ما أنصفنا أصحابَنا).

و[روى البخاري]: أنه لما كان يوم أحد،انهزم الناس عن النبي ﷺ وأبو طلحة الأنصاري رضي الله عنه بين يدي النبي ﷺ مجوَّب عليه– مُترِّس بنفسه عليه – بجحفة له (ترس من جلد)، وكان أبو طلحة رضي الله عنه رجلاً رامياً شديد النَّزع، وكان النبي ﷺ يُشرف ينظر إلى القوم، فيقول أبو طلحة رضي الله عنه: بأبي أنت وأمي لا تُشرف فيُصيبك سهم من سهام القوم، نحري دون نحرك.

ولقد كان للأنصار مقام مشهود في غزوة (**حنين**)، دفاعا عن رسول الله ﷺ حين تفرَّق جيش المسلمين الكبير فلم تغن كثرتهم شيئا.

ثم **قَسَم** رسول الله ﷺ **الغنيمة** – وكانت عظيمة جدا – فلم يُعط الأنصار منها شيء، فوجد الأنصار في أنفسهم، فجمعهم رسول الله ﷺ، وقال لهم: (يا معشر الأنصار ما قالة بلغتني عنكم؟، وجدة وجدتموها علي في أنفسكم في لُعَاعة من الدنيا تألَّفت بها قوما ليُسْلموا، ووكلتكم إلى إسلامكم، ألا ترضون أن يذهب الناس بالشاة والبعير، وترجعوا برسول الله في رحالكم، فوالذي نفس محمد لولا الهجرة لكنت امرؤ من الأنصار، ولو سلك الناس شُعبا وسلكت الأنصار شُعبا لسلكت شُعب الأنصار، اللهم ارحم الأنصار وأبناء الأنصار، وأبناء أبناء الأنصار. فبكى القوم حتى أخضلوا لحاهم، وقالوا: رضينا برسول الله قسْما وحظًّا) [رواه أحمد].

وقد **أثنى** الله ﷻ على **الطائفتين**؛ من المهاجرين والأنصار في قوله ﷻ في قسمة الفَيء: (**لِلْفُقَرَاءِ الْمُهَاجِرِينَ الَّذِينَ أُخْرِجُوا مِن دِيارِهِمْ وَأَمْوَالِهِمْ يَبْتَغُونَ فَضْلًا مِّنَ اللَّهِ وَرِضْوَانًا وَيَنصُرُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ أُوْلَئِكَ هُمُ الصَّادِقُونَ ۞ وَالَّذِينَ تَبَوَّؤُوا الدَّارَ وَالْإِيمَانَ مِن قَبْلِهِمْ يُحِبُّونَ مَنْ هَاجَرَ إِلَيْهِمْ وَلَا يَجِدُونَ فِي صُدُورِهِمْ حَاجَةً مِّمَّا أُوتُوا وَيُؤْثِرُونَ عَلَى أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌ وَمَن يُوقَ شُحَّ نَفْسِهِ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ**) [الحشر:٨،٩].

صفحة الموجز ١-١٧-١

١٥) عظمة شأن **هجرة المسلمين إلى المدينة**، وأهمية **دراستها للعبرة والعظة**، فإن لها ما بعدها من مستقبل الإسلام وانتشاره وبناء أول دولة له بقيادة النبي ﷺ؛ ولهذا مدح الله ﷻ المؤمنين من أهل **المدينة** وفضَّلهم على سائر المؤمنين بهذه الهجرة المباركة، بل أخبر الله ﷻ بها في الرسالات السابقة حين بشَّر ببعثة النبي محمد ﷺ وأن مُهَاجره إلى أرض ذات نخل بين حرتين.

وقد أدرك أمير المؤمنين عمر بن الخطاب ﷺ ومن معه من الصحابة ﷺ أهمية تلك الهجرة، **فأرَّخوا** بها، فكان تأريخا متميزا يُذكِّر بفضل الله ﷻ على المسلمين، حين نصرهم وقد طردهم المشركون بمكة، وينبِّه كل مسلم إلى القدوة بنبيه وسلفه الصالح في الصبر والثبات والدعوة إلى الله ﷻ.

وهذا ما لا يتوفر في **التاريخ الميلادي** النصراني، المبني على ميلاد عيسى عليه السلام، وإنما الميلاد أمر سابق للنبوة، والناس فيه سواء، وفيه غلو وإطراء لعيسى عليه السلام والذي لا يختلف في شخصه عن غيره من البشر،بالإضافة أن الميلاد ليس من عمل المولود ولا اختياره، إنما من عمل والديه.

أما **التاريخ بالهجرة** فهو تعظيم للعمل، وبالعمل والتقوى يتفاضل به العباد، وربما انساقت الأمة الإسلامية بتبعيتها للنصارى في تأريخهم؛ توثيقا أو تخطيطا أو ميزانية، إلى التبعية الخطيرة في الفكر والأخلاق والعادات، والتي حذَّرنا منها النبي ﷺ، فقال: (لتتبعُنَّ سَنَنَ الذين من قبلكم حذْوَ القُذَّة بالقُذَّة، حتى لو دخلوا جُحْر ضَبٍّ لدخلتموه) [متفق عليه].

١٦) **الشكر والثناء على العاملين وتذكيرهم بالأجر**، فذلك من أفضل وأيسر **الحوافز**، لتحقيق الأداء المتقن والوصول إلى الأهداف والنتائج المتميزة؛ ولهذا يمدح الله ﷻ المهاجرين بما تحمَّلوا، والأنصار بما بذلوا وساهموا، يقول الله ﷻ عنهم: **(أُولَئِكَ هُمُ الْمُؤْمِنُونَ حَقًّا لَّهُم مَّغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ)** [الأنفال:٧٤]. فهو نوع من المكافأة للعامل، يقول الرسول ﷺ: (من صُنِع إليه معروف فليُجْزه، فإن لم يجد ما يُجزه فليثْن عليه، فإنه إذا أثنى عليه فقد شكره، وإن كَتَمه فقد كَفَره) [رواه الترمذي]، وعن أنس ﷺ أن المهاجرين قالوا: يا رسول الله ﷺ ذهب الأنصار بالأجر كله، قال ﷺ: (إلا ما دعوتم الله لهم وأثنيتم عليهم به) [رواه أبو داود والترمذي]، وقال ﷺ: (لا يَشكر الله، من لا يَشكر الناس) [رواه أبو داود والترمذي].

والتحفيز للعاملين في المجال (العسكري) أوجب وأهَمْ، ومما **يستخدمه** الرسول ﷺ إطلاق ألقاب التشريف وكلمات التشجيع؛ كقوله ﷺ لسعد بن أبي وقاص ﷺ يوم أحد: (إرم فداك أبي وأمي)، وقوله ﷺ لحسان ﷺ: (اهجهم وجبريل معك).

صفحة الموجز ١-١٧-١

وكان ﷺ يستخدم الشعر والخطب الحماسية والبيعة عند القتال، ويوزِّع الرَّايات بحسب القبائل، كل ذلك لتحريض المؤمنين على الأداء الأعلى في القتال، مما يُعوِّض عن كثير من النَّقْص العَدَدي، كما قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ حَرِّضِ الْمُؤْمِنِينَ عَلَى الْقِتَالِ إِن يَكُن مِّنكُمْ عِشْرُونَ صَابِرُونَ يَغْلِبُواْ مِئَتَيْنِ)** [الأنفال:٦٥].

١٧) الصدق والوفاء من أعظم **الأخلاق الإسلامية**، ولهذا يقررها الإسلام في معاملة كفار، بينهم وبين بعض المسلمين محاربة في الدِّين، لأن لهؤلاء الكفار ميثاق عند المسلمين لم ينْتقض، كما قال ﷻ في حق المسلمين الذين لم يهاجروا: **(وَإِنِ اسْتَنصَرُوكُمْ فِي الدِّينِ فَعَلَيْكُمُ النَّصْرُ إِلاَّ عَلَى قَوْمٍ بَيْنَكُمْ وَبَيْنَهُم مِّيثَاقٌ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ)** [الأنفال:٧٢]. إن الصدق في الأخبار وفي العهود وسائر المعاملات هو دليل **البر والتقوى** كما في قوله تعالى: **(لَّيْسَ الْبِرَّ أَن تُوَلُّواْ وُجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللّهِ وَالْيَوْمِ الآخِرِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ وَآتَى الْمَالَ عَلَى حُبِّهِ ذَوِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينَ وَابْنَ السَّبِيلِ وَالسَّآئِلِينَ وَفِي الرِّقَابِ وَأَقَامَ الصَّلاةَ وَآتَى الزَّكَاةَ وَالْمُوفُونَ بِعَهْدِهِمْ إِذَا عَاهَدُواْ وَالصَّابِرِينَ فِي الْبَأْسَاء والضَّرَّاء وَحِينَ الْبَأْسِ أُولَئِكَ الَّذِينَ صَدَقُوا وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ)** [البقرة:١٧٧]، وفي الحديث: (إنَّ الصِّدْق يهْدي إلى البِرِّ، وإن البِرَّ يهدي إلى الجنة) [متفق عليه].

وعكس ذلك **الكذب والخيانة**، فإنها دليل على النِّفاق، كما قال ﷺ: (آية المنافق ثلاث؛ إذا حدَّث كذب، وإذا وَعَد أخْلف، وإذا اؤْتُمِن خان) [متفق عليه].

وأشدُّ الكَذِب الكَذِب في (الدِّين)، قال تعالى: **(وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَى عَلَى اللّهِ كَذِبًا أَوْ كَذَّبَ بِآيَاتِهِ إِنَّهُ لاَ يُفْلِحُ الظَّالِمُونَ)** [الأنعام:٢١]، وقال ﷺ: (من كَذَب عليَّ متعمِّدا، فليتبَّوأ مقعده من النار) [متفق عليه]. والكذب **في الشهادات** قد عدَّه الرسول ﷺ من أشدِّ السَّبْع الموبقات وقال: (ألا وشهادة الزور ألا وقول الزور) [متفق عليه]. ومن **أقبح الكذب** الكذب في (البيع)، قال ﷺ: (من غشَّ فليس مني) [رواه مسلم]، وقال ﷺ عن المتبايعيْن: (فإن صَدَقا وبيَّنا بُورك لهما في بيعتهما، وإن كَتَما وكذبا مُحقت بركة بيعهما) [متفق عليه].

إن المسلم يحرص على **تجنُّب الكذب** في أعماله وأقواله ولو كان (مازِحا)، رجاء وعد المصطفى ﷺ: (أنا زعيم ببيت في وسط الجنة، لمن ترك الكذب وإن كان مازحا) [رواه أبو داود بسند صحيح].

صفحة الموجز ١-١٧-١

١٨) فضل **الجهاد في سبيل الله** ﷻ والذي تكرَّر مِرارا في الآيات، وبه أثنى الله ﷻ على المهاجرين والأنصار ووعدهم بالمغفرة والرِّزْق الكريم، وقررَّ أن ذلك دليل صِدق الإيمان وتحققه.

إن الجهاد هو ذِرْوة سَنَام الإسلام، والتجارة الرابحة في الدنيا والآخرة، قال تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى تِجَارَةٍ تُنجِيكُم مِّنْ عَذَابٍ أَلِيمٍ ۞ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَتُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ بِأَمْوَالِكُمْ وَأَنفُسِكُمْ ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ ۞ يَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَيُدْخِلْكُمْ جَنَّاتٍ تَجْرِي مِن تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ وَمَسَاكِنَ طَيِّبَةً فِي جَنَّاتِ عَدْنٍ ذَلِكَ الْفَوْزُ الْعَظِيمُ ، وَأُخْرَى تُحِبُّونَهَا نَصْرٌ مِّنَ اللَّهِ وَفَتْحٌ قَرِيبٌ وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ)** [الصف:١٠-١٣]. والجهاد باب **واسع** من الخير، يقول الله ﷻ عن جهاد الكلمة والدعوة بالقرآن: **(فَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَجَاهِدْهُم بِهِ جِهَاداً كَبِيراً)** [الفرقان:٥٢]، ويقول تعالى: **(يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ جَاهِدِ الْكُفَّارَ وَالْمُنَافِقِينَ وَاغْلُظْ عَلَيْهِمْ)** [التوبة:٧٣]، ويقول الرسول ﷺ: (جاهدوا المشركين بأموالكم وأنفسكم وألسنتكم) [رواه أبو داود وغيره]، وحين سُئِل ﷺ: أي الجهاد أفضل؟، قال: (كلمة حقٍّ عند سلطان جائر) [رواه النسائي].

ويشمل الجهاد مرحلة الإعداد له، وتوفير مطالبه وما يُعين عليه، يقول الرسول ﷺ: (من جهَّز غازيا في سبيل الله فقد غزا، ومن خَلَف غازيا في أهله بخير، فقد غزا) [متفق عليه]، فهنيئا لمن يعمل في المجال (العسكري) أو يدعمه، وبخاصة من يختصون بتنفيذ العمليات القتالية، يقول الرسول ﷺ: (ما اغبرَّت قدما عبد في سبيل الله فتمسه النار) [رواه البخاري].

ويُرْجى لمن (يتعلَّمون ويتهيئون) لذلك ومن ينتظرون الأمر لهم بالقتال، أن ينالوا أجر الجهاد ورباطه وانتظاره، كما أن منتظر الصلاة في صلاة ورباط ويجري عليه الثواب ما دام ينتظر الصلاة.

ولك أن تتصور الفضل **بالمقارنة** بالفَرَس التي تُربَّى للجهاد، يقول الرسول ﷺ: (من احتبس فرسا في سبيل الله، إيمانا بالله، وتصديقا بوعده، فإن شِبْعه ورَيَّه وروثَه وبولَه، في ميزانه يوم القيامة) [رواه البخاري].

إن **غرْس الاحتساب** للجهاد وثوابه في المجتمع عامة، وفي العاملين بالقطاع (العسكري) خاصة، من أهم المقاصد الشرعية، فقد قال الرسول ﷺ: (من مات ولم يغْزو، ولم يُحدِّث نفسه بالغزْو، مات على شُعْبة من نِفاق) [رواه مسلم].

صفحة الموجز ١-١٧-١

١٩) فضل **التَّبرع بالمال** وأهمية بذله **لنُصْرة دين الله** ﷻ؛ ولذا قدَّمه الله ﷻ على الجهاد بالنفس هنا، وفي أكثر الآيات القرآنية. وكثيرا ما تتوفر الطاقات البشرية الراغبة في العمل العسكري، ولكن تضيق القدرات المالية عن توظيفهم والاستفادة منهم، أو تهيئة المرافق والوسائل لهم، كما ذكر الله ﷻ عن رسوله ﷺ ومن اعتذر عنهم من الصحابة ﷺ في غزوة تبوك: **(وَلاَ عَلَى الَّذِينَ إِذَا مَا أَتَوْكَ لِتَحْمِلَهُمْ قُلْتَ لاَ أَجِدُ مَا أَحْمِلُكُمْ عَلَيْهِ تَوَلَّواْ وَّأَعْيُنُهُمْ تَفِيضُ مِنَ الدَّمْعِ حَزَنًا أَلاَّ يَجِدُواْ مَا يُنفِقُونَ)** [التوبة:٩٢].

إن **الصَّدِقة** برهان على صدق الإيمان، وتقديم رضا الله ﷻ وثوابه الأخروي على حظوظ النفس وشهواتها الدنيوية. و**أفضل الصدقة** ما كان في خِدْمة دين الله ﷻ؛ من دعوة إليه وتعليم له ودفاع عنه ونصرة له، ولذا كان الرسول ﷺ يبذل لأجل ذلك مالا يبذل على الفقراء وغيرهم، حتى أنه أعطى عطايا عظيمة في (حُنين) لأناس يتألَّفهم على الإسلام، ولم يُعط الأنصار رغم نصرتهم وجهادهم العظيم بحنين، ووكَلَهم إلى قوَّة إيمانهم واعتذر لهم، فرضُوا ﷺ، ويقول خادمه أنس ﷺ: (ما سُئِل رسول الله ﷺ على الإسلام شيئا إلا أعطاه، ولقد جاءه رجل فأعطاه غنما بين جبلين، فرجع إلى قومه فقال: يا قوم أسلموا فإن محمدا يعطي عطاء من لا يخشى الفقر، وإن كان الرجل ليُسْلم ما يريد إلا الدنيا، فما يلْبث يسيرا حتى يكون الإسلام أحب إليه من الدنيا وما عليها) [رواه مسلم]، ويقول عمر ابن الخطاب ﷺ: (كانت أموال بني النَّضير مما أفاء الله ﷻ على رسوله ﷺ، مما لم يوجف المسلمون عليه بخيل ولا رِكاب، فكانت لرسول الله ﷺ خاصة، وكان يُنفق على أهله نفقة سَنَته، ثم يجعل ما بقي في السِّلاح والكِرَاع عدَّة في سبيل الله ﷻ) [رواه البخاري].

٢٠) **الإخلاص لله** ﷻ في الهجرة والجهاد والإنفاق وسائر الأعمال، وسائر الأوقات، فيجعلها كلها في سبيل الله تعالى: **(قُلْ إِنَّ صَلاَتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ)** [الأنعام:١٦٢]، وقال تعالى: **(إِنَّا أَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصًا لَّهُ الدِّينَ)** [الزمر:٢]، إن الإخلاص لله ﷻ مقام عزيز، وشرْط في قَبول العمل، وركن هام في العبوديَّة، ولهذا كان قلْب الفاتحة يؤكده المسلم ويتذكره دائما: **(إِيَّاكَ نَعْبُدُ وإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ)** [الفاتحة:٥].

صفحة الموجز ١-١٧-١

وبقدر ما في القلْب من إخلاص لله ﷻ وابتغاء ثوابه وتخليص القلب من المقاصد الدِّنْيوية، يكون العمل الصالح أعظم وأرفع مهما كان قليلا، وقد وعَدَ الرسول ﷺ من السَّبعة الذين يُظلَّهم الله ﷻ في ظِلِّه يوم لا يَظِلَّ إلا ظِلُّه: (رجل تصدق بصدقة، فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه، ورجل ذكر الله خاليا، ففاضت عيناه) [متفق عليه]، وذكر ﷺ خبر الثلاثة الذين سَدَّت عليهم الصَّخْرة باب الغار، فاختاروا من أعمالهم الصالحة أخلصها لله ﷻ، فدعوه بها قائلا كل واحد منهم: (اللهم إن كنت فعلت ذلك ابتغاء وجهك فافْرِج عنا ما نحن فيه، فانفرجت الصخرة، وخرجوا يمشون) [متفق عليه].

لقد حذَّر الله ﷻ ورسوله ﷺ من **الرِّيَاء**، قال تعالى: **(فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ)** [الماعون:٤]، وقال الله تعالى: **(يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ لاَ تُبْطِلُواْ صَدَقَاتِكُم بِالْمَنِّ وَالأذَى كَالَّذِي يُنفِقُ مَالَهُ رِئَاء النَّاسِ)** [البقرة:٢٦٤].

ومن عرَف قَدْر الله ﷻ ونِعَمه، عَرف أنه مُقصِّر لم يُقدِّر الله ﷻ حقَّ قَدْره، فبماذا يرائي!، ومن عرف ضعف الناس وأن ليس له من الأمر شيء، إذن فمن يرائي!، ومن عرف حقارة الدنيا وأمراضها ومنغصاتها وزوالها، لم يجعلها غايته وهدفه، وبخاصة التضحية بالنفس والالتحاق بالقوات المسلحة، فإن نفسه أسْمَى من أن تكون في سبيل الدنيا لا في سبيل الله ﷻ.

وهذا موقف يكشف **خطأ** الكثير من المقاصد في العمل العسكري ويبين الموقف الصحيح، جاء رجل إلى النبي ﷺ فقال: الرجل يُقاتل للمغْنم، والرجل يُقاتل للذِّكْر، والرجل يُقاتل ليُرى مكانه، فمن في سبيل الله؟، قال ﷺ: (من قاتل لتكون كلمة الله هي العليا، فهو في سبيل الله) [متفق عليه]. **فلينتبه** المسلم إلى نيته، حتى يَصح ويُقبل عمله، قال ﷺ: (إنما الأعمال بالنيات، وإنما لكل امرئ ما نوى؛ فمن كانت هجرته إلى الله ورسوله، فهجرته إلى الله ورسوله، ومن كانت هجرته لدنيا يصيبها، أو امرأة ينكحها، فهجرته إلى ما هاجر إليه) [متفق عليه].

٢١) صِلَة الأقارب وتقديمهم على غيرهم بالبر والإحسان؛ لأنهم أولى ببعض من سواهم.

وصِلَة الرَّحِم من أعظم أصول الإسلام؛ ولذا كانت قرينة الدعوة إلى التوحيد، قال تعال: **(وَاعْبُدُواْ اللّهَ وَلاَ تُشْرِكُواْ بِهِ شَيْئًا وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَانًا وَبِذِي الْقُرْبَى)** [النساء:٣٦]، وحين سأل هرقل أبا سفيان عن الرسول ﷺ: فماذا يأمركم ؟،- ولم يكن أبو سفيان آنذاك مسلما- قال: (يقول : اعبدوا الله وحده ولا تشركوا به شيئا، واتركوا ما كان يعبد آباؤكم، ويأمر بالصلاة والصدق والعفاف والصلة).

صفحة الموجز ١-١٧-١

وقد **قرر** الله ﷻ الصِّلة في مبادئ الإسلام الكبرى المُحْكمة، فقال: (**إِنَّ اللّهَ يَأْمُرُ بِالْعَدْلِ وَالإِحْسَانِ وَإِيتَاء ذِي الْقُرْبَى وَيَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاء وَالْمُنكَرِ وَالْبَغْيِ يَعِظُكُمْ لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ**) [النحل:٩٠]، وأمر الله بها في حق الوالدين الكافرين المتسلطين على ولدهما لإسلامه، فقال تعالى: (**وَإِن جَاهَدَاكَ عَلى أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ**) [لقمان:١٥].

والصِّلة دليل صِدْق الإيمان، لقوله ﷺ: (من كان يؤمن بالله واليوم الآخر، فليصل رحمه).

والصِّلة سبب للبركة والسِّعة في الرزق والعمر، قال ﷺ: (من أحب أن يبسط له في رزقه وينسأ له في أثره، فلْيصل رحمه) [متفق عليه].

وبعكس ذلك **القطيعة**، فهي سبب للطرد من الرحمة والهداية، قال تعالى: (**فَهَلْ عَسَيْتُمْ إِن تَوَلَّيْتُمْ أَن تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ وَتُقَطِّعُوا أَرْحَامَكُمْ**) [محمد:٢٢]، وقد بلغ من اهتمام الرسول ﷺ بالصِّلة أنه فضَّلها على العِتْقِ، حين أخبرته ميمونة أم المؤمنين ﵂ أنها أعتقت جارية لها، فقال لها رسول الله ﷺ: (أما لو أنك أعطيتها أحدا من أخوالك كان أعظم لأجرك) [متفق عليه].

وحين استشاره أبو طلحة الأنصاري ﵁ في نخْلِهِ (بيرحاء) التي تصدَّق بها أين يضعها؟، قال له ﷺ: (أني أرى أن تجعلها في الأقربين)، فقسمها أبو طلحة ﵁ في أقاربه وبني عمه [متفق عليه].

٢٢) مراقبة الله ﷻ وخشيته بالسِّرِّ والعَلَن، فإنه ﷻ البصير بكل ما نعمل، العليم بكل شيء، قال تعالى: (**يَوْمَ يَبْعَثُهُمُ اللَّهُ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا أَحْصَاهُ اللَّهُ وَنَسُوهُ وَاللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدٌ ۞ أَلَمْ تَرَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ مَا يَكُونُ مِن نَّجْوَى ثَلَاثَةٍ إِلَّا هُوَ رَابِعُهُمْ وَلَا خَمْسَةٍ إِلَّا هُوَ سَادِسُهُمْ وَلَا أَدْنَى مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْثَرَ إِلَّا هُوَ مَعَهُمْ أَيْنَ مَا كَانُوا ثُمَّ يُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوا يَوْمَ الْقِيَامَةِ إِنَّ اللَّهَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمٌ**) [المجادلة:٦-٧]، إنه الباطن الذي لا يحجبه شيء، يعلم الهَمَسَات واللَّفَتَات والنِّيَّات: (**يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ**) [غافر:١٩]، وقال تعالى: (**وَعِندَهُ مَفَاتِحُ الْغَيْبِ لاَ يَعْلَمُهَا إِلاَّ هُوَ وَيَعْلَمُ مَا فِي الْبَرِّ وَالْبَحْرِ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلاَّ يَعْلَمُهَا وَلاَ حَبَّةٍ فِي ظُلُمَاتِ الأَرْضِ وَلاَ رَطْبٍ وَلاَ يَابِسٍ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**) [الأنعام:٥٩]، وقال تعالى: (**لَا يَعْزُبُ عَنْهُ مِثْقَالُ ذَرَّةٍ فِي السَّمَاوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرُ مِن ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرُ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ**) [سبأ:٣].

صفحة الموجز ١-١٧-١

تقول أم المؤمنين عائشة ﵂: تبارك الذي وسِعَ سمْعه الأصوات، لقد جاءت **المجادِلة** تشتكي إلى رسول الله ﷺ وأنا في جانب الحجرة، وإنه ليخْفَى عليَّ كلامها، فأنزل الله تعالى: **(قَدْ سَمِعَ اللَّهُ قَوْلَ الَّتِي تُجَادِلُكَ فِي زَوْجِهَا وَتَشْتَكِي إِلَى اللَّهِ وَاللَّهُ يَسْمَعُ تَحَاوُرَكُمَا إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ بَصِيرٌ)** [المجادلة:١]. ومن **استشعر رقابة الله** ﷻ عليه، أحسن العمل، وبلغ أعلى المنازل، وبهذا فسَّر الرسول ﷺ (الإحسان) لجبريل: (الإحسان أن تعبد الله كأنَّك تراه، فإن لم تكن تراه فإنه يراك) [رواه مسلم]، وقد عدَّ الرسول ﷺ من بين السَّبْعة الذين يُظِلُّهم الله في ظِلِّه يوم لا ظِلَّ إلا ظِلُّه: (رجل تصدَّق بصدقة فأخفاها، حتى لا تعلم شماله ما تُنفق يمينه)، وإنما يعبد العبد ربه ﷻ ويدعوه ويتوكل عليه ويرضى في المصائب ويؤدِّي الحقوق ويتجنَّب الغيبة والمظالم **لعِلْمه بِعِلْمِهِ** ﷻ به، ولهذا قال عز وجل: **(وَتَوَكَّلْ عَلَى الْعَزِيزِ الرَّحِيمِ ۞ الَّذِي يَرَاكَ حِينَ تَقُومُ ۞ وَتَقَلُّبَكَ فِي السَّاجِدِينَ ۞ إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ)** [الشعراء:٢١٧-٢٢٠].

قال الشاعر:

يا مَن يرَى مَدَّ البَعوضِ جَنَاحَهَا ... ظُلْمَةِ اللَّيلِ البَهِيمِ الأَلْيَلِ

وَيَرَى مَنَاطَ عُروقِها في نَحْرِهَ ... والمخَّ مِنْ تِلْكِ العِظَامِ النُّحَّلِ

ويرَى خَرِيرَ الدَّمِّ في أَوْدَاجِهَا ... مُتَنَقّلاً مِنْ مِفْصَلٍ في مِفْصَلِ

أَمْنُنْ عليَّ بتوبَةٍ تَمْحُو بِها ... ما كَانَ مِنِّي في الزَّمانِ الأَوَّلِ

صفحة الواجب ١-١٧-١

س١: ما مناسبة الآيات للتي قبلها؟.

س٢: ما المناسبة بين أول السورة وآخرها؟.

س٣: ما معنى: الولاية/ آووا/ أولوا الأرحام؟.

س٤: بين فضل الهجرة في سبل الله ﷻ، مع ذكر بعض الأمثلة لأنبياء هاجروا غير النبي محمد ﷺ؟.

س٥: ما فضل أصحاب رسول الله ﷺ؟، اشرح ذلك.

س٦: عدد ثلاث فوائد من الفوائد المستوحاة من الآيات.

المـراجـــــع

١) تفسير القرآن العظيم، لابن كثير.

٢) تفسير أحكام القرآن، لابن العربي.

٣) تفسير القرآن الكريم، للبغوي

٤) تفسير فتح القدير، للشوكاني.

٥) تفسير أضواء البيان، للشنقيطي، تكملة تلميذه عطية محمد سالم.

٦) تفسير تيسير الكريم الرحمن، للسعدي.

٧) تفسير في ظلال القرآن، لسيد قطب.

٨) تفسير صفوة التفاسير، للصابوني.

٩) التفسير الميسر لمجمع المصحف الشريف.

١٠) تفسير سورة الأنفال، لخليل عبد الغزالي.

١١) التفسير الميسر، لوهبة الزحيلي.

١٢) تفسير سورة الأنفال، لمحمد عبدالقادر أبو فارس.

الفهـرس

الموضـــوع	ص
المقدمة.....	١
غزوة بدر على ضوء سورة الأنفال.....	٣
مقدمة عن سورة الأنفال.....	١٠
الآيات (١-٤).....	١٦
الآيات (٥ - ٨).....	٢٣
الآيات (٩ - ١٤).....	٢٨
الآيات (١٥- ١٩).....	٣٥
الآيات (٢٠ - ٢٥).....	٤١
الآيات (٢٦ - ٢٩).....	٤٩
الآيات (٣٠ - ٣٥).....	٥٤
الآيات (٣٦- ٤٠).....	٦٣
تمهيد عن علاقة الجزء الأول بالثاني.....	٦٨
الآيات (٤١- ٤٤).....	٦٩
الآيات (٤٥- ٤٩).....	٧٩
الآيات (٥٠- ٥٤).....	٩٥
الآيات (٥٥- ٦٠).....	١٠٩
الآيات (٦١- ٦٦).....	١١٨
الآيات (٦٧- ٧١).....	١٣٠
الآيات (٧٢- ٧٥).....	١٤٤
المراجع.....	١٦٩
الفهرس.....	١٧٠